مئة قصة وقصة

في

أنيس الصالحين وسمير المتقين

إعداد وترتيب
محمد أمين الجندي



مئة قصة وقصة

في

أنيس الصالحين وسمير المتقين



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع ٩١٠٩/ ٩٩
الترقيم الدولى
977-5191-050-2

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

المقدمة :

الحمد لله الذى جعل القصص عبرة المعتبرين ، وفكاهة المتفكهين ، وسلوة المحزونين ، والصلاة والسلام على أصدق القاصين ، وسيد الأولين والآخرين ، نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم إلى يوم الدين ... أمين .

وبعد :

فإن النفوس تسأم كما تسأم الأجسام ، وتمل كما تمل الأبدان ، ولابد لها من الترويح عنها بالتماس طرائف الحِكَم ، وعجائب القصص ، تتسلى به عن مجهودها ، وتستجم لوقت نشاطها وتنشط لزمان عملها .

وقد كان من تجربتى فى مجال الإرشاد والوعظ أننى اعتنيت عناية خاصة بالقصص – الصحيح – لما رأيته من ميل الناس وشوقهم إلى سماع القصة واغتباطهم بسرد أحداثها ، فاستخرت الله العظيم ، واستعنت به سبحانه ، وقمت بإعداد الجزء الأول من كتاب [**مائة قصة وقصة**] وبحمد الله تعالى لاقى قبولاً وتوفيقاً – وهذا التوفيق إنما كان من الله تعالى لا من حولى ولا من قوتى– مما شجعنى على تدوين الجزء الثانى من هذا الكتاب ، فجمعت فيه مائة قصة منها ما ورد صحيحاً عن النبى ﷺ ، ومنها ما ورد عن الأبرار الصالحين وعن الأشرار الطالحين ، وعن السوقة والملوك وعن المتقدمين والمتأخرين .

وكم فى هذه القصص من عبرة للمؤمنين ، وهدى وموعظة للمتقين ، وقد بذلت جهدى فى جمعها وإعدادها وشرح غريبها ، واخترت أصح القصص وما قبله العلماء ، وتركت كل ما هو مردود أو موضوع ، وقد راعيت – غالباً– أن أكتب مرجع القصة ليطمئن القارئ الكريم ، فإن رأيت عملى هذا حسناً

وخيراً فإنى أحمد الله وأشكره ، فذلك من فضله تعالى وتوفيقه ، وإن كان غير ذلك فإنى أستغفر الله وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت .

وقد جعلت الكتاب -كسابقه - متعدد الموضوعات ليكون أبعث للنشاط ، وأمتع للنفس ، وأروح للقلب وسميته **[مائة قصة وقصة فى أنيس الصالحين وسمير المتقين]** على أننى أعترف بأننى ليس لى فى ذلك من مجهود إلا الجمع والترتيب ، وعسى أن تجد فيه ما يسرك وينفعك .

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لخلقه ، إنه سميع الدعاء وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

محمد أمين الجندي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



[١] أهمية التوحيد وفضله

قصة ابن جدعان (١) :

هو عبد الله بن جدعان بن كعب وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق رضي الله عنه وكان من الحكماء الأجواد فى الجاهلية المطعمين المغيثين ، وكان فى بدء أمره فقيراً مملقاً ، وكان شريراً ، وكان يكثر من الجنايات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته ، وأبغضوه حتى أبوه .

فخرج ذات يوم فى شعاب مكة حائراً بائراً فرأى شقاً فى جبل فظن أن يكون به شيئ يؤذي فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه ، فلما اقترب منه إذا بثعبان يخرج إليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يعنى شيئاً فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ، ودخل الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جُرْهم ومنهم الحارث بن مضاض الذى طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب! ووجد عند رؤوسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم ، وإذا عندهم من الجواهر واللآليء والذهب والفضة الشيء الكثير ، فأخذ منه حاجته ثم خرج وعلّم (٢) باب الغار ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادهم ، وجعل يطعم الناس ، وكلما قل ما فى يده ذهب إلى الغار فأخذ حاجته ثم رجع وكان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن .

وأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفى بعير تحمل البُر والشهد والسمن وجعل منادياً ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان .

---

(١) قصص وعبر فى أحوال من غبر ، سلطان الراشد .
(٢) أى وسم باب الغار حتى يعرفه إذا رجع إليه .

ومع هذا كله فقد ثبت فى صحيح مسلم أن عائشة – رضى الله عنها – قالت يا رسول الله : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ ، فقال : « **لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين** » . اللهم لك الحمد على نعمة هذا الدين ، ونسأل الله أن يغفر خطيئتنا يوم نلقاه [١] .

قال الإمام النووى : إن معنى هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه فى الآخرة لكونه كافراً وهو معنى قوله ﷺ : « **لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين** » ، أى لم يكن مصدقاً بالبعث ومن لم يصدق به فهوكافر ولا ينفعه عمل .

قال القاضى عياض – رحمه الله تعالى – : وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، لكن بعضهم أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم [٢] .

وهذا يبين أيضاً فضيلة التوحيد ولزوم تحقيقه لله وحده لا شريك له ، وأن تكون الأعمال مقصوداً بها وجه الله تعالى حتى لا يكون مآله كما أخبر سبحانه : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)** ﴾ [٣] .

كما أنه يبين أهمية بناء العمل على الاعتقاد الصحيح ، فإنك قد ترى بعض الناس يزعم لنفسه الإيمان والصلاة وهو يبطن العقيدة الفاسدة التى لو تلفظ بها لحكم بردته وخروجه من دين الإسلام .

---

(١) صحيح مسلم رقم «٢١٤/١» كتاب الإيمان ، وقصة ابن جدعان ذكرها ابن كثير فى البداية والنهاية وصاحب الفتح الربانى «١٦٦/٢٠» ابن كثير «٢٠٢/٢» .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى «٨٦/٣» .
(٣) سورة الفرقان الآية «٢٣» .

[٢] قصة تسخير نيل مصر لعمر رضي الله عنه

لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر أتى أهلها إليه حين دخل بونة من أشهر العجم فقالوا له : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنة لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها شيئاً من الحُلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون فى الإسلام ، فإن الإسلام يهدم ما قبله .

فأقاموا بونة وأبيب ومسرى « ٣ شهور » لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى همُّوا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك . فكتب إليه عمر : قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل ، إذا أتاك كتابى . فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر » .

أما بعد :

فإن كنت تجرى من قبَلك فلا تجرِ ... وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم . وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنهم لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب ، وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً وقطع تلك السُّنة السوء من أهل مصر [١] .

---

(١) كرامات الصحابة لأسعد الطيب ، ونقل هو عن حياة الصحابة ٣/٦٠٢ .

[٣] البلاء موكل بالمنطق

اجتمع الكسائى واليزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب ، فقدموا الكسائى « أحد القراء السبعة المشهورين » فصلى بهم فأرتج عليه فى قراءة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① ﴾ [(١)] ، « أخطأ أو نُسى في الحفظ » . فلما سلم قال اليزيدى : قارئ وإمام أهل الكوفة يخطأ وينسى ويُرتج عليه فى سورة الكافرون ؟؟!! .

فحضرت صلاة العشاء ، فتقدم اليزيدى فصلى بهم فارتج عليه وأخطأ ونسى فى سورة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② ﴾ [(٢)] ، فلما سلم قال الكسائى له :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق



(١) سورة الكافرون الآية « ١ » .
(٢) سورة الفاتحة الآية « ٢ » .

[٤] لقمة بلقمة [1]

كان لامرأة ابن ، فغاب عنها غيبة طويلة ، وأيست منه ، فجلست يوماً تأكل ، فحين كسرت اللقمة وأهوت بها إلى فيها ، وقف بالباب سائل يستطعم فامتنعت من أكل اللقمة ، وحملتها إلى تمام الرغيف فتصدقت بها ، وبقيت جائعة يومها وليلتها فما مضت إلا أيّام يسيرة حتى قدم ابنها ، فأخبرها بشدائد عظيمة مرّت به .

وقال : أعظم ما جرى عليّ أني كنت منذ أيام أسلك في أجمة في الموضع الفلاني ، إذا خرج عليّ أسد ، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه ، وغار [2] الحمار ، ونشبت مخالب الأسد في مرقّعة كانت عليّ ، وثياب تحتها وجبّة ، فلما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالبه ، إلا أني تحيّرت ودهشت وذهب أكثر عقلي وهو يحملني حتى أدخلني أجمة كانت هناك ، وبرك عليّ ليفترسني ، فرأيت رجلاً عظيم الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، وقد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلاح ، وشاله وخبط به على الأرض .

وقال : قُم يا كلب ، لقمةٌ بلقمة ، فقام الأسد يهرول وثاب إليّ عقلي .

فطلبت الرجل ، فلم أجده ، وجلست بمكاني ساعات إلى أن رجعت إليّ قوتي ، ثم نظرت إلى نفسي فلم أجد بها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها ، فتعجبوا لما رأوني ، فحدثتهم حديثي ، ولم أدر ما معنى قول الرجل لقمة بلقمة ، فنظرت المرأة ، فإذا هو وقت أخرجت اللقمة من فمها فتصدقت بها .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، لإبراهيم الحازمي .
(٢) تعبير بغدادي ، مازال مستعملاً ، يعني أغار أي أسرع في عدوه .

[٥] الشجاع الأقرع [1]

يقول الراوى « عُينت ضابطاً فى ناحية قريبة من القاهرة ، ومن خلال عملى فى المخفر تعرفت على أحد رجال الحى البارزين فقد كان مساعداً للعمدة ، وكان حريصاً على توثيق صلاته مع رجال المخفر جميعاً ، فقد كان ولوعاً بالتقرب إلى السلطة ، حريصاً على الظهور والرفعة ، فلا ارتياح له إلا بما يحقق له مكانة سامية عند رجال المخفر ، وربما حان وقت الصلاة فأسارع إلى الصلاة وأؤدى الفريضة وأعود وصاحبنا فى مكانه على أحاديثه مستمراً دون سأم أو ملل ، تارة يجذب طرف الحديث إليه وتارة يجذبه رجال الشرطة إليه ... وتمر الأيام وصاحبنا على ما هو عليه حتى وكأنه أحد الموظفين فى المخفر ... وذات يوم وبينما رجال الشرطة يتحدثون إذا بأصوات وجلبة فهبوا ليعرفوا ما الذى حدث ... وسرعان ما علموا أن صاحبهم مساعد العمدة قد مات ، فقالوا جميعاً : إن لله وإنا إليه راجعون .

يقول الراوى : « إن الرجل كان يقدم لنا خدمات كثيرة ويوصل إلينا أخبار ضرورية ويساعدنا فى أمور عديدة ، ولذلك كان من الواجب أن نشيع – نحن رجال المخفر – جنازته ... وصدر الأمر بخروج رجال الشرطة على خيولهم أمام الجنازة ليكون المشهد مهيباً عظيماً ... وتوجهت الجنازة نحو المقر الذى يستوى فيه الأمير والغفير ، والصعلوك والوزير ... وخرجت القرية عن بكرة أبيها يودعون مساعد عمدتهم الوداع الأخير ، لقد كان الموكب مهيباً والمشهد رهيباً ...

---

(١) وقائع أغرب من الخيال للعثمان « بتصرف واختصار » .

الكل صامتون وكأن على رؤوسهم الطير ، ولكن أمراً مذهلاً قطع عليهم صمتهم وغير حالهم وبدد هدوءهم ، إذا بالخيول تضطرب اضطراباً عظيماً ، وإذا بالناس يهيجون ويموجون ويرتبكون فما الذى حدث : يُقسم راوى القصة بالله رب العالمين فيقول : ما إن اقتربنا من قبر الرجل الذى حفر له ، وإذا بثعبان عظيم أقرع قد فتح فمه الواسع وتوجه نحو الجنازة يسارع بكل شجاعة وقوة ، فخاف الناس أشد الخوف وألقوا بالجنازة على الأرض ثم تراجعوا عنها بعيداً بعيداً ، واجتمعوا من جديد وظلوا يتشاورون فى هذه المشكلة وفى النهاية اتفقوا على أن يتقدم شابان جلدان لينظروا ما حدث للجنازة ، ويحملانها إن أمكن وفعلاً زحف الشابان نحو الجنازة فعرفا أن الثعبان قد ابتعد عنها ثم حملاها على تخوف ورعب إلى الجماعة حيث اتفقوا بعد المشاورة على حفر قبر جديد بعيد عن القبر الأول بحوالى خمسمائة متر ... .

وتقدم القوم بالجنازة فى رعب شديد واضطراب كبير ... وما أن اقتربوا من القبر الجديد حتى شاهدوا ذلك الثعبان العظيم قد عاود الكرة وتوجه من الحفرة الجديدة نحو الجنازة فى شجاعة ومهارة ... فأسقط فى أيدى القوم وألقوا بالجنازة على الأرض والخوف يملأ القلوب والذعر يتملك القوم ثم أطلقوا أرجلهم للريح ، وأصبح البعض الآخر يولول ويصيح ، ثم اجتمع القوم من جديد فى مكان بعيد عن الثعبان ... ووقف بهم شيخ القرية خطيباً وواعظاً منادياً بأعلى وأخلص صوته : أيها القوم إنه والله لدرس لكم يجب ألا ينسى ، وعبرة لقلوبكم يجب ألا تمحى لقد أراد الله تعالى بحكمته أن يريكم عجائب قدرته وقوة قهره وشدته فتوبوا إلى ربكم توبة نصوحاً ، وأعطوه عهداً صحيحاً على عدم العودة إلى الذنوب ثم أشار إليهم أن ينتظروه حتى يكلم الثعبان ... .

وتوجه نحو الثعبان قائلاً بأعلى صوته : أيها الشجاع الأقرع ، أخبرنا عنك رسول الله ﷺ ونحن نطلب منك أن تبتعد عنا حتى ندفن هذا الميت ثم افعل به ما أُمرت وما شئت وعذبه ما أُمرت ، فاستجاب بإذن الله ذلك الثعبان ، وغاب عن الجمع الموجود ، فتقدم القوم نحو الجنازة وقربوها من قبرها ورموه فى القبر رمياً وكأنه بهيمة من البهائم ولم يجرؤ أحد منهم على إنزاله ثم أهيل على الجثة التراب بكل سرعة والدموع تنهمر من الخوف والخشوع ، وعاد القوم وهم لا يصدقون أنهم انتهوا من هذه الكارثة الشديدة واستولى الخوف عليهم أياماً متوالية وصورة الثعبان أمام أعينهم ماثلة باقية .

ويقسم راوى القصة بالله فيقول : والله الذى لا إله غيره ما تحدثت إلا بما رأيت ولا تكلمت إلا بما شاهدت رأى العين دون أى مبالغة أو زيادة ، ثم يضيف : لا تعجب من عقاب الله الأليم لهذا الرجل المجرم ، فقد كان هذا الرجل تاركاً للصلاة مانعاً للزكاة مطيعاً للشيطان ، يقضى أيامه فى اللهو والمجون والغيبة والنميمة ... ولقد نصحته مرات عديدة ووعظته طويلاً فلم يقبل نصحاً ، ولم يترك ذنباً ولم يصلح عيباً ولم يحسب حساباً ليوم موته ودفنه حتى أدركه المنون ولعنه اللاعنون » (*) وصدق الله العظيم ﴿ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ (١) .

(*) حكى الشيخ سعيد بن مسفر فى شريط له قصة قريبة من هذه القصة وفى نهايتها أن الثعبان خرج فى المرة الثالثة والتف حول الميت واشتد عليه حتى سمعوا صوت تكسير عظامه ... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) سورة الحشر الآية « ٢ » .

[٦] ثلاث لا يعلمهن إلا نبي

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمع عبد الله ابن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو فى أرض يخترف « يجتنى من الفواكه » فأتى النبى ﷺ فقال : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى :

فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ ، وما ينزع « يشبه » الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟. قال : « **أخبرنى بهن جبريل آنفاً** » ، قال : جبريل؟ قال : **نعم** . قال : ذلك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (١) .

أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه » ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ... يارسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى، فجاءت اليهود فقال النبى ﷺ : « **أى رجل عبد الله فيكم؟** » قالوا: خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا، فقال : « **أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟** » فقالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرُنا وابن شرنا ، وانتقصوه . قال : فهذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٩٦ » .
(٢) سورة الأحقاف الآية « ١٠ » .

[٧] وكان الشيطان رابعنا !!! (١)

قال أبو عبد الله :

« لا أعرف كيف أروى لك هذه القصة التى عشتها منذ فترة والتى غيّرت مجرى حياتى كلها ، والحقيقة أننى لم أقرر أن أكشف عنها ... إلا من خلال إحساسى بالمسئولية تجاه الله عز وجل ... ولتحذير بعض الشباب الذى يعصى ربه ... وبعض الفتيات اللاتى يسعين وراء وهم زائف ... اسمه الحب ! .

كنا ثلاثة من الأصدقاء ... يجمع بيننا الطيش والعبث ! كلا ... بل أربعة ... فقد كان الشيطان رابعنا .

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول ونستدرجهن إلى المزارع البعيدة ... وهناك يُفاجأن بأننا قد تحولنا إلى ذئاب لا نرحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومات فينا الإحساس ! .

هكذا كانت أيامنا ولياليناا فى المزارع ، فى المخيمات ، والسيارات على الشاطئ ! إلى أن جاء اليوم الذى لا أنساه ! .

ذهبنا كالمعتاد للمزرعة ... كان كل شىء جاهزاً ... الفريسة لكل واحد منا ، الشراب الملعون ... شىء واحد نسيناه هو الطعام ... وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء طعام العشاء بسيارته كانت الساعة السادسة تقريباً عندما انطلق ، ومرت الساعات دون أن يعود ... وفى العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتى أبحث عنه ... وفى الطريق شاهدت بعض ألسنة النار تندلع على جانبى

---

(١) للشباب فقط لعادل العبد العالي .

الطريق ... وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقى والنار تلتهمها وهى مقلوبة على أحد جانبيها ... أسرعت كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة ... وذهلت عندما وجدت نصف جسده وقد تفحم تماماً لكنه كان ما يزال على قيد الحياة فنقلته إلى الأرض ... وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذى ... النار ... النار ... .

فقررت أن أحمله بسيارتى وأسرع به إلى المستشفى لكنه قال لى بصوتٍ باكٍ : لا فائدة ... لن أصل . فخَنَقَتني الدموع وأنا أرى صديقى يموت أمامى ... وفوجئت به يصرخ : ماذا أقول له ... ماذا أقول له ؟ نظرت إليه بدهشة وسألته : من هو ؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق : الله .

أحسست بالرعب يجتاح جسدى ومشاعرى وفجأة أطلق صديقى صرخة مدوية ... ولفظ آخر أنفاسه ... ومضت الأيام لكن صورة صديقى الراحل وهو يصرخ والنار تلتهمه ... ماذا أقول له ... ماذا أقول له ؟ .

ووجدت نفسى أتساءل : وأنا ... ماذا سأقول له ؟ فاضت عيناى واعترتنى رعشة غريبة ... وفى نفس اللحظة سمعت المؤذن لصلاة الفجر : الله أكبر الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله ... حي على الصلاة ... أحسست أنه نداء خاص بى يدعونى لأسدل الستار على فترة مظلمة من حياتى ... يدعونى إلى طريق النور والهداية ... فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدى من الرذيلة التى غرقت فيها لسنوات ... وأديت الصلاة ... ومن يومها لم يفتنى فرض ! .

وأحمد الله الذى لا يُحمد سواه ... لقد أصبحت إنساناً آخر وسبحان مُغير الأحوال ... وبإذن الله تعالى أستعد للذهاب لأداء العمرة ... وإن شاء الله الحج فمن يدرى ... الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ... » .

[٨] (أ) قصة الحمار الميت الحي [1]

عن أبى سبرة النخعى قال :

أقبل رجل من اليمن فلما كان فى بعض الطريق نفق « مات » حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين . ثم قال : اللهم إنى جئت من الدثينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، ولا تجعل لأحدٍ على اليوم مِنَّة . أطلب إليك أن تبعث لى حمارى .

فقام الحمار ينفض أذنيه

قال البيهقى : ومثل هذا لا يكون كرامة لصاحب الشريعة حيث يكون فى أمته مثل هذا .

(ب) قصة المهاجرة التي أحيا الله تعالى ولدها بدعائها

عن أنس قال : عدنا شاباً من الأنصار وعنده أم له عجوز عمياء قال : فما برحنا أن فاض يعنى : مات . ومددنا على وجهه الثوب ، وقلنا لأمه : يا هذه احتسبى مصابك عند الله . قالت : أمات ابنى ؟ . قلت : نعم ، قال : اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعيننى عند كل شديدة فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم .

قال أنس : فوالله ما برحت حتى كشف الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه [2] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى والبداية وقال : هذا إسناد رجاله ثقات .

[٩] الحصاد المر (١)

انضم خالد إلى حلقة تحفيظ القرآن الكريم ... كان خجولاً هادئاً ... كثير الصمت ... نشيطاً فى الحفظ والمراجعة ... أحب الجميع ... وأحبه الجميع ... يقول أستاذه : لم نكن ننكر عليه أى شيء إلا شروده الطويل وتفكيره الساهم ... فأخذته يوماً فى رحلة إلى شاطئ البحر فلعل سره الكبير يلتقى مع هذا البحر الكبير فيفرغ ما فى نفسه من هم ويخرج ما فى روحه من ألم ... ووقفت أمام هذا الفتى الصامت أمام هذا البحر الهادئ الصامت ... المنظر كله صمت ... فى صمت ... وفجأة يخترق هذا السكون الصامت ... صوت بكاء حار ... ونحيب مر ... صوت خالد وهو يبكى ... لم أشأ أن أقطع عليه لذة البكاء وطعم الدموع فلعل ذلك يريح نفسه ... ويزيل همه ... وبعد لحظات قال : إنى أحبكم ... أحب القرآن ... وأهل القرآن الصالحين ... الطيبين ... ولكن أبى ... أبى يحذرنى دائماً أن أمشى معكم ... يخاف منكم ... يكرهكم ... دائماً يبغضنى فيكم ... ويستشهد على ذلك بقصص وحكايات وأساطير ... لكن عندما أراكم فى الحلقة تقرؤون القرآن كنت أرى النور فى وجوهكم وفى كلامكم ... ولما انضممت للحلقة شعرت بالسعادة ... واجتهدت فى حفظ القرآن ... كانت ليالى وأيامى كلها قرآناً ... ولاحظ أبى التغيير الذى طرأ على حياتى ، عرف بطريقة أو بأخرى أننى دخلت التحفيظ ومشيت مع المطاوعة (٢) حتى كانت تلك الليلة السوداء ... كنا ننتظر حضوره من المقهى .. كعادته

---

(١) الميلاد الجديد : للغامدى بتصرف واختصار .
(٢) المطاوعة : يطلقها العوام فى بعض البلاد العربية على من أطلق لحيته والتزم الشرع .

اليومية .. لنتناول العشاء فدخل البيت بوجهه المظلم وتقاطيعه الغاضبة ، وجلسنا على سفرة الطعام ... الكل صامت ... كالعادة .. كلنا نهاب الكلام فى حضوره . ثم قطع الصمت بصوته الأجش الجهورى : لقد سمعت أنك تمشى مع المطاوعة ، فانعقد لسانى ... وذهب بيانى ... ولم ينتظر الإجابة ... تناول إبريق الشاى ... ورماه بقوة فى وجهى ... ودارت الدنيا فى رأسى ... وسقطت فحملتنى أمى ... وصحوت من إغماءتى الخفيفة على يديها الدافئة وإذا بالصوت الجهورى يقول : اتركيه ... وإلا أصابك ما أصابه ... فاستللت جسمى من بين يدى أمى وتحاملت على نفسى لأذهب إلى غرفتى وهو يشيعنى بأبشع الشتائم ... وأحط الألقاب ... لم يكن يمر يوم إلا وهو يضربنى ... يشتمنى يركلنى .. يرمينى بأى شىء يجده أمامه ... حتى أصبح جسمى لوحة مرعبة اختلطت فيها الألوان الداكنة .

كرهته ... أبغضته ... امتلأ قلبى بالحقد عليه ... يوم من الأيام ونحن على سفرة الطعام قال : قم ولا تأكل معنا ... وقبل أن أقوم ... قام هو وركلنى فى ظهرى ركلة أسقطتنى على صحن الطعام ... تخيلت أننى أصرخ وجهه : سوف أقتص منك ... سوف أضربك كما تضربنى وأشتمك كما تشتمنى ، سوف أكبر ... وأصبح قوياً ... وسوف تكبر وتصبح ضعيفاً ... عندها أفعل بك كما تفعل بى ... ثم هربت ... وخرجت من المنزل ... وأصبحت أجرى وأجرى على غير هدى وبدون هدف حتى ساقتنى رجلى إلى هذا البحر وأمسكت بالمصحف أقرأ فيه حتى لم أستطع أن أواصل من كثرة البكاء وشدة النحيب عندها نزلت من خالد بعضاً من دموعه النقية ... ولم أنبس بكلمة فقد ربط العجب لسانى ، هل أعجب من هذا الأب الوحشى الذى خلا قلبه من

الرحمة ، أم أعجب من هذا الابن الصابر الذى أراد الله عز وجل له الهداية فألهمة الثبات ؟ ، أم أعجب منهما الاثنين حين استحالت رابطة الأبوة والبنوة بينهما أشلاء وصارت علاقتهما كعلاقة الثعلب بالذئب والأسد بالنمر ...؟؟ أخذته بيدى ومسحت دموعه بيدى وصبّرته ... دعوت له ونصحته ببر والده والصبر على أذاه ... ووعدته بأن أقابل والده وأكلمه وأستعطفه ... ومضينا ... ومرت الأيام ... وأنا أفكر فى الطريقة التى أفاتح بها والد خالد فى موضوع ابنه وكيف أقنعه ... بل كيف أعرفه على نفسى ... وأخيراً ... استجمعت قواى وقررت أن تكون المواجهة ... أقصد المقابلة فسرت إلى منزله وطرقت الباب ... ويدى ترتجف .. ثم فتح الباب ... وإذا بذلك الوجه العابس ، وتلك التقاطيع الغاضبة .. .فابتسمت ابتسامة صفراء لعلها تمتص نظراته السوداء ... وقبل أن أتكلم ... أمسك بتلابيب ثوبى وشدنى إليه وقال : أأنت المطوع الذى تدرس خالداً فى المسجد ؟؟ ... قلت : ن . ع . م . .. قال : والله لو رأيتك تمشى معه مرة أخرى كسرت رجلك ، خالد لن يأتيكم بعد الآن ، ثم جمع مادة فمه ... وقذف بها دفعة واحدة فى وجه الفقير إلى الله ، وأغلق الباب وكان ختامها مسكاً ... فمسحت عن وجهى ولحيتى ما أكرمنى به ... ورجعت وأنا أسلى نفسى ... رسول الله ﷺ فُعل به أكثر من ذلك ، كذبه قومه وشتموه ورموه بالحجارة ، أدموا رجله ... وضعوا القاذورات فوقه ... طردوه وأخرجوه من أرضه ... فمرت ومرت الأيام والشهور ونحن لا نرى خالداً ... فأبوه يمنعه حتى من الخروج للصلاة ، ونسيناه فى غمرة الحياة ... ومرت السنون وفى ذات ليلة بعد صلاة العشاء وفى المسجد إذ بيد غليظة تمسك بكتفى ... آه إنها ذات اليد التى أمسكت بعنقى قبل سنين ... إنه نفس الوجه ... ونفس التقاطيع ... ونفس الفم الذى أكرمنى بما لا أستحق ... ولكن هناك تغيراً كبيراً ... الوجه العابس

... أصبح منكسراً والجسم هدته الآلام والهموم ... فقلت : أهلاً يا عم ورحبت به فانفجر باكياً ... سبحان الله ما كنت أظن أن ذلك الجبل سوف يصبح يوماً سهلاً فقلت تكلم يا عم وأخرج ما فى نفسك كيف حال خالد ؟ فتنهد بعمق وقال : أصبح خالد يا بنى ليس خالداً الذى تعرفه ، ليس خالداً الفتى الطيب الهادى الوديع ... منذ أن خرج من عندكم تعرف على شلة من شلل الفساد يلهو ويلعب ... بدأ بالدخان معهم مشتمته وضربته ... لا فائدة فقد تعود جسمه على الضرب واستساغت أذناه الشتائم ... كبر بسرعة كان يسهر معهم ولا يأتى إلا مع خيوط الفجر ، طُرد من المدرسة أصبح يأتينا ليلاً بلسان يُهذى ويد ترتعش ... تغير ذلك الجسم الغض الطرى أصبح جسمه مهترئاً ضعيفاً ... أصبح وجهه أسود وعينه حمراء كالنار ، ذهب قلبه الطيب البار ، واستحال قلباً قاسياً كالصخر أو أشد ... أصبح لا يمر يوم إلا ويشتمنى أو يركلنى أو يضربنى ... تصور يا بنى أنا أبوه يضربنى ... ثم عاود بكاءه الحار ثم مسح دموعه ، أرجوك يابنى زوروا خالداً خذوه معكم ، بيتى مفتوح لكم ، بل إننى راضٍ أن يعيش فى منازلكم وينام معكم ، أرجوك يا بنى أقبّل يدك وألثم رجليك أرجوك ، المهم أن يرجع خالداً كما كان ، ومضى فى بكائه ونحيبه وحسراته وتركته حتى أنهى ذلك كله ، فقلت له : ياعم ذاك زرعك ، وهذا حصادك ، ورغم ذلك دعنى أحاول .



[١٠] القـدر (١)

تركها زوجها وحيدة بعد أن وافاه الأجل وبقيت تصارع الحياة ... تشقى لسعادة ابنها ... وتكد وتعمل من أجله ، وقد رفضت الزواج مراراً وكانت لابنها الأب والأم والصديق ، حتى أنها تنتظره عند الباب عند عودته من المدرسة ... وقد نشأ نشأة حسنة ، علمته وربته على الفضيلة فكان من أوائل الطلبة .. وحين أتم دراسته الثانوية أراد أن يكمل تعليمه فى إحدى جامعات الدول العربية لكن الأم رفضت الفكرة لأنها لا تطيق الابتعاد عن ولدها الوحيد ، ولكن شغف الابن بالعلم جعله يقدم أوراقه .. وأتم إجراءات السفر دون علمها حتى كانت ليلة السفر حيث أخبرها بأنه قد حجز تذكرة إلى بغداد وأن موعد السفر غداً ... حزنت الأم ولكنها أخفت حزنها وفكرت فى طريق تُبقى فيها ولدها بجانبها ... وفى منتصف الليل أخفت الأم جواز سفره والتذكرة ... وفى الصباح ودع الابن والدته وانصرف ، وفى المطار منعه رجال الشرطة من المغادرة فتذكر أن أمه هى التى أخفت جواز سفره ، فرجع غاضباً .. ودخل غرفة نومه ونام .. كانت الأم تستمع بسرور إلى المذياع ، وهى تجهز طعام الغداء لعلمها أن ولدها لن يسافر وقد جلب انتباهها صوت المذياع وهو يقول : لقد سقطت الطائرة المتجهة إلى بغداد وتوفى جميع من فيها ، فرحت الأم وذهبت لتخبر ولدها بالقصة فوجدته قد فارق الحياة على فراشه ... .

---

(١) اللآلى الحسان ، جـ٤ للمسند .

[١١] قصة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مع اليهودي [(١)]

افتقد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه درعاً له ثم وجدها في يد يهودي يبيعها في السوق ... فقال له عليّ : يا يهودي هذه الدرع درعي لم أبع ولم أهب .. فقال اليهودي : درعي وفي يدي !! فقال عليّ : نذهب إلى القاضي ... فتقدما إلى شريح القاضي ... وقال عليّ : إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي لم أبع ولم أهب ، فقال شريح القاضي : ما تقول يا يهودي ؟ فقال : الدرع درعي وفي يدي ... فقال القاضي شريح لعليّ لابد لك من بينة ؟ قال عليّ نعم قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي ... قال القاضي : شهادة الابن لا تجوز للأب ... فقال عليّ : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** » ؟؟ .

فقال اليهودي : أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه ... وقاضيه قضى عليه ... أشهد أن هذا للحق ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... وأن الدرع درعك كنت راكباً على جملك فوقعت منك ليلاً فأخذتها ... . فوهبها عليّ رضي الله عنه له وأعطاه فرساً ومالاً .



(١) صور من حياة الصحابة للباشا « بتصرف واختصار » .

[١٢] العقاب السريع [(١)]

باع بقرته التى لا يمتلك سواها بثلاثة آلاف ليرة وقبض الثمن ووضعه فى كيس ثم دسه فى وسطه ... وتوجه إلى منزله وعليه علامات الحزن والحسرة وعلمت زوجته ببيع البقرة التى يمتلكونها فأخذت تعزيه عن فقدها وتمنيه بأن الله سيعوض عليهم بأحسن منها ... وجاء الليل وآوى الناس إلى منازلهم من شدة البرد .

وجلس الرجل « أبو حسن » وزوجه فى غرفتهما المتواضعة ، وبينما كانت أم حسن تعلل طفلها بالرضاع الكاذب لتحمله على الفطام إذا بطرقات خفيفة على باب الدار .

وفتح أبو حسن الباب فإذا برجل يرتجف من شدة البرد والمطر يقول : غريب ألجأنى البرد إلى قريتكم ولا أعرف بها أحداً ، وأنا فى طريقى إلى حمص ، فقال : أبو حسن : ماذا نستطيع أن نقدم لك ونحن أسرة فقيرة وبيتنا ضيق لا يساعدنا على استقبال الضيوف ... فقال الغريب : أرجوكم البرد شديد اسمحوا لى فقط بالمبيت عندكم حتى الصباح ولا أريد أن أكلفكم أية نفقة ، فقال أبو حسن : ليس لدينا سوى هذه الغرفة أنام بها أنا وزوجتى وطفلنا الصغير ، فاعذرنا لعدم وجود مكان لك ، فقال الغريب : أنام فى هذه الزاوية وتنامون أنتم فى الجانب الآخر ويمكنكم أن تضعوا بيننا حاجزاً وأجركم على الله ، رق قلب أم حسن لهذا الغريب وقالت : يعيننا الله يا أبا حسن ولعله يرد عنا المصائب

---

(١) بتصرف واختصار من « قصص هادفة من واقع الحياة لمحمود درويش » .

بحسنة هذا الضيف الغريب ... ورحبا بالضيف ثم قام كل إلى فراشه بعد أن أعدوا للضيف ما وجدوا لديهم من غطاء وفراش ، وما لبث أبو حسن وزوجه أن غطوا فى نومهم فقد أجهدهم التعب والسهر .

كان الغريب يراقب أهل الدار حتى تيقن أنهما استغرقا فى نومهم وإلى جانبهم طفلهم الرضيع ، فقام الغريب من فراشه على أطراف أصابعه وراح يتحسس موضع الطفل فحمله وخرج به من الغرفة ووضعه بعيداً فى فناء الدار .. وعاد إلى فراشه وتظاهر بالنوم ...و أحس الطفل بلسع البرد فراح يبكى فاستيقظت أم حسن على بكائه وتحسست فراش الطفل فلم تجده فيه فأيقظت زوجها وقالت له : لقد حبا الطفل إلى فناء الدار قم بنا نعيده إلى فراشه قبل أن يضره البرد ، فقاما حتى وصلا إلى الطفل وانحنت عليه أمه وضمته إلى صدرها وهى تقول : لهفى عليك يا ولدى ما الذى أخرجك من فراشك فى هذا البرد الشديد ، وما كان أبو حسن وزوجه يتجهان بطفلهما نحو الغرفة حتى خر السقف وانهدمت الدار فوقعا واجمين وسمع الجيران فرقعة الخشب وسقوط السقف فجاءوا ليسهموا بالإنقاذ ، فقال أبو حسن : يا ناس عندنا ضيف فى داخل الدار يجب أن ننقذه قبل كل شىء ، ودخل أبو حسن بصحبة بعض الجيران وسعوا إلى موضع الضيف فلم يجدوه ، فأخذوا يرفعون الأنقاض حتى وصلوا إلى سرير أبو حسن وإذا بالضيف ميتاً تحت الأنقاض وبيده كيس النقود وقد أخرجه من تحت الوسادة التى ينام عليها صاحب الدار ، كان هذا اللص قد حضر السوق ورأى أبا حسن وهو يبيع البقرة ويضع ثمنها فى الكيس فقرر سرقة الثمن ورسم الخطة لاختلاس المال وتبع أثر صاحب البقرة من بعيد حتى رآه يدخل الدار ، فلما أذنوا له بالمبيت حمل الطفل ليلاً إلى خارج الدار وتركه

يبكى ليخرج أهله ، وعندها يتسنى له أخذ الكيس الذى فيه ثمن البقرة ، وقد رأى أبا حسن يدسه تحت الوسادة ، كان اللص يضع الخطة وكان الله له بالمرصاد ، فما كاد ينفذ خطته حتى تأذن الله أن يتعجل بالعقاب لهذا الماكر الشرير منكر الجميل ، وأن ينقذ الطفل وأهله من سوء المصير ، فأوحى إلى الطبيعة فثارت ثورتها وسقط السقف على اللص فقضى نحبه تحت الأنقاض ، فلئن غفل الإنسان لا تغفل يد الله ... وانصرف الناس وهم يقولون : هذا مثل الجزاء السريع للذنب الفظيع ... وحقاً إن فى ذلك لعبرة لمن كان له قلب .

[١٣] جزاءً وفاقاً

قال الشيخ عبد الله التليدى فى كتابه نصب الموائد :

حدثنى بعض حفظة القرآن من أصحابنا أن فقيهاً أخبره بأنه استُدعي لغسل ميت فى قرية ، فلما دخل عليه وكشف الستر عن وجهه فزع وخاف من منظره ، وحصل له رعب شديد حيث رأى وجهه انقلب فى صورة خنزير تماماً مع سلامة باقى جسمه فتركه وخرج مسرعاً إلى خطيب القرية ، فأخبره فجاء معه وشاهد الرجل ، فاتصل بزوجة الميت وسألها عما كان يتعاطاه زوجها وألح عليها فى ذلك فأخبرته بأنه كان يتعاطى السحر ، وكان عنده مصحف تحت التراب يبول عليه ، وكان لذلك تتصل به الشياطين .

جزاءً وفاقاً ، لقد فضحه الله عز وجل فى الدنيا قبل دفنه جزاء ما اقترفه من أعمال سيئة ليكون عبرة لغيرة ، وكما تدين تدان [١] .



---

(١) كما تدين تدان جـ٢ ، لسيد الرفاعي .

[١٤] عاقبة المكذبين

أ – أراد حرق المصحف فاحترقت يده :

نشرت جريدة « ترنيم » النيجيرية الواسعة الانتشار لا يزال حديث الناس فى نيجيريا بأسرها ، فقد زلزل معقلاً من معاقل المسيحية فى ولاية كنجولا النيجيرية ... والخبر يقول : وقف القس ولبرفورس راعى كنيسة المدينة وبيده مصحف كان قد جذبه من بين يدى أحد الحاضرين ... ثم ألقى به على الأرض وسكب عليه مقداراً من البنزين ... وهم بإشعال عود ثقاب على المصحف ... وأصيبت يده بحروق شديدة ولم تمس النار المصحف الشريف ... وكان الحاضرون يتابعون هذا المشهد ، وهم فى ذهول حيث جرى ذلك أثناء قداس فى الكنيسة ... وعقب هذا الحادث مباشرة أعلن القس فروس دخوله فى الإسلام وتبعه رئيس الكنيسة وتوالى دخول المبشرين فى الإسلام حتى بلغ عددهم ٢٠٠ مبشر .

ب – هلاك المستهزئ بالقرآن :

لقى واحد من المستهزئين بالقرآن مصرعه فى رأس السنة الميلادية فى قرية تسمى موب من ولاية غونغوكى شمال نيجيريا .

كان عمر غيمو واعظاً مسيحياً وكان من المكذبين بالقرآن الكريم والمستهزئين بدين الإسلام ، وقف واعظاً بين لفيف من المسيحيين حيث قال مستهزئاً ومتحدياً إن كان القرآن والدين الإسلامى حقاً « يسأل الله أن لا يرجع إلى بيته حياً » قال هذا وهو يعظ الناس فى الكنيسة بابتيس .

الله أكبر فمن قدرة الله تعالى أنه مجرد خروجه من الكنيسة وفى طريقه إلى البيت تعثر بحزام قناة صغيرة حين أراد أن يعبرها ووقع فيها ميتاً وكذلك مات فى اليوم الثانى رجل كان يحاول إنقاذه من القناة ، فنقل ذلك الواعظ إلى المستشفى الآخر فأخبروهم كذلك بأنه مات فلم يصدقوا ، وأخيراً ، نقلوا هذه الجثة مرة ثالثة إلى مستشفى جماعة التبشير حيث أثبت الأطباء بأنه ميت فصدقوا ودفنوه .

كان المقبور عمر غيمو من قبل مسيحياً وأسلم وعاش بين المسلمين يعاملهم ويعاملونه وتعلم الإسلام وقرأ القرآن وتاريخ المسلمين ولما طال عليه الأمد وسوس له الشيطان وارتد عن الإسلام وجعل يحارب الإسلام والمسلمين فى الكنائس .

لقد قال عز من قائل فى محكم كتابه العزيز : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) ﴾ [١] ، وقال أيضاً : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) ﴾ [٢] ، ويقول : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [٣] .

ولقد أسلم سكان أربع قرى بعد هذه الحادثة وهى فال ، ويلوا ، وغواتي وموب ، من قرى تلك الولاية . ولله الحمد والمنة .

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١١ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٩ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٣٠ » .

[١٥] قصة شريط الفيديو المدمر [1]

فتاة فى المرحلة الجامعية – كلية الآداب – قسم علم نفس ولها أخوات ثلاث ، منهن من تدرس فى المرحلة الثانوية والأخريان فى المرحلة المتوسطة ، وكان الأب يعمل فى محل بقالة ويجتهد لكى يوفر لهن لقمة العيش وكانت هذه الفتاة مجتهدة فى دراستها الجامعية ، معروفة بحسن الخلق والأدب الجم كل زميلاتها يحببنها ويرغبن فى التقرب منها لتفوقها المميز .

قالت : فى يوم من الأيام خرجت من بوابة الجامعة ، وإذ أنا بشاب أمامى فى هيئة مهندمة ، وكان ينظر إلىّ وكأنه يعرفنى ، فلم أعطه أى اهتمام ، سار خلفى وهو يحدثنى بصوت خفيض وكلمات صبيانية مثل : يا جميلة ... أنا أرغب فى الزواج منك ... فأنا أراقبك منذ مدة وعرفت أخلاقك وأدبك ، سرت مسرعة تتعثر قدماى ... ويتصبب جبينى عرقاً ، فأنا لم أتعرض لهذا الموقف أبداً من قبل ، ووصلت إلى منزلى منهكةً مرتبكةً أفكر فى هذا الموضوع ولم أنم هذه الليلة من الخوف والفزع والقلق .

وفى اليوم التالى وعند خروجى من الجامعة وجدته منتظراً أمام الباب وهو يبتسم ، وتكررت معاكساته لى والسير خلفى كل يوم ، وانتهى هذا الأمر برسالة صغيرة ألقاها لى عند باب البيت وترددت فى التقاطها ولكن أخذتها ويداى ترتعشان وفتحتها وقرأتها وإذا بها كلمات مملوءة بالحب والهيام والاعتذار عما بدر منه من مضايقات لى .

---

(١) شريط الفيديو الذى دمر حياتى ، لأحمد الحصين .

مزقت الورقة ورميتها ، وبعد سويعات دق جرس التليفون فرفعته وإذا بالشاب نفسه يطاردنى بكلام جميل ويقول لى قرأت الرسالة أم لا ؟ .

قلت له : إن لم تتأدب أخبرت عائلتى والويل لك ، وبعد ساعة اتصل مرة أخرى وأخذ يتودد إليّ بأن غايته شريفة وأنه يريد أن يستقر ويتزوج وأنه ثرى وسيبنى لى قصراً ويحقق لى كل آمالى وأنه وحيد لم يبق من عائلته أحد على قيد الحياة ... و ... و ... .

فرق قلبى به وبدأت أكلمه وأسترسل معه فى الكلام ، وبدأت أنتظر التليفون فى كل وقت ، وأبحث عنه بعد خروجى من الكلية لعلي أراه ولكن دون جدوى ، وخرجت ذات يوم من كليتى وإذا به أمامى ، فطرت فرحاً ، وبدأت أخرج معه فى سيارته نتجول ... وجلست أنظر إليه وينظر إليّ ثم غشتنا غاشية من عذاب جهنّم ... ولم أدر إلا وأنا فريسة لهذا الشاب ، وفقدت أعز ما أملك ... قمت كالمجنونة ، ماذا فعلت بى ؟ .

- لا تخافى أنتِ زوجتى ...
- كيف أكون زوجتك وأنت لم تعقد عليّ .
- سوف أعقد عليك قريباً .

وذهبت إلى بيتى مترنحة ، لا تقوى ساقاى على حملى واشتعلت النيران فى جسدى ... يا إلهى ماذا فعلت أجننت أنا ... ماذا دهانى ، وأظلمت الدنيا فى عينى وأخذت أبكى بكاءً شديداً مراً وتركت الدراسة وساء حالى إلى أقصى درجة ، ولم يفلح أحد من أهلى أن يعرف كنه ما فيّ ، ولكن تعلقت بأمل راودنى وهو وعده لى بالزواج ، ومرت الأيام تجر بعضها البعض وكانت عليّ أثقل من الجبال ، ماذا حدث بعد ذلك ؟ ، كانت المفاجأة التى دمرت حياتى

... دق جرس الهاتف وإذا بصوته يأتي من بعيد ويقول لى : أريد أن أقابلك لشىء مهم ... فرحت وهللت وظننت أن الشىء المهم هو ترتيب أمر الزواج ... قابلته وكان متجهماً تبدو على وجهه علامات القسوة وإذا به يبادرنى قائلاً قبل كل شىء لا تفكرى فى أمر الزواج أبداً ... نريد أن نعيش سوياً بلا قيد ... ارتفعت يدى دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشر يطير من عينيه وقلت له كنت أظن أنك ستصلح غلطتك ، ولكن وجدت رجلاً بلا قيم ولا أخلاق ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكى ، فقال لى هنيهة من فضلك ووجدت فى يده شريط ڤيديو ... يرفعه بأطراف أصابعه مستهتراً وقال بنبرة حادة : سأحطمك بهذا الشريط قلت له : وما بداخل الشريط ؟ .

قال : هلم معي لتري ما بداخله ستكون مفاجأة لك ، وذهبت معه لأرى ما بداخل الشريط ورأيت تصويراً كاملاً لما تم بيننا فى الحرام .

قلت : ماذا فعلت يا جبان ... يا خسيس ... ، قال : كاميرات « خفية » كانت مسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة ، وهذا الشريط سيكون سلاحاً فى يدي لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامري ورهن إشاراتي وأخذت أصيح وأبكى لأن القضية ليست قضيتى بل قضية عائلة بأكملها ؛ ولكن قال أبداً ... والنتيجة أنى أصبحت أسيرة بيده ينقلنى من رجل إلى رجل ويقبض الثمن ... وسقطت فى الوحل – وانتقلت حياتى إلى الدعارة – وأسرتى لا تعلم شيئاً عن فعلتى فهى تثق بى تماماً .

وانتشر الشريط ... ووقع بيد ابن عمى فانفجرت القضية وعلم والدي وجميع أسرتى وانتشرت الفضيحة فى أنحاء بلدتنا ، ولطخ بيتنا بالعار ، فهربت لأحمى نفسى واختفيت عن الأنظار وعلمت أن والدي وشقيقتاى هاجروا إلى

بلاد أخرى وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم وأصبحت المجالس يتحدث فيها عن هذا الموضوع ، وانتقل الشريط من شاب لآخر .

وعشت بين المومسات منغمسة فى الرذيلة وكان هذا النذل هو الموجه الأول لى يحركنى كالدمية فى يده ولا أستطيع حراكاً ؛ وكان هذا الشاب السبب فى تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات فى عمر الزهور .

وعزمت على الانتقام ... وفى يوم من الأيام دخل عليّ وهو فى حالة سكر شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمدية ، فقتلت إبليس المتمثل فى صورة آدمية خلصت الناس من شروره ، وكان مصيرى أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان وأندم على فعلتى الشنيعة وعلى حياتى التى فرطت فيها .

وكلما تذكرت شريط الفيديو خُيل إليّ أن الكاميرات تطاردنى فى كل مكان ، فكتبت قصتى هذه لتكون عبرة وعظة لكل فتاة تنساق خلف كلمات براقة .



[١٦] بطولة في السخاء

حكى أن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما وهو مشهور بالسخاء ، مرّ على بستان ، فرأى فيه عبداً من العبيد ، يعمل فيه ، ويجمع التمر ، فجاءه ابن سيده برغيفين ليأكل فجلس العبد ليأكل ، فرأى كلباً قد أقبل نحوه ، يهمهم ويحرك ذنبه ، فألقى إليه برغيفٍ فالتهمه سريعاً واقترب منه يحرك ذنبه- أيضاً - فرمى إليه بالرغيف الثانى وقام لعمله ! .

فعجب عبد الله بن جعفر من فعل هذا العبد ! واقترب منه وسأله : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ .

قال العبد : هو ما رأيت .

قال عبد الله : ولم آثرت بهما هذا الكلب ؟ .

قال العبد : إنّ أرضنا ليست بأرض كلاب ، وعلمت أن هذا الكلب ما ساقه إلينا إلا الجوع ، فآثرته على نفسي .

قال عبد الله : وكيف تصنع بنفسك هذا اليوم ؟ .

قال العبد : أطوي هذه الليلة . أي : أبيت على الجوع .

قال عبد الله : يلومنى الناس على السخاء ! وهذا الغلام أسخى مني ، فذهب عبد الله بن جعفر إلى سيّد هذا الغلام وطلب منه أن يبيعه غلامه هذا ، قال سيد الغلام : ولم تريد شراءه ؟ فأخبره بما رأى منه ، وأنه يريد شراءه وعتقه ، وشراء البستان وإهداءه إليه ، فقال له السيد : أنت تريد أن تفعل به ذلك ، بهذه الخصلة الواحدة ، ونحن لا نزال نرى منه العجائب كل يوم ! .

أشهد أنه حر لوجه الله تعالى وأن البستان هبة مني إليه ! .

[١٧] الإعتزاز بالله [(١)]

جاء فى أخبار القضاة لوكيع « ١٦٩/٣ » ، وفى تاريخ بغداد « ٢٨٨/٩» للخطيب البغدادى ، فى ترجمة القاضى أبى عبد الله شريك بن عبد الله النخعى الكوفى ... أحد الأئمة الأعلام ما يلى :

قال عمر بن هياج بن سعيد الهمدانى : كنت من صحابة شريك ... فأتيته يوماً – وهو فى منزله– باكراً ... فخرج إلىّ فى فرو ليس تحته قميص عليه كساء .

فقلت له : قد أضحيت عن مجلس الحكم .

فقال لى : غسلت ثيابى أمس فلم تجف ... فأنا أنتظر جفوفها ... اجلس ... فجلست ، فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه ، فقال : ما عندك فيه ؟ ما تقول فيه ؟ .

وكانت الخيزران – زوجة الخليفة هارون الرشيد – قد وجهت رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفة ، وكتبت إلى موسى بن عيسى – أمير الكوفة – أن لا يعصى له أمراً .. فكان مطاعاً بالكوفة .

فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق يخرج إلى النخع .. معه جماعة من أصحابه عليه جبة خز وطيلسان على برذون فاره [(٢)] .

وإذا رجل بين يديه مكتوف يقول : واغوثا بالله ... أنا بالله ثم بالقاضى ،

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمى جـ ٥ .
(٢) البرذون : البغل ، وفاره : جميل .

وإذا آثار سياط فى ظهره ، فسلم على القاضى شريك ، وجلس إلى جانبه .

فقال له الرجل المضروب : أنا بالله ثم بك أصلحك الله .. أنا رجل أعمل الوشي ، وكراءُ مثلي مئة - درهم - فى الشهر أخذنى هذا منذ أربعة أشهر فاحتبسنى فى طراز يجري عليّ القوت ، ولى عيال قد ضاعوا .. فأفلتُ اليوم منه .. فلحقنى ففعل بظهرى ما ترى .

فقال شريك : قم يا نصرانى فاجلس مع خصمك .

فقال : أصلحك الله يا أبا عبد الله .. هذا من خدم السيدة فمر به إلى الحبس .

قال : قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك .

فقام فجلس معه .

فقال شريك : ما هذه الآثار التى بظهر هذا الرجل ؟ من أثرها به ؟ .

قال : أصلح الله القاضى ... إنما ضربته أسواطاً بيدى وهو يستحق أكثر من هذا .. مر به إلى الحبس .

فألقى شريك كساءه ودخل داره فأخرج سوطاً ربذياً .. ثم ضرب بيده مجامع ثوب النصرانى ، وقال للرجل : انطلق إلى أهلك ، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصرانى وهو يقول : يا طبجى ، قَدِّمَنَّ قفا جمل لا تضرب والله المسلم بعدها أبداً .

فهم أعوانه أن يخلصوه من يديه .. فقال : من هاهنا من فتيان الحى ؟ خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس .

فهرب القوم جميعاً ، وأفردوا النصرانى فضربه أسواطاً ، فجعل النصرانى

يعصر عينيه ويبكي ويقول له : ستعلم ! .

فألقى السوط من يده في الدهليز ، وقال : يا أبا حفص .. ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه ؟ وأخذ فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئاً .

وقام النصراني إلى البرذون ليركبه .. فاستعصى عليه ، ولم يكن له من يأخذ بركابه .. فجعل يضرب البرذون .

فقال له شريك : ارفق به ويلك .. فإنه أطوع لله منك .. فمضى .

فقال لي شريك : خذ بنا فيما كنا فيه .

قلت : ما لنا ولذا قال : اسكت ... أعزّ أمر الله يعزك الله ... خذ بنا فيما نحن كنا فيه ، وقد والله فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة .

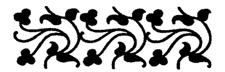
قال : وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى – أمير الكوفة – فدخل عليه.

فقال : من فعل هذا بك ؟ وغضب الأعوان وصاحب الشرط .

فقال : شريك فعل بي كيت وكيت ! .

قال : لا والله ما أتعرض لشريك .

فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع .



[١٨] قصة وعبرة [1]

(أ) روى أن امرأة دخلت على داود عليه السلام فقالت : يا نبى الله ربك ظالم أم عادل ؟ فقال داود : ويحك يا امرأة هو العدل الذى لا يجور ، ثم قال لها ما قصتك ؟ قالت : أنا أرملة عندى ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدى ، فلما كان أمس شددت غزلي فى خرقة حمراء وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه وأبلّغ به أطفالى ، فإذا أنا بطائر قد انقض عليّ وأخذ الخرقة والغزل وذهب ، وبقيت حزينة لا أملك شيئاً أبلّغ به أطفالى . فبينما المرأة مع داود عليه السلام فى الكلام وإذا بالباب يطرق على داود فأذن بالدخول وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار فقالوا : يا نبى الله أعطها لمستحقها ، فقال لهم داود عليه السلام : ما كان سبب حملكم هذا المال ؟ قالوا يا نبى الله : كنا فى مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فهانت علينا الريح وانسد العيب ، ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار ، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت ، فالتفت داود إلى المرأة وقال لها : رب يتجر لك فى البر والبحر وتجعلينه ظالماً ؟؟ وأعطاها الألف دينار وقال : أنفقيها على أطفالك.

(ب) حسن التأسى : « قصة وعبرة » :

قال أحدهم : ما شكوت من الزمان ولا برمت بحكم السماء إلا عندما حفيت قدماى ولم أستطع شراء حذاء فدخلت جامع الكوفة وأنا ضيق الصدر فرأيت رجلاً بلا رجلين فحمدت الله وشكرت نعمته عليّ [2] .

---

(١) مجالس النساء .

(٢) من شذرات القلم ، « جـ ١ » .

[١٩] قصة الحية والسكران [1]

عن يوسف ابن الحسين يقول : كنت مع ذى النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شطّ الغدير واقفة ، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير ، فركبتْها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت ، فقال ذو النون : إن لهذه العقرب لشأناً فامض بنا ، فجعلنا نقفو أثرها فإذا رجل نائم سكران ، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهى تطلب أُذُنَهُ ، فاستحكمت العقرب من الحيّة فضربتها : فانقلبت وانفسخت ، ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت ، فحرك ذو النون الرجل النائم ، ففتح عينيه ، فقال : يا فتى ! انظر مما نجّاك الله ، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحيّة التى أرادتك ، ثم أنشأ ذو النون يقول :

يا غـافـلاً وَالجليلُ يَحـرُسُـهُ   مِنْ كلِّ سُوءٍ يدبُّ في الظُّلمِ
كـيف تَنَامُ العُـيـونُ عن ملك   تأتِيــهِ مِنْهُ فَــوائِدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال : إلهى ! هذا فعلك بمن عصاك فكيف رفقك بمن يطيعك ؟ ثم ولى ، فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى طاعة الله .

---

(١) التائبون إلى الله ، للحازمى .

[٢٠] قصة الجساسة

قضى رسول الله ﷺ صلاته وجلس على المنبر وقال : « ليلزم كل إنسان مُصلاهُ » ثم قال : « أتدرون لمَ جمعتُكُمْ ؟ » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى [١] ، كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال .

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفؤوا [٢] إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب السفينة [٣] ، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهْلبّ [٤] كثير الشعر لا يدرون ما قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِه [٥] من كثرةِ الشعر .

فقالوا : ويلك من أنت ؟ .

فقالت : أنا الجساسةُ .

قالوا : وما الجساسةُ ؟ .

---

(١) هذا معدود فى فضائل تميم الدارى رضي الله عنه ، لأن النبى ﷺ روى عنه هذه القصة ، وفيه رواية الفاضل عن المفضول .

(٢) ارفؤا إلى الجزيرة : أى التجأوا إليها .

(٣) أقرب السفينة : هى سفينة صغيرة تسمى بالقارب تكون مع الكبيرة ، ينصرف فيه ركاب السفينة لقضاء حوائجهم .

(٤) الأهلب : غليظ الشعر كثيره .

(٥) أى مقدمه من مؤخرته .

قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق [١] .

قال : لما سَمَت لنا رجلاً فَرِقْنَا منها [٢] أن تكون شيطانة .

قال : فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان [٣] رأيناهُ قط خلقاً ، وأشدهُ وثاقاً ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، ما بين رُكبتيه إلى كعبيه بالحديد .

قلنا : ويلك من أنت ؟ .

قال : قد قدرتُمْ على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم ؟ .

قالوا : نحن أُناس من العرب ركبنا فى سفينةٍ بحريةٍ فصادفنا البحر حين اغتلم [٤] فلعب بنا الموجُ شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابةٌ أهْلَبُ كثير الشعر ، لا يدرى ما قُبُلُهُ من دُبُرِهِ من كثرة الشعر .

فقلنا : ويلك من أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة .

قلنا : وما الجساسةُ ؟ قالت : اعمدُوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سِرَاعاً ، وفزعْنَا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبرونى عن نخل بَيْسَانَ [٥] ؟ .

---

(١) أى شديد الأشواق إليه .
(٢) فرقنا : خفنا .
(٣) أعظم إنسان : أى أكبره جثة ، أو أهيب هيئة .
(٤) حين اغتلم : أى هاج وجاوز حده المعتاد ، والاغتلام أن يجاوز الإنسان ما حد له من الخير والمباح .
(٥) نخل بيسان : هى قرية بالشام .

قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ .

قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ .

قلنا له : نعم .

قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر .

قال : أخبرونى عن بحيرة طبرية [١] ؟ .

قلنا : عن أى شأنها تستخبرُ ؟ .

قال : هل فيها ماءٌ ؟ .

قالوا : هى كثيرةُ الماء .

قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبرونى عن عين زُغَرَ [٢] ؟ .

قالوا : عن أى شأنها تستخبرُ ؟ .

قال : هل فى العين ماءٌ ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ .

قلنا له : نعم ، هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ .

قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب .

قال : أقاتله العرب ؟ .

قلنا : نعم .

---

(١) بحيرة طبرية : هى بحر صغير معروف بالشام .
(٢) عين زغر : هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام .

قال : كيف صنع بهم ؟ .

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه .

قال لهم : قد كان ذلك ؟ .

قلنا : نعم .

قال : أما إن ذاك خيرٌ لهم أن يطيعُوهُ ، وإنى مخبركُمْ عنى .

إنى أنا المسيح [١] ، وإنى أوشك أن يُؤذَنَ لى فى الخُرُوج ، فأخرج فأسيرُ فى الأرض فلا أدعُ قريةً إلا هبطتُهَا فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة [٢] ، فهما مُحرمتان علي كلتاهُما ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما ، استقبلنى ملك بيده السيف صَلْتاً [٣] يصدُّنى عنها ، وإن على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها .

قالت [٤] : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر :

« هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة » يعنى المدينة .

ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » .

فقال الناس : نعم .

« فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق » [٥] وأومأ بيده إلى المشرق .

---

(١) أى : المسيح الدجال .
(٢) طيبة : هى المدينة ، ويقال لها أيضاً : طابة .
(٣) صلتاً : أى مسلولاً .
(٤) أى راوية الحديث فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس .
(٥) صحيح ، أخرجه مسلم «١٨/٧٩-٨٣» وأبو داود «٤٣٠٤» والطبرانى «٢٤/٣٨٨» فى الكبير .

[٢١] من المسئول ؟!! [1]

جلس رجل الأعمال المليونير الكبير فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط بالجزائر وظل يتفكر فى حياته ، لقد قضى حياته كلها باندفاع بحثاً عن المال والصفقات فى كل أنحاء العالم حتى أصبح مليونيراً ... وهو يذكر جيداً أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته ... وتذكر المليونير أسرته ... زوجته الصغيرة الجميلة ، وابنه الذى سيأخذ الشعلة منه ، ويدير شركاته وأعماله ، وأخذ رجل الأعمال يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه ، فلم يعرف ،كل الذى يدريه أن ابنه بكلية الهندسة .. وأثناء هذه الأحلام .. دق جرس التليفون فى غرفته ... وكانت المكالمة من القاهرة ... والمتحدث على غير العادة شقيقه :

احضر فوراً .. زوجتك تحتضر ...

● انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا .. أريد أن تعيش وبكى رجل الأعمال لأول مرة فلقد تبخرت آماله فى لحظة .. ولكنه سيضع كل ثروته مقابل أن تعيش زوجته ... .

وفى مطار القاهرة كان شقيقه الأكبر فى انتظاره لم يكن قد رآه منذ سنوات فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد .. فلما سلم عليه قال له : تماسك لقد ماتت متأثرة بجراحها .. وبكى .. بكى طويلاً .. ووسط دموعه سأل شقيقه : كيف ماتت ... وأين هى ؟ ... قال : فى المشرحة ...

---

(١) بتصرف واختصار من كتاب شباب فى دائرة الموت لوجيه أبو ذكرى .

– قال الزوج : المشرحة ؟ !! قال : نعم ، والجنازة غداً .. أجلناها حتى تكون من مودعيها .. قال رجل الأعمال : وأين ابنى ؟ قال : لم يتمكن من الحضور – حزين عليها – طبعاً ، وساد صمت رهيب ، رجل الأعمال شارد فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها ، كانت معه كالنسيم واتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه قصر رجل الأعمال فقال له : إلى أين ؟ فقال الأخ إلى بيتى أولاً .. قال : لماذا ؟ هل تخفى شيئاً ؟ قال شقيقه : لا ، ولكن أرجوك لا تعارضنى وبكى شقيقه ، ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون وأغلق عليهما الباب .. فقال رجل الأعمال : أشعر أن هناك أمراً أعظم من الموت فقال شقيقه : المأساة قاسية .. لا تُصَدِّق .. لقد اتصل بى ضابط الشرطة وطلب منى الحضور للقسم فوراً .. وذهبت فوجدت ابنك ممزق الثياب وعلى ملابسه بقع من الدماء .. وفى حالة ذهول يجلس على الأرض وكاد قلبى يتوقف وسألت .. ماذا جرى ؟ .. فنظر إلىّ ابنك وارتمى على صدرى وظل يبكى ويبكى ثم سألت الضابط ، فقال لى جملة سقطت بعدها فاقد الوعى . قال : البيه المدمن قتل أمه ! وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه .. وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور .. آه .. لقد انتهت حياتى .

وبدأ الأب فى متابعة سماع المأساة .. إن ابنه الوحيد طعن أمه بسكين المطبخ حتى ماتت ثم ذهب إلى قسم الشرطة وقال جملتين فقط : أنا فلان ابن فلان .. قتلت أمى بهذا السكين .. ورفض أن يتكلم بعدها .. كما رفض الإجابة عن أى سؤال .. وفتشوه فوجدوا معه تذكرة هيروين وأمرت النيابة بتشريح الجثة ثم صرحت بدفنها .. هذه هى المأساة .

قال رجل الأعمال : لماذا قتلها ؟ قال شقيقه : لا أحد يعرف حتى الآن ،

وانتهت مراسم الجنازة وودع الرجل زوجه حتى القبر ، وخلال ذلك فشلت الصحافة والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد .

وحللت إحدى الصحف الجريمة فقالت : « هذا الشاب يرفض الحديث ، هو لاشك مدمن هيروين حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه وكان فى حاجة إلى مال ، فطلبه من والدته الثرية زوجة المليونير فرفضت فهددها بالسكين فلم تتصور وهى الأم أن يرفع ابنها السكين عليها ، فأصرت على الرفض فنفذ تهديده وقتل أمه .. وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة وعى من هول المأساة فشعر بالندم فسكت انتظاراً لحبل المشنقة .. هذا تصورنا للحادث الذى هز المجتمع وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل الذى فصل من كلية الهندسة حيث عاش أسير الهيروين » قرأ المليونير هذه المقالة فى الصباح قبل أن يذهب إلى ابنه وسأل نفسه : أين كنت يا رجل الأعمال ؟ ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى ؟ .. ابنك أدمن الهروين وأنت لا تدرى ؟ .. ليت هذه الأموال التى جمعتها تضيع كلها وتعود لى أسرتى .. وذهب الرجل إلى ولده ... وكان لقاءً مؤثراً بين الوالد وابنه .. بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما وساد صمت قطعه الابن حين ارتمى فى أحضان أبيه قائلاً : أرجوك ضمنى إلى صدرك بشدة أكثر .. احتاج إلى هذا .. محروم منه .. ما أقسى الحياة .. آسف لم أكن فى وعيى ، عاد لى الوعى عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى .. أبداً لم تكن تستحق هذا .. دعنى لأبكى على صدرك ، فلم أكن أعرف الدموع .. ورجل الأعمال لا يدرى ماذا يقول : هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته ؟ لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره ... بل زلزلاً فى هذه المشاعر .

وبدأ الشاب يروى لوالده : لقد عرفت الهيروين للتسلية والجنس ولكنه قتل فيَّ كل شيء .. الطموح والخُلق ، ودفعنى وأصحابى من المدمنين إلى الجريمة .. سرقنا ...كم سرقت من أمى ؟ وكم هى اتهمت الشغالة ؟ .. حتى عرفت أننى أتعاطى الهيروين وهددتنى بأنها سوف تبلغك إن لم أتوقف ، فادعيت لها أننى توقفت ... ولكن كل تصرفاتى تفضحنى وزادت حاجتى للمال لشراء الهيروين وطلبت منى أمى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج فرفضت ، وبندم شديد قال : حتى كان يوم الجريمة ، كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشترى هيروين ، وطلبت منها ألف جنية وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ولكنها رفضت وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية ، هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنية فسأخبرك بأنها على علاقة برجل ... فصفعتنى وبصقت فى وجهى ... وإذا بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة تتحول إلى شبه واقع أمامى وأن أمى حقاً على علاقة برجل آخر ، هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة وتضخمت الأمور أمامى .. وتصورت ما يحدث بين العشيق وعشيقته، والعشيقة هنا أمى إذن هذه المرة يجب أن تموت .. وأسرعت إلى المطبخ .. وجئت بالسكين وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة فرفضت فكانت الجريمة البشعة .. وماتت أشرف امرأة فى الوجود .. وما أن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون كلام أو وداع ونادى الولد على والده ، فلم يرد الوالد ، ثم نادى مرة .. ومرة .. ومرة .. قائلاً : أنت السبب .. أنت السبب وظل الشاب المدمن يقول : إن والده هو السبب وهو الذى دفعه لكل هذا لعدم رعايته له ... الشاب لم يقدم للمحاكمة لقد فقد البقية الباقية من عقله .. تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية .. وهو يقول لكل من يقابله : أنت السبب وأمى أشرف امرأة فى الدنيا .. أمى أشرف امرأة فى الدنيا ... .

في حي الدقي يوجد مسجد في ميدانه عندما تدخله لتأدية الصلاة ستجد بداخله رجلاً يرتدى جلباباً أبيض ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه وعندما ينتهى من التلاوة يرفع كفيه إلى السماء : اللهم اغفر لى وسامحنى يارب العالمين ، هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال .. الذى تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة المخدرات ... وأخذ من بيت الله مكاناً كى يرحمه ... وعندما تؤدى الصلاة بجواره سيصافحك بحرارة ويطلب منك بلطف وآدب أن تعطيه من وقتك القليل وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها وسيبكى كثيراً وهو يسرد القصة ثم سيطرح عليك سؤالاً محيراً ؟ من المسئول عن كل هذا ؟ من ؟ من ؟ ..



[٢٢] المزحة القاتلة [1]

منذ ودعته لينتقل إلى بلد آخر للدراسة وهى لا تتوقف عن التفكير فيه والحديث مع الجارات عنه .. إنه وحيدها وفلذة كبدها ... لكم اشتاقت إليه .. تنهدت أم أحمد وهى تعد الأيام الأخيرة لابنها فى بلاد الغربة البعيدة ... .

الحمد لله ... أيام ويعود ... كم اشتقت إليك يا بنى ... .

ويتراءى مخيلتها وهو يلقى بالحقائب ويهرع نحوها ليقبل يديها ويمنحها بسمته الحانية .. ترمق الماضى وتتذكر كيف كان يملأ عليها البيت سروراً وسعادة ... وكيف تعبت كثيراً حتى بلغ مبلغ الرجال وصار يشار إليه بالبنان لاجتهاده وذكائه .. شعرت بأنه آن الأوان لتقطف ثمرة جهدها وترى ابنها طبيباً ماهراً له مكانته ... .

تستيقظ من شرودها على رنين الهاتف ... تنهض من أريكتها وتسرع وهى تعتقد أن الذى سيكلمها هو ابنها ... .

لابد أنه أحمد ... سيخبرنى بموعد قدومه .. وترفع السماعة ونبضات قلبها تخفق ... من ... ؟! من المتكلم ؟ .

وتصفعها كلمات حارقة تنبئها بالفاجعة ... ابنك يا أم أحمد لقد اصطدم بسيارته ومات .. تتغير ملامح وجهها وينعقد لسانها .. تصاب بالذهول .. تسقط السماعة من يدها ... تضطرب قليلاً ثم تهوى على الأرض ... .

ويقدر الله عز وجل أن يأتيها قريب لها فى ذلك الوقت ليسأل عنها ...

---

(1) حوادث واقعية . الحميدى .

يطرق الباب فلا يجيب أحد .. يحرك مقبض الباب فيجده مفتوحاً ... .

ترى ما الأمر ؟!

يلج المنزل ليفاجأ بأم أحمد ملقاة على الأرض غائبة عن الوعى ... يسرع ينقلها إلى المستشفى ...

ويصل أحمد إلى بلدته ويسرع والشوق يدفعه لرؤية أمه التى يحبها حباً عظيماً ، وصل البيت وهو يحلم بأنه يزف لأمه بشرى نجاحه ، ويدخل المنزل ليفاجأ بعدم وجود أحد بداخله يسأل عن أمه فيعلم أنها فى المستشفى ... يستقل سيارته ويسرع للإطمئنان عليها ، ينهب بسيارته الأرض ليصل فى أسرع وقت ممكن .. ويمضى دون أن ينتبه لمخاطر الطريق .. وينفجر إطار سيارته عند منعطف حاد فتنقلب سيارته وتتحطم .. يسرع الناس لإنقاذه .. يخرجونه من السيارة والدماء تغطى جسده ... ينقله أحدهم بسيارته للمستشفى .. يصل وقد فارق الحياة ... تصحو أمه وتعلم بقصته .. تشهق من شدة الأسى وتنهار ... لاحول ولا قوة إلا بالله ... لقد ماتت .. !! .



[٢٣] قصة صرع عمر رضي الله عنه لجني

عن أبي وائل رضي الله عنه قال : قال عبد الله رضي الله عنه : لقى الشيطان رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فصارعه ، فصرعه المسلم وأزَمَ بإبهامه ، فقال : دعني أعلمك آية لا يسمعها أحد منا إلا ولى ، فأرسله . فأبى أن يعلمه ، فصارعه . فصرعه المسلم وأزم بإبهامه فقال : أخبرني بها فأبى أن يعلمه ، فلما عاوده الثالثة قال : الآية التي في سورة البقرة ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [١] ، إلى آخرها فقيل لعبد الله : يا أبا عبد الرحمن من ذلك الرجل ؟ .

قال : من عسى أن يكون إلا عمر رضي الله عنه .

وفي رواية عنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً : قال : لقى رجل من أصحاب النبي ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسي ، فقال له الجني : عاودني ، فعاوده ، فصرعه الإنسي ، فقال له الإنسي : إني لأراك ضئيلاً شحيباً كأن ذُرَيعتيك ذُريعتا كلب ، فكذلك أنتم معاشر الجن ؟ أو أنت منهم كذلك ، قال لا والله إني منهم لضليع ولكن عاودني الثالثة فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك ، فعاوده فصرعه ، فقال : هات علمني قال : هل تقرأ آية الكرسي ؟ قال : نعم . قال : إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار لا يدخله حتى يصبح . قال رجل من القوم : يا أبا عبد الرحمن ، من ذلك الرجل من أصحاب النبي ﷺ ؟ قال : فعبس عبد الله وأقبل عليه وقال : من يكون هو إلا عمر ؟؟ [٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٥٥ » .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير « ٨٨٢٤/٩ » مجمع الزوائد «٧١/٩» ، قال رجال الرواية الثانية رجال الصحيح دلائل النبوة للبيهقي « ١٢١/٧ » ، ودلائل النبوة لابن نعيم « ص ١٣١ » .

[٢٤] الباب المفتوح [1]

على الرغم من أننى كنت مشتغلاً بدراستى الجامعية إلا أن لدى بعض الوقت أقضيه فى مزاولة هوايتى المفضلة – كما يقال – وهى المراسلة ... .

فقد اشتركت فى مجلة دولية للمراسلة ... وكانت لى علاقات مع أصدقاء كثيرين فى أنحاء العالم ، فقد كنا نتبادل الصور والطوابع ، وفى نهاية السنة الثالثة الجامعية وقبل اقتراب العطلة الصيفية فكرت فى أن أسافر لعدة دول ..

أولاً : أتعرف على تلك الدول .

ثانياً : أتعرف على الأصدقاء الذين لى علاقة ببعضهم منذ سنتين أو أكثر .

من الناحية الاقتصادية : الموضوع بالنسبة لى سهل حيث أننى لن أصرف مبالغ كثير ... سأحل ضيفاً على الأصدقاء لمدة يومين أو ثلاثة ... إلى أسبوع .

ومن جهة أخرى سيقوم الأصدقاء بتعريفى على الأماكن الأثرية والمواقع السياحية فسأكون محفولاً مكفولاً .

نظمت خط سير رحلتى من المملكة فقررت أن أزور فرنسا أولاً ثم ألمانيا بعد ذلك أغادر إلى أسبانيا ثم إلى المغرب ثم إلى مصر وأخيراً أعود إلى بلادى .

وخط سيرى هذا رتبته مع العديد من الأصدقاء الذين فى هذه الدول ورحبوا بزيارتي ... كما أننى لم أرتبط بحجز للسفر .. بل تركت الأمور حسب ارتياحى فى كل دولة ..

أنهيت العام الدراسى ونجحت ولله الحمد بتفوق .. أخبرت أهلى بسفرى .. لم يكن لديهم ممانعة فى ذلك .. أحضرت آلة تصوير وبعض الأوراق الضرورية .

---

(١) الزمن القادم « عبد الملك القاسم » .

كما أننى لم أنس عناوين وهواتف الأصدقاء .. أقنعت نفسى أننى سأسافر للسياحة .. لا للمظاهر والبهرجة .. لذا اشتريت من الملابس أبسطها .. وحملت من المال ما يكفينى .

لغتى الإنجليزية لم تساعدنى فى محطتى الأولى حيث يتكلم الشعب الفرنسى اللغة الفرنسية ولكن عندما ركبت سيارة أجرة من المطار إلى مدينة باريس .. عرفت أن اللغة الإنجليزية يتحدثها أصحاب الفنادق والمحلات الكبرى .

نزلت فى فندق متواضع وكان الجو بارداً .. وملابسى يبدو أنها لن تقوم بالواجب .. فجسمى بدأ يرتعش من البرد .. الليلة الأولى مضت .

وسرنى أننى عندما اتصلت على صديقى وكان فى مدينة بعيدة عن باريس وأخبرته بقدومى .. أظهر لى السرور وأخبرنى أنه سينتظرنى غداً عند محطة القطار فى مدينته .. فى الغد حملت حقيبتى وركبت القطار .. ولا شك أننى عاتبت نفسى لكثرة إلتقاطى للصور .. خوفاً من نفاد الأفلام التى معى .. ولكن المناظر الطبيعية .. تأسرك بجمالها .. قبل وصول القطار بفترة أخرجت صورة صديقى الفرنسى أتفحصها .. لكى أتعرف عليه .. فأنا لم أره ولم يرنى من قبل، ولم أجد صعوبة عند توقف القطار ونزولنا فى التعرف على صديقى .

سار بنا إلى منزله .. وكان يتكلم الإنجليزية .. لغة المراسلة بيننا ، قضيت أياماً جميلة عندهم .. امتدت لخمسة أيام ، ثم بعد أن شاهدت مدينته وزرت مناطق السياحة فيها .

سافرنا سوياً إلى مدينة أخرى مكثنا فيها يومين ثم عدنا إلى باريس معاً وأمضينا فيها ثلاثة أيام عند أحد أصدقائه .

بعدها غادرت إلى ألمانيا .. نفس المشكلة اللغة من جديد فالألمان لا

يتكلمون إلا اللغة الألمانية ، فى ألمانيا ارتحلت أكثر لأن صديقى يملك سيارة .. وهذا ساعدنا على حرية الحركة وإن كان أفقدنا بعض المتعة من السفر فى القطار والرحلات الجماعية .

على أية حال .. مكثت فى ألمانيا لمدة أسبوع وكان صديقى يمضى إجازة مثلى .. فلم نُقم فى منزلهم سوى يوم واحد ، ومن ثم أخذنا فى التجوال فى ألمانيا ، بل إننا قطعنا مسافة تزيد على خمسة آلاف كيلو متر من الطرق .. وهذا كلفنا ثمن شراء وقود السيارة .. وكان هذا الثمن مناصفة بيننا .

رأيت ألمانيا أكثر من فرنسا .. كما أن صديقى الألمانى وضعه المادى جيد وله أقارب فى مناطق متفرقة من ألمانيا .. وإن كان أقاربه لم يقدموا لنا شيئاً يذكر ..

غادرت ألمانيا إلى أسبانيا ، وقد خططت لتكون الإقامة أطول فيها .

دمعتك فى أسبانيا تسبق نظرك .. ماذا ترى بالأندلس .. ألم تسمع قصيدة الرثاء فى سقوط الأندلس .

لكل شىء إذا ما تم نُقصانُ ... فلا يُغر بطيب العيش إنسانُ
هى الأمور كما شاهدتها دولٌ ... من سره زمنٌ ساءته أزمانُ

يعتصر قلبك ويعجز لسانك ، أتصف الآثار .. عظمة فى الدولة .. وعظمة فى البناء .. هذا مآلها ، كلما دخلت مسجداً اهتز قلبى، كم من الركع ذهبوا ، وكم من العباد دلفوا .. والناس مشغولة ، وهذه الفسيفساء .. وهذا عقد .. وهذا .. كأن الإسلام مبانى .

على الرغم من أننى لا أزور المسجد المجاور لنا إلا قليلاً .. لكن مساجد الأندلس تختلف ، بل كم مرة دخلت مسجد الحى ولم يهتز في جفن .. وأنا

داخل للصلاة .

والآن تهتز جوانحى وأنا سائح .. لا مصل ولا عابد ، حدثنى صديقى الأسبانى عن عدل المسلمين عندما كانوا هنا . . وحدثنى عن معلومات تاريخية لا أعرف صحتها من خطئها .. كل ما هنالك أننى أحرك رأسى عند نهاية كلامه .. لا أجد جواباً .. ولكن قلبى يهتز .

يتحدثون عن التاريخ الإسلامى .. تاريخ آبائى وأجدادى .. ولا أعرف عنه شيئاً .. بل إننى أفكر .. هل أنا من أحفاد من فتح الدنيا .. ؟ غادرت الأندلس وأنا حيران بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى .

وصلت بطريق البحر إلى المغرب .. ثم سافرت بالحافلة إلى قرية صديقى المغربي وكانت بالقرب من الحدود الجزائرية ، أقبلنا على القرية ، قرية وادعة فى وسط الصحراء .. تذكرنى بقريتى .. لم نحتج للعنوان .

أين بيت جابر .. الكل يعرفه .. وجه غريب .. الكل ينظر إليّ .. أخذنى أحدهم عندما عرف أننى قادم من أرض الحرمين .. حمل حقيبتى بإصرار عجيب .. طرقنا الباب .. هذا والد جابر .. لم أُعط فرصة لأن أُعرّف نفسى ..

هذا قادم من مكة .. احتضننى .. تفضل .. حفاوة بالغة .. أخجلتنى .. لقد كانوا ينتظرون قدومى بشوق منذ أسبوع .. أعدوا لى الحفلات كما ذكروا .. بعد شرب الشاى .. وضعوا لى غرفة مرتبة .. .

في المساء .. قالوا إن أهل القرية يريدون أن يروك .. « ماذا .. » يرونني .. وضعت على المنصة فى الحفلة .. وتكلم مسئول الحفل .. فرحب بى ترحيباً حاراً .. وكان الحفل يضم أغلب أهل القرية إن لم يكن كلهم .. رجالاً ونساءً وأطفالاً .. بعدها تحدث إمام المسجد عن فضل مكة المكرمة والمدينة المنورة ..

ورحب بي .. وكانت المفاجأة الصاعقة لي .. يتحدث إليكم القادم من أرض الوحي من مهبط القرآن الكريم من أرض مكة والمدينة .. كنت قبل أبتسم عندما تحدثوا .. ولكن عندما طلبوا مني الحديث .. تغير لوني .. ارتعدت فرائصي .. انعقد لساني .. لم أتعود أن أتحدث في جمع كهذا .. ثم ماذا أقول .. وأنا طالب الاقتصاد .. لا معلومات شرعية أو ثقافية لدي .

ولكن الله يسر .. فقد تحدثت إليهم عن الحرم والكعبة .. والحج .. وتكلمت كثيراً عن الحج فهو موضوع بسيط درسته منذ القدم ولدي معلومات سنوية متجددة من خلال الأعوام خلال موسم الحج .. ودعوت الله أن يحجوا إلى مكة .. فكان أن تعالت الأصوات والبكاء .. والتأمين .

خفت من الموقف خوفاً من الله .. بدأت أتحدث بشكل منفعل وكأنني أخاطب نفسي بالتوبة .. خنقتني العبرة وأنا أتحدث .. فبكيت .. سكت الجميع برهة .. وأنا أصابني ذهول من نفسي .. كأنني في حلم عجيب .. .

قام الجميع يسلمون عليّ ويتحدثون بكلام لا أفهمه .. نصفه بكاء ونصفه الآخر بلهجة محلية .. بعد هذا المشهد وكأنني أشاهد تمثيلية وأنا بطلها .. دُعينا إلى العشاء .. وكان عشاء يكفي لجميع الحاضرين .. لكنني لم أكن أتلذذ بالأكل .. في داخلي شيء لا أعرفه .. ذهبت إلى غرفتي وأغلقت الباب على نفسي وبكيت .. بل إنني وضعت وجهي على وسادتي .. حتى ابتلت من الدموع حاولت أن أخفض صوتي حتى لا يسمعني أهل البيت ..

لا أعلم متى توقفت عن البكاء .. ولكن النوم غلبني وأنا أبكي .. ولعل عناء السفر ساعدني على النوم .. طُرق الباب عليّ .. صلاة الفجر .. خرجت إلى المسجد .. وصليت بخشوع قلب .. وبكيت في الصلاة .. أصبحت شارد

الذهن .. لا أعلم ما أصابني .. لا أعلم كيف قضيت أيامي .. لكن ليالي كانت بكاء وكان الشرود بادياً عليَّ في النهار ..

قررت أن أعود إلى بلادي .. رغم إصرارهم على المكوث .. ولكنني عزمت على العودة .. وكان خط سيري إلى جدة .. انتقلت من جدة إلى مكة .. ومكثت أسبوعاً في الحرم .. لا أخرج إلا لحاجة ضرورية .

بدأت أقرأ القرآن بتمعن .. أصلي بخشوع .. أطوف بطمأنينة ..

أين أنا عن كل هذا ؟؟ .. أين السنوات الماضية ؟؟ ..

لم أستطع أن أراجع حساباتي .. لأنه يغلبني البكاء .. والندم الشديد .. كنت إذا تفكرت في الماضي .. أفتح المصحف وأقرأ .. دموعي لا تفارقني .. أين هذه الدموع في السنين الماضية .. لا أعلم .

هدأ روعي تلك الدروس التي تقام في الحرم .. اشتريت كتاباً بعنوان : « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » .

وآخر عنوانه : واحات الإيمان لعبد الحميد البلالي .

وقبل هذا وذاك ..

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب .. .



[٢٥] قصة الرغيف (١)

استدعى نائب مصر يوماً ابن الفرات فقال له : ويحك إن نيتى فيك سيئة ، وإنى فى كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك فأراك فى المنام تمنعنى برغيف ، وقد رأيت فى المنام من ليال ، وإنى أريد القبض عليك فجعلت تمتنع عليّ ، فأمرت جندى أن يقاتلوك ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقى الضرب برغيف فى يدك فلا يصل إليك شيء ، فأعلمنى ما قصة هذا الرغيف ؟ .

فقال : أيها الوزير إن أمى منذ كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتى رغيفاً فإذا أصبحت تصدقت به عنى ، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت ، فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسى ، فكل ليلة أضع تحت وسادتى رغيفاً ثم أصبح فأتصدق به فعجب الوزير من ذلك .. وقال : والله لا ينالك منى بعد اليوم سوء أبداً .. ولقد حسنت نيتى فيك وقد أحببتك .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمى .

[٢٦] منام ويقظة [1]

قال الشيخ الكبير : اسمع يا أخي فإني محدثك بقصتي العجيبة التي جعلتني أؤمن بالله وأخشاه وأحرص على طاعته ورضاه .

قلت : تفضل وحدثني فكلي أذان صاغية .

قال الشيخ العجوز : أويت إلى فراشي ذات ليلة وليس في بدني أدنى مرض واستغرقت في نومي كعادتي ، ولكني رأيت فيما يرى النائم حلماً ليس كالأحلام ، وأمراً عجباً لا أنساه على الأيام ، ودرساً بليغاً مؤثراً ما امتدت بي الأعوام ، فقلت له : تفضل بحلمك هذا فقد شوقتني إليه وجذبت اهتمامي بأمرك أعظم الاهتمام فما الذي رأيت ؟ وما الدرس البليغ الذي تعلمت ؟ .

قال الشيخ : لقد رأيت في المنام أني قدمت وحملت إلى قبري ، وبعد أن وسدت في مثواي ، جاءني رجلان فأجلساني وسألاني عن ربي ونبيي ، فأجبتهما الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد ﷺ نبي الله إلى العالمين ، ثم قال الشيخ ؟ ليت الأمر انتهى إلى هنا فقلت : وماذا بعد ذلك ؟ .

قال : لقد أراني بركة من القطران المغلي لها أول وليس لها آخر ، تفور وتغلي وتزبد وترغي ، وبجانبها بلاط محمي بالنار ، وعليه أناس يتوضأون من القطران يشوى وجوههم ويسقط لحومهم ثم يصلون على ذلك البلاط المحمى وملائكة العذاب بأيديهم مقامع من حديد ، لتذيقهم أصناف الشقاء والتعذيب ثم التفت إليّ أحد الملائكة وقال : هذا جزاء تارك الصلاة ، انظر إليهم إنهم

---

(١) وقائع أغرب من الخيال ، لعليّ أحمد العثمان .

يقضون كل صلاة فاتتهم فى الدنيا ، ويذوقون جزاء تفريطهم فى أول الواجبات وأهم المفروضات ، والجزاء من جنس العمل .

قال محدثي الشيخ : وبينما كنت أنظر إلى هذا المشهد المؤلم المخيف ، وأرى فوران القطران ، وإذا بقطرات المغلي تصيب جلدى وتحرق رجلى فى عدة مواضع ، فتؤلمنى أشد الألم ، واستيقظت من فورى وأنا أتلوى من شدة الألم ، وأصيح من شدة العذاب ، ونظرت فى رجلى بعد استيقاظى فوجدت آثار الاحتراق عليهما فى عدة مواضع كما رأيت فى المنام .

والحقيقة أني تعجبت مما سمعت أشد العجب ، فساورنى بعض الريب بادئ ذي بدء ، ولكن الرجل كشف عن رجليه الغطاء وأرانى بأم عينى آثار ما أصابه من بلاء ، وعلامات ما ذاقه من عذاب .

ثم أردف قائلاً : أقسم بالله العظيم الذى لا إله إلا هو أني ما أخبرتك إلا بالحق وما حدثتك إلا بما حدث لي ، كان الرجل قد اعتاد المسجد محافظة على الجماعة فيه ، فلا يتخلف إلا لمرض مقعد أو عذر قاهر مجهد ، وكنت أتوسم فيه أن يكون من السبعة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ :

« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » كنت متعجباً من تقوى هذا الشيخ الوقور ، وكنت أرى تمسكه الشديد بطاعة ربه وحرصه المتين على اتباع سُنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم أكن

أعرف سر تدينه والسبب فى شدة تمسكه بإسلامه قبل هذا اليوم ، ثم أردف الشيخ قائلاً : لقد بقيت والله ستة أشهر لا أستطيع المشي على قدمي ، ولا أحسن الوقوف عليهما واستمر الألم ستة شهور حتى منَّ الله علي بالشفاء ، ولم يبق إلا آثار الحروق التى رأيتها ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم استغفرت ربى وتبت إليه عن كل ما فرط منى وصدر عنى من ذنوب ، ولقد حمدت ربى فى قرارة نفسى وقلت فى سرى كما علمت عن رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً .

ثم قال الشيخ : هل تعلم سر مجازاتى بهذا البلاء ؟ قلت : الله تعالى أعلم ، فقال : لقد كنت عاصياً لله تعالى ، آكلاً للمال الحرام ، ولذلك فإن كل قطرة أصابتنى تشبه الدينار الذهبى وقد جازانى ربى ببعض ما أستحق وإنه لخير لى ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١) ، وأردف قائلاً لقد كانت هذه الحادثة المؤلمة نقطة تحول فى حياتى وبداية توبة وإنابة إلى ربى ، وفاتحة صفحة جديدة مع خالقى ، فمنذ أن شفانى برحمته وأذهب عنى الألم لاأزال كما ترانى حريصاً على الجماعة فى المسجد ، بعيداً ما استطعت عن كل معصية لله ومخالفة لأمره ، ولقد أعدت للناس ما سلبت ونلت مسامحتهم قبل الأجل والمحاسبة عن كل عمل .

لقد بقيت هذه القصة لا تغيب عن بالى وأثرت فى نفسى تأثيراً بالغاً ، ودفعتنى إلى المحافظة على الطاعة وحقاً إنها لعبرة لمن يعتبر .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٦ » .

[٢٧] سوء الخاتمة [(١)]

قال الراوي : صحبنا على ظهر سفينة تجول بها حول البلدان طلباً لرزق الله في أرضه شاب صالح ، نقي السريرة ، طيب الخلق ، كنا نرى التقى يلوح فى قسمات وجهه ، والنور والبشر يرتسمان على محياه ، لا تراه إلا متوضئاً مصلياً ، أو ناصحاً مرشداً ، إن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا ، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده ، وكان معنا على هذه السجية طيلة أسفارنا .

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها ، وكان ما تعود عليه البحارة أن يستقروا أياماً ثم يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل ، يتجولون فى أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة فى الليل ، وكان منهم نفر ممن أضل الله يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء ، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبداً ، بل يقضى هذه الأيام يُصلح فى السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح ، فيفتل الحبال ويلفها ، ويقوّم الأخشاب ويشدها ، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك .

قال الراوى – وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته – : وفى إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له فى السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها ، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول :

---

(١) من شريط للشيخ أحمد القطان ، كتاب ٢٧٠ قصة وقصة للشهاوى .

صاحبى ، لِمَ أنت جالس فى السفينة لا تفارقها ؟!! لِمَ لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك ؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس ! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله ، ولا إلى البارات وغضب الله ، وهيهات ياصاحبى ، لكن تعال فانظر إلى مُلاعِب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها ، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلماً ، ثم يصعد برجيله ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة ، وآه لو رأيت من يمشى على المسامير أنّى له الصبر ، ومن يلقم الجمر كأنما هو تمرة ، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات ، يا أخى انزل وانظر الناس ! ، فتحركت نفس الشاب شوقاً لِمَا سمع ، فقال :

وهل فى هذه الدنيا ما تقول ؟ .

قال صاحب السوء : نعم ، وفى هذه الجزيرة ، فانزل ترى ما يسرك ، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه ، وبجولا فى أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة ، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال : سآتيك بعد قليل ولكن ! إياك إياك أن تقترب من الدار ، جلس الشاب بعيداً عن الباب يقطّع الوقت قراءة وذكراً وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ، ليُفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة .

أوّاه !! إنه الباب نفسه الذى دخل فيه الرجل ، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب ويصيخ سمعه لما يدور فى البيت وإذا به يسمع صيحة أخرى ، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئاً لم يألفه ولم يره من قبل ، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب

مستنكراً : ما هذا ؟ !! ويحك !! هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه ، فقال الرجل : اسكت يا أعمى يا مغفل ، هذا أمر لا يعنيك .

قال الراوي : ورجعنا إلى السفينة فى ساعة متأخرة من الليل ، وبقى الشاب ساهراً ليلته تلك ، مشتغل الفكر فيما رآه ، قدا ستحكم سهم الشيطان من قلبه ، وامتلكت النظرة زمام فؤاده ، فما أن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة وما فى باله إلا أن ينظر فقط ، ولا شيء غير أ ن ينظر ، وذهب إلى ذلك المكان ، فما أن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية ، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك واليوم الذى بعده كذلك فافتقده ربان السفينة وسأل عنه : أين المؤذن ؟ أين إمامنا فى الصلاة ؟ أين ذلك الشاب الصالح ، فلم يجبه من البحارة أحد ، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له : ألا تتقى الله ألا تخشى عقابه ؟؟ ، عجل اذهب فأحضره ، فذهب إليه مرة بعد مرة لكن دون جدوى فلم يستطع إحضاره لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم ، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال يحضرونه قسراً فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة .

قال الراوى : وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم وأخذ ذلك الشاب فى زاوية من السفينة يبكى ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء ، ويقدمون له الطعام ولا يأكل ، وبقى على حاله البائسة هذه بضعة أيام ، وفى ليلة من الليالى ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام فجاءه ربان وقال له : يا هذا اتق الله ، ماذا أصابك لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام ، ويحك ما الذى بدل حالك ، ويلك ما الذى

دهاك ، فرد عليه الشاب وهو يتحسر : دعنى فإنك لا تدرى ما الذى أصابنى ؟ فقال الربان : وما الذى أصابك ؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته ، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال : أعوذ بالله من هذا وقام عنه الربان وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه ، استرجع القوم وسألوا الله حُسن الختام ، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر أ . هـ .

[٢٨] عيب يا بابا [1]

كان يقطن مدينة مسلمة ، يعيش فى ضياع ، ولا يعرف الله إلا قليلاً ، منذ سنوات لم يدخل المسجد ، ولم يسجد لله سجدة واحدة ، وكان يسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء فى لهو ولعب وضياع ، تاركاً زوجته المسكينة وهى تعانى من الوحدة والضيق والألم ، عجزت تلك الزوجة الصالحة الوفية ، فهى لم تدخر وسعاً فى نصحه وإرشاده ولكن دوى جدوى .

وفى إحدى الليالى جاء من إحدى سهراته العابثة ، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً ، فوجد زوجته وابنته الصغيرة وهما تغطان فى سبات عميق ، فاتجه إلى الغرفة المجاورة ليكمل ما تبقى من ساعات الليل فى مشاهدة بعض الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو ، فجأة فُتح باب الغرفة فإذا هى ابنته الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة بعد ، نظرت إليه نظرة تعجب واحتقار وبادرته قائلة : « يا بابا ، عيب عليك ، اتق الله » ، ورددتها ثلاث مرات ، ثم أغلقت الباب وذهبت .

أصابه ذهول شديد ، فقام بإغلاق جهاز الفيديو وجلس حائراً ، وكلمات ابنته الصغيرة لا تزال تتردد فى مسامعه وتكاد تقتله ، خرج فى أثرها فوجدها قد عادت إلى فراشها ، أصبح كالمجنون لا يدرى ما الذى أصابه فى ذلك الوقت ، وماهى إلا لحظات حتى انطلق صوت مؤذن من المسجد القريب ليمزق سكون الليل الرهيب .

توضأ وذهب للمسجد ولم تكن لديه الرغبة فى الصلاة ولكن أراد أن

---

(١) جريدة المسلمون « ٤٢١ » .

يتخلص من الضيق الذى يشعر به ، وما إن سجد ووضع جبينه على الأرض حتى انفجر ببكاء شديد لا يعلم له سبباً ، فهذه أول سجدة يسجدها لله – عز وجل – منذ سبع سنوات ، ومع البكاء أحسّ بأن الإيمان بدأ يسري فى داخله ؛ لقد أخرج معه ذلك البكاء كل ما فى قلبه من كفر ونفاق وفساد .

وبعد الصلاة جلس فى المسجد قليلاً ، ثم رجع إلى بيته فلم يذق طعم النوم ، ذهب لعمله وعندما دخل على صاحبه استغرب حضوره مبكراً فقد كان لا يحضر إلا فى نهاية الدوام بسبب السهر فى الليل ، ولما سأله عن السبب أخبره بما حدث البارحة ، فقال له : احمدُ الله أن سخّر لك هذه البنت الصغيرة التى أيقظتك من غفلتك ، ولم يرسل لك ملك الموت ليقبض روحك وأنت على تلك الحالة .

وفى نهاية العمل عاد إلى بيته لينال قسطاً من الراحة وهو فى شوق لرؤية ابنته الصغيرة التى كانت سبباً فى هدايته ورجوعه إلى الله ، دخل البيت فاستقبلته زوجته وهى تبكى فقال لها : مالكِ يا امرأة ؟ فجاء جوابها كالصاعقة : لقد ماتت ابنتك .. لم يتمالك نفسه من هول الصدمة ، وانفجر فى البكاء ، وبعد أن هدأت نفسه تذكر أنّ ما حدث له كان ابتلاء من الله يختبر إيمانه ، فحمد الله – تعالى – وقام بالاتصال بزميله ، وطلب منه الحضور لمساعدته ، حضر صاحبه وأخذ الطفلة وغسلها وكفنها ، وصلوا عليها جميعاً ، ثم ذهبوا بها إلى المقبرة فقال له صاحبه : لا يليق أن يدخلها فى القبر غيرك ، فحملها والدموع تملأ عينيه ووضعها فى اللحد وهو يقول :

« أنا لا أدفنُ ابنتي وإنما أدفنُ النور الذى أضاءَ ليَ الطريقَ ... أنا لا أدفنُ ابنتي وإنما أدفنُ النور الذى أضاءَ ليَ الطريقَ ... » . أ . هـ .

فيها لها من عظة وعبرة ، فهل من معتبر ؟!! .

[٢٩] اليمين على من أنكر [1]

اقترض السيد « ... » من الحاج إبراهيم مبلغاً من المال على أن يرده إليه فى نهاية العالم المقبل ... وسجل المبلغ فى دفاتر الحسابات ، وأبدى السيد « ... » شكره وامتنانه وأصر على كتابة كمبيالة ، ولكن الحج إبراهيم الرجل الصالح قال له : لا شكر على واجب وبينى وبينك الله فهو نعم الوكيل ونعم الشهيد ، وبعد سنة تقريباً مات الحاج إبراهيم بالسكتة القلبية ... وترك زوجة وأربعة أطفال أكبرهم فى الثالثة عشرة من عمره ، وراجعت الزوجة دفاتر زوجها المتوفى وسجلاته التجارية فعرفت ما لزوجها من ديون على الناس ، فبعثت إلى السيد « ... » تطالبه بما لزوجها عليه من دين ، ولكن السيد « .. » أنكر أنه مدين بشيء لزوجها ، وزعم أنه دفع ما كان عليه من دين لزوجها .. وتسامع الناس بما حدث وانقسم الناس إلى قسمين : قسم يؤيد ورثة الحاج إبراهيم ويذكرون أنه كان رجلاً صالحاً يقرض النقود حسبة لله بدون مستند أو كمبيالة وقسم يؤيدون السيد « .. » بأنه ليس من المعقول أن يدفع الحاج إبراهيم مبلغاً من النقود للسيد « .. » بدون مستند أو كمبيالة ، والتجأت زوج الحاج إبراهيم إلى بعض أهل الخير ليحملوا السيد « ... » على تبدل موقفه والاعتراف وسداد ما أخذ ، ولكنه أعرض وأصر وتمادى واستكبر كأنه صخرة عاتية ، فقامت الزوجة بعرض شكواها على الحاكم ... وجاء يوم المحاكمة ، وحضر المتهم إلى ساحة المحكمة ... يقول الحاكم فى القضية « كنت فى قرارة نفسى مقتنعاً بأن

---

(١) عدالة السماء ، لمحمود شيت خطاب ، بتصرف واختصار .

السيد « ... » مدين للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ، ولكن لم يكن هناك دليل مادى غير تسجيل هذا المبلغ بخط الحاج إبراهيم فى سجل ديونه على الناس ، وهذا الدليل وحده لا يكفى لإثبات التهمة ، وأفاد السيد « ... » بأنه أعاد المبلغ إلى صاحبه بعد سنة ، وشهد أحد الرجال بأنه سمع السيد « ... » يثنى على الحاج إبراهيم ويذكر أنه انتشله من الفقر والحرمان باقراضه بعض المال حسبة لله .

ويقول الحاكم : كانت القضية كلها كريشة فى مهب الريح ، فحاولت أن أجر المتهم إلى الاعتراف بالدين لكنه كان يفلت من الاستجواب ... إن المحاكم فى مثل هذه القضية تطبق المبدأ القضائى البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .. وقلت للمتهم : هل تُقسم بالقرآن الكريم بأنك لست مديناً للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ولا بغيره ، وإنك دفعت ما كان له عليك من دين ؟ .

وقال المتهم : أُقسم ... ثم أقسم .. ونطقت بالحكم : البراءة .

وخرج المتهم مرفوع الرأس شامخاً من المحكمة وكان قوى البنية صحيح البدن سليماً معافى فى ريعان الشباب ، وما كاد يغادر المحكمة إلا وسمعت ضجة فأسرعت لأتبين الأمر ، فإذا بالسيد « ... » قد سقط على الأرض ميتاً على عتبة المحكمة وهتف الناس من حوله : لقد مات .. لقد مات .. يقول راوى القصة كانت زوجة الحاجة إبراهيم تسكن قريباً من دارى ، واشتقت أن أسمع الخبر منها ، فكان مما قالته ، « كان المرحوم الحاج إبراهيم باراً بجيرانه خاصة ، وبالناس عامة ، وكان يقرض المحتاجين ويكتفى بتسجيل قرضه فى سجل خاص ، وكنت ألومه على ذلك فيقول : المال مال الله وقد كنت فقيراً فأغنانى الله ... وشهدتُ محاكمة السيد « ... » وحكم القاضى بالبراءة ، فلما أقسم

اليمين اقشعر بدنى ، فقد كنت مؤمنة بأنه كاذب وأنه اجترأ على كتاب الله تعالى وقلت أخاطب الله : اللهم إنك تعلم السر وأخفى وإنك غلام الغيوب اللهم إن كان السيد « ... » كاذباً فى قسمه ويمينه فاجعله عبرة للناس ياقوى ياجبار .

وخرج المتهم من المحكمة وأنا أنظر إليه ولكنه سقط ميتاً على عتبة المحكمة لقد نجا السيد « .. » من حكم الأرض ولكنه لم ينج من حاكم الأرض والسموات .

وفى ليلة من ليالى الشتاء حيث كان الناس يأوون إلى مضاجعهم وفى ساعة متأخرة من الليل كان جرس دار الحاج إبراهيم يرن قوياً ، وكان على الباب امرأة متحشمة بالسواد يرافقها طفل فى السادسة من عمره ... وفتحت زوجة الحاج إبراهيم الباب لترى من الطارق فوجدت زوج السيد « ... » ومعها ولدها الوحيد .

وقالت زوج السيد « ... » للسيدة زوج الحاج إبراهيم : « لقد أنكر زوجى بأنه مدين للحاج إبراهيم وكنت أعرف بأنه كاذب ورجوته أن يسدد ما عليه من دين وألححت عليه ولكنه مضى فى غيه .. لقد دفع زوجى ثمن كذبه غالياً ، وهذا هو المبلغ الذى كان مديناً به لزوجك ، وألقت إليها بالمبلغ وانصرفت » .

وكانت القصة عبرة وعظة ، فهل من معتبر ؟!! .



[٣٠] واشتكى البعير

عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً فقال : « **انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل : إن رسول الله ﷺ يقول لكما أن تجتمعا** » .

فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها ، فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقيا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما ، ثم قال : « **انطلق فقل لهما : لتعد كل واحدة إلى مكانها** » ، فأتيتهما ، فقلت ذلك لهما ، فعادت كل واحدة إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابني هذا به لمم « مس شيطاني » منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين ، فقال رسول الله ﷺ « **أدنيه** » فأدنته منه فتفل في فيه « فمه » وقال : « **اخرج عدو الله أنا رسول الله** » .

ثم قال لها رسول الله ﷺ : « **إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع** » ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط « جبن جاف » وسمن فقال لي رسول الله ﷺ « **خذ هذا الكبش فاتخذ منه ما أردت** » ، فقالت : والذي أكرمك مارأينا شيئاً منذ فارقتنا .

ثم أتاه بعير ، فقام بين يديه ، فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : « **ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟** » ، فقالوا : كنا نعمل عليه فلما كبر وذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غداً ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تنحروه واجعلوه في الإبل يكون معها** » قال : فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به [١] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

[٣١] الوافدة (١)

حدثني من ليس عندي بمتهم :

كثر القيل والقال عنها عندما نزلت بلدتنا واستنعمت مرقدها عندنا ، ونفقت بضاعتها بين ظهرانينا .

فهي تداوي المرضى بالحجب والتمائم وتقارب بين القلوب النافرة بالقراءة والبخور ، وتسعى لجمع الحبيب بالحبيب بالعطور والنذور ، إنها امرأة من البادية في الثلاثينات من عمرها قصيرة القامة نحيفة الجسم سمراء اللون ، كالحة الوجه ، غائرة العينين ، تقرأ في وجهها أمارات الخبث ، ممزوجة بالمكر والدهاء ، لها تجربة في الحياة وخبرة في طبائع الناس .

اتخذت من عقول الناس مزرعة ، ومن دينهم وسيلة ، ومن سذاجتهم سبباً للرزق ، ورغم كل ذلك فاسمها الشيخة ، لقد آمن الناس بكلامها إيمانهم بالقرآن ، وصدقوها تصديقهم للرسول ﷺ ، وتهيبوها كما تهيبون الله ، تقول فيصدقون ، وتأمر فيتبعون ، وتنهى فلا يعصون ... ! .

زعمت أنها ولية من أولياء الله فلم ينكروا كرامتها ، وادعت أن لها أخوة من الجن فلم يجحدوا أخوتها ، وقالت : أنها تطلع على الغيب فصدقوها وسبحوا بحمدها ... ! .

قابلت غباء الناس بفطنتها ، وجهلهم بخبرتها ، وبساطتهم بمكرها ، لقد أقبلت عليها النساء من جميع أطراف البلدة ، وكل واحدة ولها مطلب وعندها

---

(١) قصص هادفة من واقع الحياة لمحمود درويش ، باختصار .

مشكلة ، هذه تخلف عنها حظها ، وتلك نبا بها زوجها ، وثالثة جفاها خطيبها وأخرى قاطعها حبيبها ، وتلك تشكو ضرتها أو تحسد جارتها ، وغيرها غار لبنها ، أو تشكو عدم الحمل ، أو تضيق بكثرة الولد ،ومنهن من تسأل عن ولدها المسافر ، أو تطلب لزوجها الرزق ، أو تستشفى لابنها المريض ، وبعضهن يقتبس البركات ويطمحن إلى أن يصبحن شيخات، وأما اللواتى طالبات المال ، الطامعات فى الثراء فما أكثرهن ، وقد علمن أن هذه الوافدة تحول المعادن إلى ذهب ، وتكشف الكنوز وتعلم ما فى الخزائن .... .

ومن عجيب الطباع أن هؤلاء النسوة يتطوعن لنشر شأن الوافدة دون مقابل أو تكليف ، فلا تلبث الواحدة منهن بعد أن تغادر مقر الوافدة حتى تتحول إلى داعية لها ، ساعية لتعريفها للنساء ، وما أكثر ما تتزيّد النساء فى الحديث ، وما أكثر ما يختلقن الأخبار ، فما أسرع ما انتشر خبر الوافدة فى القرية وفى القرى المجاورة ، وما أشد ما ذاع صيتها ، وبعد صوتها فى سائر الوادي ... .

والناس أصناف فى ذلك ويختلفون باختلاف الرغائب والحاجات ، فقد أقبل الناس ينشدون المحبة لديها ، وأخرون يبتغون الثروة ، وغيرهم ينشدون الغيبيات وقضاء الحاجات ، ولذلك راحت الوافدة تغالى بالقيمة وتضن بالمقابلة ، وتقبل بعض القضايا ، وترفض بعضها ، إما مغالاة بالثمن وتشويقاً لصاحب الحاجة ، وإما تعللاً بكثرة المشاغل ... .

يالغباوة ابن آدم ، كيف يتعلق بالأوهام ويهيم وراء المستحيلات ويصدق مالا يصدق ، ويتعلق بما ليس بكائن .. .

● أراك يا « أبا كمال » مأخوذاً بهذه الوافدة حتى أنزلتها منك منزلة الأولياء ؟ .

● وما هو وجه الغرابة يا « أبا حسين » ؟؟ .

● وجه الغرابة أن تتمكن امرأة من العبث بعقول الرجال يا « أبا كمال » .

● تسمى كراماتها عبثاً ؟ اتق الله يا « أبا حسين » .. .

● إذن ما تسمى تصرفاتها وشعوذاتها يا « أبا كمال » .

● وزعم أبو كمال أنه قدم للوافدة قطعاً من النحاس ، وأنها قرأت وعزمت ، وقدمت بين يديها فتحول النحاس الصدىء إلى ذهب خالص ، وشاعت رواية أبو كمال فى القرية وانتقلت منها إلى القرى المجاورة ، فأقبل الناس أفراداً وأزواجاً كل يقدم للوافدة ما لديه من ثمين المعادن لتحويلها إلى ذهب ، وعندما رأت الوافدة الإقبال على هذا المطلب راحت تشترط على زبائنها وتقسو فى الشروط ...

فهى لا تقبل من المعادن سوى الفضة لتحويلها إلى ذهب أو الذهب لتنميته وتكثيره .

ولابد لصاحب الحاجة أن يقدم بين يديه ثلاثة ديوك سود كاملة السواد أو بيض كاملة البياض ، أو جدى أو خروف خاليين من القرون ، لا أعرج بيّن العرج ولا أجزع ظاهر الجزع ، ليكون ذلك قرباناً لله ، ووليمة إلى أخواتها من أبناء الملك الأحمر من ملوك الجان ... وأن لا يتصرف خلال مدة لا تقل عن الشهر بما يؤذى الجان ، لأن ذلك يفسد العمل ، ويجعل الجان تثأر منه ومن أسرته وهذا الشرط الأخير كان صمام الأمان بالنسبة للوافدة ، وبه تتمكن من التنصل من تعهداتها كلما لزم الأمر ورغم هذه الشروط القاسية فقد ورد عليها من الذهب والفضة ما يغنيها مدى الحياة ... .

وعندما انقضت المدة وحان الأجل المضروب أقبل الناس يتفقدون الذهب

الابريز ، وما كان أشد خيبتهم عندما زمجرت الوافدة فى وجوههم زاعمة أنهم خالفوا الأوامر ، وارتكبوا الإثم تجاه إخوتها من الجن ، وأنها بذلت من جهدها ومن جاهها حتى صرفت أختها عن معاقبتهم ، إذ كانوا عازمين على « لطشهم » والانتقام منهم ، وكان الناس ينصرفون وتكاد تنخلع قلوبهم فرقاً من الجان ومن « لطشها وبطشها » بعد أن يشكروا الوافدة لما أسدت إليهم من معروف ، ودفعت عنهم من « متلوف » ويتكرر المشهد ، ويتكرر الناس ساهين سادرين يرون العبرة فى غيرهم ولا يعتبرون ... .

ومكّنت الوافدة لنفسها المقام ، ومكن الناس لها الإقامة وتفننت بشتى أساليب الشعوذة والخديعة ، وقد اتخذت لائحة أشبه بلائحة الأطباء على أبواب العيادات ، فجعلت سعر المحبة غير سعر الخطبة وسعر الزواج غير سعر الطلاق ، وللاتصال بالحلال سعر والاتصال بالحرام سعر ... .

ولقد كان للوافدة مشاريع كثيرة ذات أهداف متعددة منها : ابتذاذ المال ، وتوطيد المكانة والمقام ، ومنها أمور فيها كثير من الإثم والفسوق وكثير من اللذة والمتعة ، وكانت تعلم أن هذا الأخير أصعب مراماً وأشق منالاً من السابقين ، إذ أنها ليست على جانب من الجمال ، وليست لها حُظوة لدى الشباب ، لذا فقد زعمت أن لها أختاً من الجان تسمى مليكة ، وهى على جانب من الجمال وأنها من الرهط المؤمن من الجن ، فهى بنت الملك الأبيض من ملوك الجان ، وما زالت تضفى عليها من الصفات الحسنة والخلق الكريم ، وما زالت تجرى على يديها الكثير من الخدمات لطالبات تلك الخدمات ، وتعلن أنها تعطف على بنات الإنس ، وتجد مساعدتهن ، وقضاء حوائجهن دونما طلب منفعة وابتغاء غاية من غايات بنات الإنس ، حتى عرفت جميع النسوة خبر هذه

الأخت ورحن يتحدثن عن أخلاقها الكريمة ، وخلالها الحسنة وأصبح ذكر هذه الأخت فى كل بيت وعلى كل لسان ، وقد أحبها النساء فضلاً عن الرجال ... .

وكان فى بيت « أبو كمال » مضيف الوافدة شاب وسيم الطالعة حدث السن ، يتسم بالأناقة ويتصف بجودة الحديث ، اسمه « كمال » وكان بحكم وجوده والوافدة فى بيت واحد ، لابد أن تتلاقى أنظارهما ولو لماماً ، أما كمال فربما ابتسم لها ابتسامة تلطف وأدب ومجاملة ، وأما الوافدة فربما كانت تتأمل ذلك الفتى من خصاص الباب ومن وراء الحجاب ، وربما أعجبها وربما وجدت فيه ضالتها ، وربما عمل عمله داخل قلبها دون علم منه أو دراية ، وسواء كان هذا أم ذاك ، وسواء صدق حدسنا أم لم يصدق فقد عزمت الوافدة أن تقوم بعمل حاسم للوصول إلى هذا الشاب ، وبدأت ترسم الخطة وتعمل على هذا المشروع لدفعه إلى حيز الوجود .

لقد أبدت الوافدة رغبتها بتزويج أختها الجنية « مليكة » من هذا الشاب ، وأسرَّت بذلك لوالدته وأبيه وكانا مأخوذين فى مقام الوافدة ، مسحورين فى ولايتها ، فما لبثا أن رحبا بهذه الفكرة وباركا هذا المشروع وسارعا إلى ولدهما « كمال » يزفان إليه رغبة الوافدة ويحملانه على الموافقة على هذا الزواج .. ودار بين كمال وأم كمال هذا الحديث :

الوالدة : ما بالك يا ولدى لا تفكر بما يفكر به أترابك ، ولا تهتم بما يهتم به الشباب ؟؟ .

كمال : ماذا تريدين منى وأنا لا أزال فى أول الشباب .

الوالدة : إننى أرغب أن أراك زوجاً فى حياتى يا كمال وأن أرى لك بيتاً

وأولاداً مثل باقى الناس .

كمال : وهل فكرت لى بعروس قبل هذا الحديث يا أماه ؟ .

الوالدة : نعم فكرت لك بالعروس ولا كل العرايس .. .

كمال : ومن هى بالله عليك يا أماه ؟؟ .

الوالدة : إنهـا أخت الوافـدة إنهـا بنت الملك الأبيض ملك المؤمنين من الجان، وقد أخبرتنا الوافدة أن أختها تحبك وأنك نزلت من نفسها منزلة مكينة ، ولذلك فإنها ترغب الزواج منك .

كمال : بنت ملك الجان ؟ وكيف لى بالوصول إليها ؟ .

الوالدة : أنت وافق ، والباقى علي وعلى الوافـدة ، بارك الله فيـهـا وقـدس سرها ، وراح كـمـال يحلم بذلك الزواج ، ومـا سيكون من شأنه ، وقد سمع الكثير عن مليكة ومـا لهـا من الصـفـات الجـميلة والأخلاق الحسنة النبيلة والأيادى البيضاء على أهل القرية .

وافق كـمـال على هذا الزواج وطارت الوالدة تزف خبر الموافقة إلى « أبى كـمـال » ثم أسرعا لنقل الموافقة إلى الوافدة لتقوم هى عنهـمـا بتتميم مراسم الخطبة وشؤون الزواج ... .

وأعلن رسمياً وأمام جميع المريدات من نساء البلدة عن خطبة كمال إلى مليكة بنت ملك الجان أخت الوافدة ، ودعت الوافدة جميع مريداتها من نساء البلدة وأقامت خيمة من القماش الأبيض فى فناء الدار ، ولما حضرن أخبرتهن الوافدة أنها عقدت عقد أختها مليكة على كمال ، وأنهن فى هذه المناسبة سيقمن حضرة فى هذه الليلة ، حيث يطلق البخور ، ويكثر الإنشاد ويطيب الذكر ، وكان اجتماع ولا كغيره من الاجتماعات ، فبدأت النسوة بقرع

الدفوف ، والتهليل والتكبير ، وارتفعت الأصوات ، واشتد قرع الدفوف وخرجت النسوة عن الطور المألوف ، وصاحت الوافدة قدوس قدوس حضرت أختى ، حضرت أختى وغيرت صوتها وأخذت تتكلم بصوت عريض فهاجت النسوة وماجت واشتد الخشوع وجرت الدموع ، وكلهن يهدرن بصوت واحد : الله الله ... وفى أثناء ذلك نادت الوافدة أم كمال فأقبلت هذه بابنها وأدخلته سرادق الوافدة فاستقبلته هذه وأخبرته أن أختها قد حلّت بها وأنها ستكون الواسطة بينه وبنيها ، لأن الجان لا يظهرون عى الإنس وأنها الآن ليست الوافدة وإنما هى مليكة بنت ملك الجان ، ودخل كمال على الوافدة والدفوف تعزف والنسوة تهتف واستقبلته الوافدة بالأحضان لتوصله إلى حضن أختها بنت ملك الجان وبنى كمال بزوجته الجنية ولكن عن طريق الوافدة وبواسطتها ، ومنذ تلك الليلة والأوراد تقام ، والحضرة تنعقد ، والأذكار تهدر فى منزل « أبى كمال » إلى أن تحضر أُخت الوافدة ، وتلتقى بزوجها كمال لقاء الزوج والزوجة ، والنسوة فى أورادهن خارج الصيوان فإذا قضت الوافدة الجنية لبانتها ، وذاقت من كمال عسالته وذاق منها عسالتها أذنت للنسوة بالانصراف وبقيت مع كمال بقية ليلها ... .

كثيرة هى الأمور التى يستطيع الإنسان أن يخفى آثارها ويطمس معالمها ويدفنها فى ضميره إلى الأبد ، أما الزواج فإنه غالباً ما يعلن عن نفسه شاء الإنسان أم أبى ، فقد تظهر آثاره إن عاجلاً أم آجلاً ...

لقد شعرت الوافدة أن البذرة توضعت فى أحشائها ، وتمكنت من رحمها ، وأنه لابد لآثار الزواج أن تظهر واضحة فى تكور بطنها ، وفيما يعقب ذلك من أثقال الحمل ، وآلام الوضع وقدوم الجنين ، ولعلها رغبت فى

احتضان هذه البذرة وراحت تتعهدها أملاً باحتفاظها بزوجها ، وتوثيق الرابطة الزوجية بينهما ... .

وقد أخذت العيون تتقحمها ، والظنون تحوم حولها ، والألسنة الحداد تتناولها وتنهش من لحمها ، كان أول من لحظ عليها هذا التغير كمال وأمه وأبوه ، وقد ترددوا كثيراً قبل أن يستطلعوا أمرها ويكشفوا الغامض من سرها ، وعندما رأت هذه الأسرة أن الأعين راحت تتخطفها ، والألسن أخذت تتناولها دفعوا بولدهم كمال يستوضح أمره ويسألها عن حالها ويستفهم منها عن سبب ارتفاع بطنها .

لم يكن كمال يتوقع ما ستفاجئه به هذه الوافدة الماكرة عندما دار بينهما هذا الجوار :

كمال : رأيت الناس يشيرون إليك بالأصابع ، فخفت أن تكوني تعرضت لسوء أو تعرض لك أحد بسوء فأحببت أن أطمئن عليك .

الوافدة : أأنت الذى تسأل هذا السؤال ؟ ألست زوجى ؟؟ .

كمال : أنا زوجك ؟ .

الوافدة : نعم أنت زوجى ، وإلا فما الذى يأتى بك كل ليلة لسريرى ..؟.

كمال : عجيب أأكون زوجك وزوج أختك فى آن واحد ؟؟ .

الوافدة : أختى ؟ ومن قال لك أن لي أختاً ؟؟ .

كمال : ألم تقولى لوالدتى ولجميع النساء اللواتى يفدن إليك أن لك أختاً من الجن هي مليكة بنت الملك الأبيض من ملوك الجان ؟ .

الوافدة : حقيقة أنك غبى ، كنت أظن أنك شريكى فى اللعبة ، وأننا

نسجنا خيوطها سوية ، وأحكمنا خطتها معاً وأننا لعبنا بعقول الآخرين فزعمنا أنك تزوجت أختى ، وفى الحقيقة أنك تزوجتنى أنا وحدى .... .

كمال : أنا .. أنا .. أنا تزوجتك يا ماكرة ، يا قبيحة ، يا كرنبية ، ومسك « بخوانيقها » فصاحت واستغاثت فهرع من فى الدار ، وأقبل الجيران فرأوهما يتشاتمان : هو يقول لها .يا خادعة يا ماكرة ، وهى تقول له : يا أهبل يا غبى ، هو يقول لها : أنا تزوجت أختك مليكة ، وهى تقول له بل تزوجتنى أنا ، وأنا حامل منك .... .

والناس يتكاثرون من حولهما والوالدان صامتان مبهوتان لا يدريان ماذا يجرى ، والآخرون يتغامزون ويتهامسون ، ويناجى بعضهم بعضاً نجوى كلها إثم وتجريح وفضيحة .

وبدأ الناس ينصرفون وهم يتلاومون بعضهم يزم شفته والآخر يهز برأسه مشيراً نحوهما الله أعلم .. ولا تزال الأيدى مشتبكة والألسن مسلولة والشتائم متبادلة بين كمال والوافدة .

ولم يمض على ذلك يوم أو بعض يوم حتى وضعت السلطة يدها على هذا الوكر الأثيم ، واقتيد كمال والوافدة إلى السجن بتهمة الشعوذة ، وابتزاز المال وتعاطى الفاحشة فى السر والعلن .... .

ولا نزال إلى اليوم نسأل كمالاً عن تلك الفترة من تاريخ حياته فيحزن قلبه ، ويكفهر وجهه ، وينعقد لسانه ولا ينبس عن تلك الفترة من زواجه الوافدة أو الجنية ببنت شفه ... قلت لمحدثى لعلك تضع قصة وتدير الحديث على لسان أبطالها — فابتسم ابتسامه عريضة وقال : لا تذهب بعيداً فى ظنك فإنى أنا كمال ....

[٣٢] الجواب ما تراه لا ما تسمعه

لما نقضت الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين ، وكان الذى عقده هارون الرشيد مع رنا ملكة الروم الملقبة أغسطة ، وذلك أن الروم عزلوها واختاروا عليها النقفور وجعلوه ملكاً عليهم وكان شجاعاً متهوراً فكتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد ، فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ماكنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، وذلك من ضعف النساء وحمقهن !. فإذا قرأت كتابى هذا فأردد إليّ ما حملته إليك من الأموال وافتد لنفسك به !! وإلا فالسيف بيننا وبينك !! فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه ولا يستطيع مخاطبته ، ثم كتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ... قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه ... والسلام ، ثم قام من فوره وسار حتى نزل بباب هرقلة ففتحها واصطفى ابنة ملكها وغنم من الأموال شيئاً كثيراً ، وخرب وأحرق فطلب نقفور منه الموادعة والصلح على خراج يؤديه إليه فى كل سنة .

فأجابه الرشيد إلى ذلك ، فلما عاد الرشيد إلى « الرقة » بسورية نقض نقفور ، فلما علم الرشيد قال : أوقد فعلها ! فكر راجعاً حتى أناخ بفنائه ونال مراده وأخذ منه الجزية أضعافاً مضاعفة جزاء غدره ، قال المؤرخون : الضربات التى وجهها الرشيد للروم لم تستفق منها عشرات السنين .

[٣٣] خادم أم خادمة ؟! [١]

بعد انتظار دام زماناً قدمت الخادمة من الفلبين .. غمر الفرحة جميع أفراد العائلة الثرية .. رحب بها الجميع وبدأت أعمالها بعدما تعرفت على جميع أفراد الأسرة ، وجالت فى البيت تتأمل غرفه وأروقته .. .

تحدثت ربة البيت مع أخواتها وجاراتها وصديقاتها عبر الهاتف لتزف لهن البشرى بقدوم الخادمة الفلبينية الجميلة ، تفانت الخادمة فى عملها ، وقدمت كل جهدها ، ونالت إعجاب الجميع .

شعرت ربة المنزل براحة عندما كانت الخادمة تمسك بيدها ، أو تحسس رأسها أثناء المرض ، أو تمشط لها شعرها .. .

اكتشفت فيها مهارة جديدة .. علمت أنها تجيد التدليك .. طلبت منها أن تدلك لها جسدها .. لم تمانع الخادمة .. بل رحبت بذلك أيما ترحيب .

كانت تشعر ربة المنزل بالسرور أثناء التدليك .. ذكرت ذلك لزوجها ومدحت قدرة الخادمة وأسلوبها العجيب فى التدليك .. طلبت من زوجها أن يجرب .. نعم طلبت منه ذلك دون أن تشعر بالحرج لكون الخادمة أنثى ووافق الزوج بعد تردد .. وتكرر ذلك مراراً .. وصار يشعر بلذة أثناء التدليك وجعل الشيطان يقربه أكثر فأكثر من الخادمة .. أخذ يلاطفها ويلاعبها ويتودد إليها .. ثم بدأت الوساوس تشتد أكثر فأكثر .. شعر بهاجس يدعوه لفعل الفاحشة أخذ يتحين الفرصة .. .

---

(١) حوادث واقعية للحميدى .

وفي يوم من الأيام وبعدما أوصل عائلته لبيت أحد أقربائه ، عاد إلى البيت مسرعاً فرحاً بما سيفعل من المنكر العظيم .. ودخل المنزل وقد أعمى الشيطان قلبه .. وهرع نحو الخادمة وطلب منها أن تقوم بتدليكه .. لم تمانع الخادمة .. اقترب منها وطلب أن تمكنه من نفسها .. رفضت بشدة .. حاولت الهرب .. أمسك بها .. دفعته وحاولت التفلت من بين يديه .. جعل يجردها من ملابسها نظر إليها ...

يا للهول .. ماذا أرى ؟!! .

كانت المفاجأة مذهلة .. إنها رجلٌ وليست امرأة .. وامصيبتاه .. ماذا أفعل ؟ ، شعر الرجل بخجله من نفسه .. تذكر كيف كان هذا الرجل يدلك جسد زوجته .. مجنون أنا .. كيف قبلت بهذا ؟؟ .

تصبب العرق من جبينه .. ضاقت عليه الأرض بما رحبت .. لابد أن أتخلص منه .. وسارع إلى مكتب لتسفير الخادمة التي تبين أنها رجل ، وسلمه الخادمة وطلب منه أن يقوم بتسفيرها بأسرع وقت ممكن .

تمتم بكلمات ... ترى كم رجل في بيوت المسلمين بزي امرأة ؟!!! .



[٣٤] أمين

قال أحد التجار :

قصدت الحج في بعض الأعوام ، وكانت تجارتي عظيمة ، وأموالي كثيرة، وكان في وسطي هِمَيانٌ [١] فيه دنانير وجواهر قيِّمةٌ ، وكان الهميان من ديباج أسود .

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لأقضي بعض شأني ، فانحل الهْميان من وسطي ، وسقط ولم أعلم بذلك إلا بعد أن سرت عن الموضع فراسخ ، ولكن لم يكن يُؤثِّر في قلبي لِمَا كنت أحتويه من غنى ، واستخلفت ذلك المال عند الله ، إذ كنت في طريقي إليه تعالى .

ولما قضيت حجتي وعدت وتتابعت المِحَنُ عليَّ حتى لم أملك شيئاً ! فهربت على وجهي من بلدي ، ولما كان بعد سنين من فقري ، أفضيت إلى مكان وزوجي معي ، وما أملك في تلك الليلة إلا دانقاً ونصفاً ، وكانت الليلة مطيرةً ، فأويت في بعض القرى إلى خان خراب ، فجاء زوجي المخَاضُ فتحيرت ثم ولدَتْ ، فقالت : يا هذا ، الساعة تخرج روحي ، فاتخذ لي شيئاً أتقوى به فخرجت أخبط في الظُّلْمة والمطر حتى جئت إلى بدّال فوقفت عليه ، فكلمني بعد جهد ، فشرحت له حالي ، فرحمني وأعطاني بتلك القطع حُلْبَةً وزيتاً وأغلاهما ، وأعارني إناء جعلت ذلك فيه ، وجئت أريد الموضع ، فلما مشيت بعيداً وقُربت من الخان زَلَقتْ رجلي ، وانكسر الإناء وذهب جميع ما فيه ،

---

(١) الهِمْيَانُ : كيس تُجعل فيه النفقة ، ويُشَدُّ على الوسَط .

فورد على قلبى أمر عظيم ما ورد عليّ مثله قط ! فأقبلت أبكى وأصيح ، وإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك فى داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكى ؟ ما تدعنا ننام .

فشرحت له القصة فقال : يا هذا ، البكاء كلُّه بسبب دانق ونصف ! .

قال : فداخلنى من الغم أعظمُ من الغم الأول فقلت : يا هذا والله ما عندى شيء لما ذهب منى ، ولكن بكائى رحمة لزوجى ولنفسى ، فإن امرأتى تموت الآن جُوعاً ، ووالله لقد حججت فى سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئاً كثيراً ، فذهب منى هِميْان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه ، وأنت ترانى الساعة أبكى بسبب دانق ونصف ، فاسأل الله السلامة ، ولا تعايرنى فتُبتلَى بمثل بلوايَ .

قال : فقال لى : يالله يا رجل ، ما كانت صفة هميانك ؟ فأقبلت أبكى وقلت : ما ينفعنى ما خاطبتنى به ، أو ما تراه من جُهدى وقيامي فى المطر حتى تستهزئ بى أيضاً ! وما ينفعنى وينفعك من هميانى الذى ضاع منذ كذا وكذا ؟ .

قال : ومشَيْتُ فإذا بالرجل قد خرج وهو يصيح بى : خذ يا هذا : فظننته يتصدق عليّ ، فجئت وقلت له : أى شيء تريد ؟ فقال لى : صِفْ هميانك ، وقبض عليّ ، فلم أجد للخلاص سبيلاً غير وصفه له ، فوصفته فقال لى : ادخل ، فدخلت فقال : أين امرأتك ؟ قلت : فى الخان ، فأرسل غلمانه فجاءوا بها ، وأُدخلت إلى حُرمه ، فأصلحوا من شأنها وأطعموها كل ما تحتاج إليه ، وجاءونى بجُبَّة وقميص وعِمامة وسراويلَ وأُدْخلْت الحمام ، وقال : أقم عندى أياماً فأقمت عشرة أيام ، كان يعطينى فى كل يوم عشرة دنانير وأنا متحير

في عِظم بِرّه بعد شدة جفائه ! .

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أيّ شيء تتصرف ؟ قلت :كنت تاجراً ، قال : فلي غلات وأنا أعطيك رأس ما تتجر فيه وتشركُني ، فقلت : أفعل . فاخرج لي مائة دينار ، فقال : خذها واتجر فيها هاهنا . فقلت : هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن ألزمه فلَزِمْتُه .

فقال : اجلس ، فجلست فاخرج لي هميانى بعينه وقال : أتعرف هذا ؟ فحين رأيته شهقْتُ وأغمى عليّ فما أفقت إلا بعد ساعة ! ثم قلت له : يا هذا ، أمَلَكٌ أنت أم نبي ! فقال : أنا أحفَظُه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته ، وطالبتك بالعلامة فأعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هميانك ، فخفت أن يغشى عليك ، فأعطيتك الدنانير التى أوهمتك أنها هِبَةٌ ، وإنما أعطيتكها من هميانك ، فخذ هميانك واجعلنى فى حِلٍّ ، فشكرته ودعوت له .

وأخذت الهميان ورجعت إلى بلدى ، فبعت الجواهر وضممت ثمنه إلى ما معى واتجرت ، فما مضت إلا سنوات حتى صِرْت صاحب عشرة آلاف دينار وصلُحت حالي .



[٣٥] رزق الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دخل رجل على أهله فلما رأى مابهم من الحاجة خرج إلى البرية ، فلما رأت امرأته ما لقي قامت إلى الرحى فوضعتها ، وإلى التنور فسجرته ثم قالت : اللهم ارزقنا ، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال : وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال : فرجع الزوج . قال : أصبتم بعدى شيئاً ؟ قالت امرأته : نعم من ربنا ، فرفعتها إلى الرحى ثم قامت ... فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « **أما إنها لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة** » .

[رواه أحمد بإسناد صحيح] .

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : « أصاب رجلاً حاجة ، فخرج إلى البرية ، فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعتجن به ، وما نختبز ، فقالت امرأته : اللهم ارزقنا عجيناً ، وفي التنور « الفرن » الشواء ، والرحى تطحن فقال : من أين هذا ؟ قالت : من رزق الله ، فكنس ما حول الرحى ، فقال رسول الله ﷺ : « **لو تركها لدارت أو طحنت إلى يوم القيامة** » .

[أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة] .



[٣٦] توبة امرأة من السحر [1]

عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت :

قدمَت امرأة من « دومة الجندل » [2] تبتغى رسول الله ﷺ بعد موته ، حداثةَ ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به ، قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ! فرأيتها تبكى حتى إنى لأرحمها ؛ تقول : إنى أخاف أن أكون قد هلكتُ ، كان لى زوج فغاب عنى ، فدخلت عليّ عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به يأتك ، فلما أتانا الليل جاءتنى بكلبين أسودين ، فركبتُ أحدهما وركبتِ الآخر ، ولم يكن كشىء حتى وقفنا بـ « بابل » فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا : ما جاء بكِ ؟ فقالت : أتعلّم السّحر ، فقالا : إنما نحن فتنة ، فلا تكفرى وارجعى ، فأبيت وقلتُ : لا . قالا : فاذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ، فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم ، فقالا : هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ، فقالا : لم تفعلى ! ارجعى إلى بلدك ولا تكفرى ، فأبيت ، فقالا : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ، ثم إنى ذهبت فاقشعّر جلدى وخفت ، ثم رجعت إليهما ، فقلت : قد فعلت ، فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئاً ، فقالا : كذبت ، لم تفعلى ، فارجعى إلى بلدكِ ولا تكفرى ، فإنك على رأس أمرك فذهبت فبلت فيه ؛ فرأيت فارساً متقنعاً بحديد

---

(١) التائبون إلى الله ، للحازمى .

(٢) دُومة الجندل : بضم الدال وفتحها ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل ، أى الحجارة .

خرج منى فذهب إلى السماء وغاب عنى حتى ما أراه ، وجئتهما فقلت : قد فعلت ، فقالا : ما رأيت ؟ قلت : رأيتُ فارساً متقنعاً بحديد خرج منى فذهب فى السماء حتى ما أراه ، فقالا : صدقت ! ذلك إيمانك خرج منك ؛ اذهبى . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ، وما قالا لى شيئاً ، فقالت : بلى ! لن تريدى شيئاً إلا كان ، خذى هذا القمح فابذرى ، فبذرت ، فقلت : أطلعى ، فأطلعت ، فقلت : الحقي ، فلحقت ، ثم قلت : افركى ، ففركت ، فقلت : ايبسى ، فيبست ، ثم قلت : اطحنى ، فطحنت ، ثم قلت : اخبزى فخبزت ، فلما رأيت أنى لا أريد شيئاً إلا كان سُقط فى يدى وندمت ، والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً ، فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ ، وهم متوافرون ، فما دروا ما يقولون لها ، وكلهم هاب وخاف أن يُفتيها بما لا يعلمه .



[٣٧] مأساة مروعة

[الحمو الموت] (١)

كان يكد ويشقى الليل مع النهار لتلك المرأة التى اقترن بها ، وزيادة على ذلك التعب الصباحي وبعد أن كثر أولاده ، اضطر للعمل على سيارة أجرة يزيد بها من دخله ، وفى أحد الأيام وهو فى كده وتعبه فى سيارة الأجرة وقريباً من المغرب ، وإذا بامرأة من الجنسية الأسيوية تستوقفه لإيصالها إلى المستشفى فلما علم موظفو المستشفى أن حالتها صعبة جداً أخذوا منه رقم هاتفه ، وبعد ساعات اتصلوا به يطلبون حضوره حالاً ، فلما سألهم عن السبب ، قالوا : إن زوجته قد ولدت طفلاً ، فرد عليهم بغضب : زوجتى معى الآن فى البيت وليس عندى غيرها ، قالوا : المهم حضورك فوراً ، فلما وصل إلى إدارة المستشفى قال : ما هذه النكتة البايخة ، التى أطلقتموها عليّ ؟ الحمد لله أن زوجتى لم تسمعكم ولو سمعتكم لقامت قيامتى فى البيت ، فقالوا : لم نطلق نكتة حتى تصبح بايخة ، فالمرأة التى أوصلتها لما سألناها من زوجك أبو هذا الطفل ؟ قالت : صاحب السيارة الأجرة التى أوصلنى ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله ، ما هذا الافتراء ؟ صحيح أن « المصائب تأتيك وأنت نائم » فأراد أن يصحح هذا الاتهام ويخرج منه فطلب منهم أخذ عينة من دمه ودم الطفل ، فلما قاموا بذلك وأثناء انتظاره للنتيجة ويده على قلبه من ربه أن يخرجه من هذه

---

(١) قال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل يا رسول الله : أفرأيت الحمو ، قال : الحمو الموت » . الحمو : أخو الزوج أو أقاربه .

الورطة ، وإذا بالطبيب يقول له : نأسف على أذيتك وانشغالك معنا ، فلا دمك يوافق دم الطفل ولا أنت تستطيع الإنجاب لأنك عقيم !! .

فقال الرجل : وهذه نكتة أبوخ من سابقتها ، فأنا متزوج من سنين وعندى من الأولاد ستة وتقولون إنى عقيم !! ، افحصوا مرة أخرى وشدد عليهم فى ذلك ، فأعادوا التحاليل وجاءه الطبيب مؤكداً على نتيجة الفحص الأول قائلاً : يا أخى أما قلت لك إنك عقيم لا تنجب ؟؟!! .

فخرج الرجل من مصيبة ودخل فى أخرى .. ولما قام بالتحقيق والمتابعة إذ بأخيه يعاشر زوجته طيلة تلك السنين ، وهو مؤتمن عليه فى ماله وأهله ، فاعترف الاثنان بجريمتهما البشعة المأساوية الشنيعة ، فكانت المرأة الأسيوية سبباً فى ذلك ، فلم يستطع الثلاثة الزوج والزوجة والأخ أن يفلتوا مما قدره الله وكتبه عليهم ، وصدق الله القائل : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (١) ، (٢) .

---

(١) بتصرف من مجلة النور الكويتية « عدد ١٥٩ » .
(٢) سورة إبراهيم الآية « ٤٢ » .

[٣٨] انتقام الجبار

توفى زوجها وترك لها ٧ أولاد ، فترك أكبرهم دراسته لكى يعول والدته وأخوته وعمل فى حانوت أبيه ... وبعد ثلاث سنوات دُعى الولد الكبير إلى الخدمة الإلزامية فبرزت عند ذلك مشكلة أخرى وهى : من ينفق على هذه العائلة ، هل يضحى الابن الثانى بالدراسة كما ضحى أخوه ... كان هناك حل واحد فقط لإعفاء الأخ الأكبر من الخدمة الإلزامية ، وهو دفع البدل النقدى ، واجتمعت العائلة واستقر رأيهم على رهن البيت الذى يسكنون فيه ، وبالفعل رُهن البيت بأربع مائة دينار ، وبعد إجراء عملية الرهن انطلقت الأم العجوز إلى محطة تجمع سيارات الأجرة لكى تسافر إلى المدينة التى تبعد عنهم بأكثر من مئتين وأربعين كيلو متراً لدفع البدل النقدى عن ولدها – قبل انقضاء مدته بيوم واحد – وعند المحطة لم يكن هناك مسافرون كثيرون وانتظرت الأم وانتظرت قرابة الساعة ، فلم يأت أحد وأشرفت الشمس على الغروب ، فكان لابد لها أن تستأجر سيارة خاصة لتوصيلها قبل أن ينتهى مدة سداد البدل ، واستأجرت السيارة ثم انطلقت بها بعد أن قبض السائق أجرته كاملة ، وكانت الطريق بين المدينتين تمر بين جبال ووديان وبعد ابتعاد السيارة عن المناطق المأهولة ، واقترابها من المناطق الخالية ، تحدث سائق السيارة مع العجوز ... ولعله سألها عن سر استعجالها فى ذلك ، فقصت عليه قصة بيع البيت وقصة دفع البدل النقدى عن ولدها ، فلعب الشيطان بعقل الرجل وبعد قليل أوقف السيارة على الجانب الأيمن بقرب وادٍ سحيق .. ونزل وفتح الباب على المرأة وسحبها من السيارة سحباً ، ولم تستطع المسكينة أن تقاوم ، وأخرج المجرم سكيناً وأوسعها

طعناً ثم أخذ ما معها من مال ، وسقطت المرأة متضرجة بدمائها وهى تئن وتنزف الدماء غزيرة ، وليس بقربها مخلوق فى هذا المكان الموحش المنقطع ، وركب الرجل سيارته ووصل إلى المدينة وعاد محملاً بالركاب ، وعندما اقترب من مسرح جريمته أوقف السيارة وادعى أنه سيقضى حاجته ، ولم يكن الركاب يعلمون ما اقترفت يداه .. لقد أراد المجرم أن يتأكد من موت العجوز لأنه تركها وهى تئن وتعالج السكرات ... ونظر الرجل إلى ضحيته فوجدها ما زالت تئن وهى على قيد الحياة لم تمت بعد ، وإذا بالظالم ينحنى ويأخذ حجراً عظيماً ويرفعه إلى أعلى صائحاً أيتها الملعونة ألا زلت على قيد الحياة حتى الآن ... وجمدت المرأة ... وكأنها تنظر إلى أجلها وفى تلك اللحظة انطلقت من السائق صرخة مدوية هزت الوادى ... فقد كان تحت هذه الصخرة ثعبان عظيم لدغ هذا المجرم قبل أن يجهز على هذه المسكينة ، ونزل الركاب من السيارة على هذه الصرخة المدوية ... فإذا بهم يشاهدون السائق جثة هامدة ، وامرأة تئن وتتمتم بكلام غير مفهوم ... وحُمل السائق والمرأة وجاءت الشرطة وحُملت المرأة إلى المستشفى وبين تأوهاتها طلبت ولدها ثم راحت فى غيبوبة طويلة ... فظن الممرضون أنها تعانى من سكرات الموت ... وفى اليوم التالى أفاقت المرأة من غيبوبتها ... وحققت الشرطة فى الأمر وأخذوا الأموال من المجرم وأعادوها للمرأة ثم قالت لولدها وهى فى شبه غيبوبة ، ادفع البدل سريعاً ... وأغمضت عينيها وذهبت فى غيبوبة أخرى ... ولكنها لم تمت .. ويوماً بعد يوم تحسنت حالتها الصحية والمادية وفرج الله عنها ... وها هو راوى القصة اللواء الركن « محمود شيت خطاب » يذهب إلى دارها الجديدة العامرة ويسألها ... ما الذى كنت تقولينه وأنت ملقاه فى الوادى ؟ فترد العجوز المؤمنة كنت أقول : « يا جبار

السماوات والأرض أنت أعلم بحالى فهيئ لى بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقدى عن ولدى ليعود إلى أهله ويعيلهم ... يارب » .

يالها من مناجاة ... يا لها من تضحية ... لم تفكر فى غزارة الدم الذى يسيل منها ولم تفكر أنها لربما ترحل عن الدنيا بعد ثوان معدودة ولكنها فكرت فى كيفية إعالة أولادها ... وبعد المناجاة جاء الفرج من رب الأرض والسماوات ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ (١) ، إنه الله جل جلاله (٢) .

(١) سورة النمل الآية « ٦٢ » .
(٢) عدالة السماء لمحمود شيت خطاب « بتصرف واختصار » .

[٣٩] من أطيع ... ؟

انتهى اليوم الدراسى ، وعادت الفتاة الصغيرة إلى منزلها وقد غشى وجهها سحابة من الحزن ، ولمحت الأم الحنون أن هناك أمراً يعتمل في نفس صغيرتها ولم تحتج إلى جهد لتفصح الفتاة وتقول الفتاة : أماه ! إن مُدرستى هددتنى بالطرد من المدرسة لأجل هذه الملابس الطويلة التى ألبسها ! .

الأم : ولكنها الملابس التى يريدها الله ! .

الفتاة : نعم يا أماه ، ولكن المُدرسة لا تريدها ! .

الأم : حسناً يا ابنتى ، المُدرسة لا تريد ، والله يريد ... فمن تطيعين ؟ ، أتطعين الله الذى أوجدك وصورك وأنعم عليك ؟ أم مخلوقةَ لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً .

الفتاة : بل أطيع الله .

الأم : أحسنت يا ابنتى وأصبت .

وفى اليوم التالى انفجرت المُدرسة غاضبة مؤنبة تلك الفتاة التى تتحدى إرادتها ولا تستجيب لطلبها ، ولا تخاف من تهديدها ووعيدها ، ولما زادت فى التبكيت وثقل الأمر على الصغيرة ولم تستطع أن تواجه ذلك السيل من المُدرسة وتلك النظرات من زميلاتها ، عند ذلك انخرطت فى بكاء شديد ، ذهلت له المُدرسة وجعلها تتوقف وتهدأ ، ثم قالت الفتاة : والله لا أدرى من أطيع ؟ أنت أم هو ؟ .

المُدرسة : ومن هو ؟ .

الفتـاة : الله ، أأطيعك أنت فأُلبس ما تريدين وأغضبه هو ؟ ، أم أطيعه وأعصيك ؟ ، سأطيعه سبحانه وليكن ما يكون ... .

وسكتت المُدرسة وفى اليوم التالى دعت المُدرسة أم الفتاة لتقول لها المُدرسة : لقد وعظتنى ابنتك أعظم موعظة سمعتها فى حياتى [١] .

(١) مجالس النساء .

[٤٠] قصة اللص الشيطان (١)

وقعت أحداث هذه القصة الغريبة فى اليمامة التى تقع وسط الجزيرة العربية وتتبع المملكة العربية السعودية .

أما زمان الأحداث فهو آخر القرن الأول الهجرى فى عهد أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك « والحجاج الثقفى » والى العراق والمشرق .

فى ذلك الزمان عاشت اليمامة شهوراً حزينة تمتلئ بالقلق والخوف والرعب ... الناس ينامون خائفين ، ويمشون فى الشوارع غير آمنين ، وكل منهم يتوقع أن يكون هو الضحية القادمة .. فالكل مهددون فى أية ساعة من الليل والنهار ... فاللص الغامض ينهب الأغنام والأموال دون أن يرده أحد .

وذات يوم حاول بعض الفتيان الأشداء أن يعترضوا طريقه ويمنعوه من السرقة ويستردوا منه بعض ما نَهَب .. كان الوقت ظهراً ، واللص الغامض يتحرك فى الشوارع واثقاً من نفسه ، وعندما تصدى له الفتيان قاتلهم فى مهارة وشراسة وسرعة ، ففروا ومن يومها خاف الناس أن يتصدوا له وقالوا : إنه ليس لصاً عادياً ... إنه شيطان فى ثوب لص أو لص من الشياطين ، وحكى الناس عنه حكايات كثيرة غريبة بعضها حدث والبعض الآخر لم يحدث ، وأصبحت حكاية هذا اللص الشيطان على كل لسان .

وانتشر خبر هذا اللص من حى إلى حى ، ومن مكان إلى مكان ، وعَمّ الفزع البلاد ، حتى الحراس والخفراء أصابهم الفزع ... ووصل الخبر إلى والى

---

(١) تسالى الليالى ، لنشأت المصرى .

البلاد وحاكمها الحجاج والى العراق والمشرق – ومن بينها تهامة – فغضب أشد الغضب ، وكتب إلى حاكم إقليم تهامة يؤنبه لعجزه عن القبض على ذلك اللص الشيطان ، وأمره أن يقتله أو يرسله إليه أسيراً ، وهدد الحجاج حاكم إقليم تهامة بأنه إذا عجز عن القبض على اللص الشيطان فسوف يبدله بحاكم آخر أقوى منه .

وفى الحقيقة أن حاكم اليمامة كان يعرف من هو اللص ، وكان يعرف اسمه .. فهو « جَحْدَرْ » أخطر لصوص البلاد على الإطلاق .. وكان حاكم اليمامة فى حيرة وضيق لأن رجاله عجزوا عن القبض على « جحدر » .. لكن لما وصل الأمر إلى الحجاج وأحس بأنه قد يعزله ويولى غيره .. بدأ يفكر فى حل حاسم لمواجهة هذه المشكلة .. إن المواجهة مع جحدر تنتهى دائماً لصالحه ، إذن .. لا مفر من اللجوء إلى الحيلة والمكر والخديعة .

اختار الحاكم فتيان أشداء شجعاناً أذكياء ، واتفق معهم على مكافآت ضخمة إن هم أحضروا له جحدر مقيداً أو مقتولاً ، ودبّر معهم خطة الخديعة ، وترك لهم مهمة تنفيذها .

أرسل الفتيان إلى جحدر أنهم ضاقوا بالحياة فى قومهم ، وأن قومهم ضاقوا بهم لأنهم اعتادوا السرقة والنهب ، وأنهم سمعوا بجرأة جحدر وأعجبوا به ومن الخير لهم وله أن يجعلوه زعيماً عليهم يعملون تحت أمره ، وينفذون خطط السرقة التى يحددها لهم ، ثم يعطيهم نصيبهم الذى يرضاه لهم مما سرقوا على ألا يزيد ما يأخذه عن الربع من كل حصيلة ، وعرضوا عليه أن يجربهم بعض الوقت فإن أرضته شجاعتهم استمروا معه ، وإلا سرقوا لحسابهم هم فقط .

كان جحدر شديد الثقة بنفسه ولا يتصور أن أحداً يمكن أن يخدعه أو

يغلبه ، فوافق على عرض الفتيان ، وجربهم مراراً وأعجبته حيلتهم وشجاعتهم ، وراح جحدر يحلم بأنه فى أقرب وقت سيصبح أغنى أغنياء اليمامة بفضل جهود وإخلاص هؤلاء الفتية .

ولما تأكد الفتيان أنه أنس إليهم ووثق بهم تآمروا على انتهاز أول فرصة تتاح لهم للقبض عليه .

وسرعان ما أقبلت الفرصة المناسبة ، ففى ليلة من الليالى نام جحدر بين الفتيان مطمئناً إلى حمايتهم له ، ولهذا ألقى سيفه بعيداً قبل نومه وخلع خنجره ، فهو لا يحتاج إلى سلاح ما دام ينام بين أصدقائه ، وكان النسيم منعشاً والأرض ساكنة ، فنام جحدر نوماً عميقاً ، والفتيان ينظرون إليه فى حذر ، وينظرون إلى بعضهم البعض نظرات خاطفة كأنهم يخشون أن يراهم فيفهم ما يدور فى عقولهم .

وأطلق كبير الفتيان إشارة البدء التى اتفق عليها فتحركوا جميعاً فى خفة وحذر وأحضروا الحبال المتينة التى جهزت من قبل وقيدوا يدى جحدر ورجليه بالحبال وشدوا ذراعيه إلى جسمه شداً يكاد يكسر أضلاعه .

وأثناء ذلك صحا جحدر من نومه ونظر حوله فى ذهول ، ووجد أن القيد محكم يستعصى على المقاومة فصمت فى غيظ وكبرياء ، وأغمضوا عينيه بقطعة من قماش حتى لا يعرف ما يدور حوله أو الطريق الذى يمشون فيه .. ورغم شدة القيد أفزعهم سكونه الغامض واستسلامه لابد أنه سيفاجئهم بشىء لم يحسبوا حسابه ، ومضت الساعات ثقيلة وأعصابهم مرهقة متوترة إلى أن وصلوا إلى حاكم اليمامة فرحين فائزين بالمكافأة الكبيرة المنتظرة ، وسعداء لأنهم خلصوا أهلهم أخيراً من هذا اللص الشيطان .

عندما رآهم حاكم اليمامة لأول وهلة صاح منتشياً : الحمد لله ... الحمد لله ... ما أشجعكم أيها الفتيان ... بارك الله فيكم ... أخيراً سيرضى عنه الوالى الحجاج ... ولم يضيع وقتاً وأرسل إلى الحجاج فى الكوفة بالعراق رسالة عاجلة مع بعض الفرسان . يزفّ إليه النبأ السعيد .

وسمع الناس بسقوط اللص الشيطان فازدحمت بهم الطرقات يترقبون رؤية اللص وهو مكبل بالقيود .

كان الناس يتخيلون جحدراً عملاقاً ضخم الجسم ، قوى العضلات ، فلما رأوه نحيف الجسم متوسط القامة صغير الرأس لم يصدقوا عيونهم ... كانوا يتصورون جحدر على هيئة شيطان ، وأرسل الحجاج فى طلب جحدر .. فنقل إليه فاجتمع حوله جمع من القادة وكبراء القوم ليروا الجبار الذى صار ذليلاً .

وقف جحدر بين يدى الحجاج ... سأله الحجاج وقد أدهشه ثباته :

- أنت جحدر ؟ .
- نعم .. أنا جحدر بن ربيعة .
- وما الذى دفعك إلى ارتكاب جرائمك ؟ .
- ظلم الزمان ، وجرأة القلب ، وإفلاس الجيب ، وجُبْن الناس .

دهش الحجاج لجرأة هذا اللص وفصاحة لسانه وصراحته رغم اقترابه من الموت والهلاك ، واستمر الحجاج فى سؤاله :

- هل تعرف ما هو عاقبة أمرك ، ونتيجة أفعالك !! .
- لو اخترتنى أيها الأمير ... وجعلتنى من فرسانك لرأيت منى ما يعجبك .
- أنت تكون من فرسانى !!! هاهاها ... إن اللصوص لا يحسنون غير

السرقة والتلصص ، فلا تطمع فى شىء غير الجزاء المحتوم .

● لو جربت حكمتى فى المآزق لوجدت منى ما يسرّك .

● سنجربك لنرى .

● أعز الله الأمير ... إننى أقبل بأى شروط للتجربة .

● لكنها تجربة قاسية ، الموت أهون منها ... .

● للأمير أن يأمر بما يريد .

● إنها تجربة فى غير ميدان الحرب المعروف والمألوف .

● أنا مستعد للتجربة .. أية تجربة .

● ليست التجربة مع واحد من البشر .

● حتى لو كانت مع جِنّى .

● ولا مع جنى .

● أيها الأمير ، أنا فى طاعتك منذ الساعة ، فجربنى بما تريد .

● سألقى بك أمام أسد شرس فتاك ، وليس معك سلاح إلا السيف ، فإن قتلك تكون نلت عقابك ، وإن قتلته عفونا عنك .

● أصلح الله الأمير ... لقد دنا الفرج ، وقرب العفو .

● لا تفرح هكذا ، فهناك مفاجأة فى انتظارك .

● أمر الحجاج بحبس جحدر ، وكانت المفاجأة أن الحجاج أعد لجحدر أسداً شرساً لا أشرس منه ، أمر بمنع الطعام عن الأسد لتجويعه لمدة ثلاثة أيام حتى لا يفلت منه جحدر ... .

وجاء يوم الصراع ... وعرف الناس به ، وكان يوماً قائظاً شديد الحرارة ،

لكن الناس حضروا ولم يبالوا بالحر فى زحام كبير ، كما حضر الحجاج وقواده ووزراؤه هذا المشهد النادر ... ورغم كراهية الناس لجحدر لكنهم أشفقوا عليه من مواجهة الأسد ، فلابد أن الأسد سيلتهمه إلتهاماً بعد ثلاثة أيام من الجوع ، فياله من منظر مروع .

أشار الحجاج إشارة فأخرجوا الأسد إلى مكان الصراع ومشى الأسد يبحث فى غرور عن طعامه القادم ، كان الأسد ضخماً ، كبير الرأس ، حاد الأنياب ، محمر العينين ، معروف بضحاياه الكثيرة من الناس والحيوانات ، عندما رآه الناس ذعر أكثرهم وأيقنوا أن جحدر النحيل لن يقف أمام هذا الأسد لحظات معدودة يصير بعدها عظاماً وحطاماً .

وأشار الحجاج إشارة ثانية ، فأحضروا جحدر قد تعرى معظم جسده ، وبيده سيف فانحنى جحدر أمام الحجاج فى ثبات وقوة قائلاً :

● أعز الله الأمير ... هذه ساعة النهاية ، فهل أنال عفوك إذا انتصرت ؟

● إن انتصرت عفونا عنك .

وأنزلوا جحدرا إلى حفرة الأسد الواسعة فنزل ثابتاً بلا خوف ولا تردد .. كأنه ذاهب ليصيد غزالاً ، فلما رآه الأسد مقبلاً عليه زأر زئيراً قوياً أرعب الحاضرين المتفرجين فدقت قلوبهم دقاً عنيفاً ، أما جحدر فكان يتقدم إلى الأسد لا يفر ولا يتقهقر ولا يستعطف ، إنه يعتبره مجرد عدو طارىء وسمعه المتفرجون ينشد بصوت قوى جرئ .

لَيْثٌ وليثٌ [1] فى مجال ضنك [2] كلاهما ذو قوة وسفك

(١) الليث : الأسد .
(٢) ضنك : الضيق والشدة .

وعلى غير ما كان يتوقع الجميع بدأ جحدر بالهجوم على الأسد بعد أن أطلق صيحة مدوية ، وحين رأى الأسد ذلك اتجه مسرعاً نحو جحدر وبخفة خاطفة انفلت جحدر من أمام الأسد ، وعندما استدار الأسد باتجاه جحدر كان سيف جحدر فى استقبال هجمة الأسد فكانت ضربة مؤثرة لكنها غير قاتلة .

قفز الأسد إلى الوراء ليعيد الانقضاض والهجوم على جحدر وقد آلمه الجرح ففتح فمه وظهرت أنيابه كالسهام ، وفى لحظات تقدم الأسد إلى جحدر فأسرع بضربه فى رقبته ضربة قاتلة .

حينئذ كبّر الناس وانقلبوا من كره جحدر إلى الاعجاب به ، وتمنوا لو كانت هذه الشجاعة وذلك الذكاء يستفاد منه لخير الناس بدلاً من الإجرام ، أما جحدر فقد مسح عرقه بيده ومشى إلى الحجاج مشية لا كبر فيها ولا زهو ، فصافحه الحجاج وقال له :

ما أشجعك يا جحدر ... إننى أخيّرك بين أن تقيم عندى مُكرّماً وأن أعيدك إلى اليمامة على ألا تؤذى أحداً ويستقيم سلوكك ، فقال جحدر وقد تأكد أن الحجاج سينفذ وعده : أيها الأمير ... أفضل أن أكون معك ، وأعاهدك أن أكون سيفك على العصاة والمجرمين .

وحقق له الحجاج رغبته وأصبح حامياً لأموال الناس وأرواحهم ليكفر عن ذنوبه وآثامه ... وكان يقضى فى العبادة والصلاة باكياً نادماً على ما فعل راجياً التوبة من الله التواب الرحيم [1] .

---

(١) تسالى الليالي ، نشأت المصرى .

[٤١] آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً [١]

عن إبراهيم الخوّاص [٢] الصوفي رحمه الله تعالى قال :

ركبت البحر مع جماعة من الصالحين ، فكُسر بنا المركب ، فنجا منا قومٌ على لوح من خشب المركب ، فوقفنا على ساحل لا ندرى فى أى مكان هو ، فأقمنا فيه أياماً لا نجد ما نقتاته ، فأحسسنا بالموت ، وأيقنّا بتلفنا من الجوع لا محالة .

فقال بعضنا لبعض : : تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئاً ، فلعلّه أن يرحمنا فيخلّصنا من هذه الشدة .

فقال بعضنا : أصوم الدهر كله .

وقال الآخر : أصلّي كل يوم كذا وكذا ركعة .

وقال بعض : أدع لذات الدنيا ، إلى أن قال كل واحد منهم شيئاً ، وأنا ساكت .

فقالوا : قل أنت الآخر شيئاً .

فلم يجر على لساني إلا أن قلت : أنا لا آكل لحم فيل أبداً .

فقالوا : ما هذا القول فى مثل هذا الحال ؟ .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمي .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبرى : أحد الشهود ببغداد ، أم الناس بالمسجد الحرام ، أيام المواسم ، وكانت داره مجمع أهل القرآن والحديث ، ترجم له القاضي التنوخي فى القصة ٧/٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، ونقل عنه كثيراً من القصص ، وترجم له الخطيب البغدادى ١٩/٦ .

فقلت : والله لم أتعمّد هذا ، ولكنى منذ بدأتم فعاهدتم الله تعالى عليه ، وأنا أعرض على نفسى أشياء كثيرة فلا تطاوعنى بتركها ، ولا خطر ببالى شىء أدَعه لله تعالى ، ولا مرّ على قلبى غير الذى لفظت به ، وما أجرى هذا على لسانى إلا لأمر .

فلما كان بعد ساعة ، قال أحدنا : لِمَ لا نطوف هذه الأرض متفرقين فنطلب قوتاً ، فمن وجد شيئاً أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة .

قال : فتفرّقنا فى الطواف ، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير ، فلوّح بعضنا لبعض فاجتمعنا ، فأخذه أصحابنا ، واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون .

فقالوا لى : تقدم وكل معنا .

فقلت : أنتم تعلمون أني منذ ساعة تركته لله – عز وجل – وما كنت لأرجع فيه ، ولعلّ ذلك قد جرى على لساني من ذكري له ، هو سبب موتى من بينكم ، لأنى ما أكلت شيئاً منذ أيام ، ولا أطمع فى شىء آخر ، ولا يراني الله – عز وجل – أنقض عهده – ولو مت جوعاً ، فاعتزلتهم وأكل أصحابى .

وأقبل الليل ، فآويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها ، وتفرق أصحابى للنوم ، فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر ، والصحراء تتدكدك بنعيره وشدّة سعيه وهو يطلبنا .

فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فتشهّدوا ، فأخذنا فى الاستغفار والتسبيح ، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم .

فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً منهم ، فيتشمّمه من أول جسده إلى آخره ، فإذا لم يبقَ منه موضعاً إلا شمّه ، شال إحدى قوائمه فوضعه عليه ففسخه ، فإذا علم أنه قد تلف ، قصد إلى آخر ففعل به مثل فعله بالأول ، إلى

أن لـم يبـق غـيري ، وأنـا جالـس منتصـبٌ أشاهـد ما جـرى وأستغفـر الله – عز وجل – وأسبّح .

فقصدنى الفيل ، فحين قرب منّي ، رميت بنفسى على ظهرى ففعل بى مثل الشم كما فعل بأصحابى ، ثم عاد فشمّنى دفعتين أو ثلاثاً ، ولم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيرى ، وروحى فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعاً ، ثم لفّ خرطومه عليّ وشالنى فى الهواء ، فظننته يريد قتلى ، فجهرت بالاستغفار ، ثم لفّني بخرطومه فجعلنى فوق ظهره ، فانتصبت جالساً ،و اجتهدت فى حفظ نفسى بموضعى .

وانطلق الفيل ، يهرول تارة ، ويسعى تارة ، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع فى الحياة ، وتارة أتوقّع أن يثور بى فيقتلنى ، فأعاود الاستغفار ، وأنا أقاسى خلال ذلك من الألم والجزع لشدّة سرعة سعي الفيل أمراً عظيماً ، فلم أزل على ذلك ، إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوءه ، فإذا به قد لفّ خرطومه عليّ .

فقلت : قد دنا الأجل وحضر الموت ، وأكثرت من الاسغفار .

فـإذا به قـد أنزلنى عن ظهـره برفق ، وتركنى على الأرض ، ورجع إلى الطريق التى جاء منها وأنا لا أصدق ، فلما غاب عنى حتى لا أسمع حسًّا ، خررت ساجداً لله تعالى ، فما رفعت رأسى حتى أحسست بالشمس ، فإذا أنا على محجّة عظيمة ، فمشيت نحو فرسخين ، فانتهيت إلى بلد كبير فدخلته ، فعجب أهله منّي ، وسألونى عن قصّتى ، فأخبرتهم بها ، فزعموا أن الفيل قد سار بى فى تلك الليلة مسيرة أيام واستطرفوا سلامتى .

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدة التي قاسيتها ، وتندّى بدني ، ثم سرت عنهم مع التجار ، فركبت في مركب ، ورزقني الله السلامة ، إلى أن عدت إلى بلدي [1] .

(١) نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ١٢٧/٣ .

[٤٢] نهاية مؤسفة

١ - مات فى الحمام وبيده سيجارة !!

شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ... ابتلى بشرب الدخان لعدة سنوات ... وذات يوم أدخل المستشفى بسبب ألم مفاجئ ، وهو هبوط فى القلب .. ووضع عدة أيام بغرفة العناية المركزة تحت مراقبة الأجهزة الطبية المتطورة .. حيث أن الطبيب المشرف على علاجه أصدر أوامره لهيئة التمريض بعدم إدخال الدخان للمذكور لأنه السبب الرئيسى لمرضه ... وتفتيش الزوار خوفاً من تسلل الدخان له خفية .. تحسنت صحته وبدأ يستعيد نشاطه .. إلا أنه لم يتقيد أخيراً بتعليمات الطبيب حيث عاد إلى التدخين .. .

وفى أحد الأيام فُقدَ هذا الشاب .. فبحثوا عنه فوجدوه فى أحد الحمامات وقد فارق الحياة « وبِيَدِه سيجارة » .. إنها نهاية مؤسفة نسوقها إلى كل مدخن عله أن يتوب إلى الله من هذا السم القاتل ويقلع عن التدخين .

٢ - أنا القاتل وأنا القتيل :

وقفت أمام القاضى- التهمة الموجه أم اشتركت مع ابنتها فى قتل ابنها - يقول القاضى : لماذا قتلت ابنك ؟ فلا تنطق بحرف حتى طال الصمت ، فقالت وهى تبكى وتتجرع الآلام « هو ابنى الوحيد مات أبوه عنه وعن اخته ، ثم سلك طريق الهاوية المظلمة ليضع نفسه بين فكي الشيطان يأخذ المال ويسرقه كل هذا بسبب وقوعه فى الدخان العفن ، ثم وقع بعدها بالسموم القاتلة ، تزوجت أخته ، وصرت وإياه وحدنا فى البيت ، ليته اكتفى بضربى وأخذ المال منى بقوة ، بل فى ليلة موحشة كوجهه ، جاء ليهتك عرضى ، وأنا أمه وبقدرة

قادر هربت منه وذهبت إلى إبنتى وزوجها وطرقت الباب فى وقت متأخر لتصرخ ابنتى « ما الذى مزق ثيابك ؟ » دخلت عندها وتركت له البيت فباع أثاثه وبعد شهر جاءت ابنتى إلى البيت فإذا هو جحيم لا يطاق وأخذنا فى تنظيفه حتى تعبنا فنمنا فيه ، فقمت على صرخة حفيدتى الصغيرة والوحش يقودها إلى غرفة ليفعل بها الفاحشة ، فقمت مسرعة إلى السكين وقتلته ضربة تلوى الأخرى ثم بكت وقالت : نعم قتلته إننى القاتلة ، وأنا القتيلة ، أنا القاتلة ، أنا القاتلة وأنا القاتلة ، أنا السكين وأنا الجرح أنا المقتولة ، أنا . أنا . أنا .

[٤٣] قصة ابن صياد [١]

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ فى رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان فى أطم [٢] ، بنى مغالة [٣] ، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ، ثم قال :

« أتشهد أنى رسول الله ﷺ ؟ » .

فنظر إليه فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، ثم قال ابن صياد : أتشهد أنى رسول الله ؟ .

فرضه [٤] النبى ﷺ ثم قال : آمنت بالله ورسوله ثم قال لابن الصياد : « ماذا ترى ؟ » قال : يأتينى صادق وكاذب ، قال رسول الله ﷺ : « خلط الأمر عليه » .

قال رسول الله ﷺ : « إنى خبأت لك خبيئاً » [٥] .

فقال ابن صياد : هو الدخ .

---

(١) قصص النبى ﷺ ج ٥ لفتحى الخولى .

(٢) ، (٣) الأطم : الحصن ، جمعه آطام ، وبنو مغالة : بطن من الأنصار ، وقيل : بنو مغالة : كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط ، مستقبل مسجد رسول الله ﷺ .

(٤) فرضه : بالضاد المعجمة التى معناها الكسر ، قال الخطابى : هو غلط ، والصواب : فرصه بالصاد غير معجمة أى : تناوله فضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض ومنه رص البناء ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الصف : ٤ . وقيل فضله أى ترك سؤاله الإسلام ليأسه فيه حينئذ ، ثم شرع فى سؤاله عما يرى .

(٥) كان قد خبأ يوم تأتى السماء بدخان مبين ، والدخ : الدخان .

قال رسول الله ﷺ : « اخسأ [١] ، فلن تعدو قدرك » [٢] .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، أتأذن لي فيه أضرب عنقه ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « إن يكن هو ، لا تسلط عليه ، وإن لم يكن هو ، فلا خير لك فى قتله » ، قال ابن عمر : انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأُبى بن كعب الأنصارى يؤمان النخل التى فيها ابن صياد ، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ طفق رسول الله ﷺ يتقي بجذوع النخل ، وهو يختل [٣] ، أن يسمع من ابن صياد شيئاً ، قبل أن يراه ، وابن صياد مضطجع على فراشه فى قطيفة له فيها رمرمة ، أو زمزمة [٤] ، فرأت أم ابن صياد النبى ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد : أي صاف ، وهو اسمه ، هذا محمد فتناهى ابن صياد .

قال رسول الله ﷺ : « لو تركته بين ! » [٥] .

فقام رسول الله ﷺ فى الناس ، فأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : « إنى أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكنى سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبى لقومه : تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور » [٦] .

---

(١) اخسأ : زجر للكلب وإبعاد له ، هذا أصل الكلمة ، واستعملتها العرب فى كل من قال أو فعل ما لا ينبغى له مما يسخط الله .

(٢) قال الخطابى : يحتمل وجهين : أحدهما : يريد أنه لا يبلغ قدره أن يطالب الغيب من قبل الوحى الذى يوحي به إلى الأنبياء ، ولا من قبل الإلهام الذى يلقى فى روح الأولياء ، وإنما كان الذى جرى على لسانه شيئاً ألقاه الشيطان حين سمع النبى ﷺ يراجع به أصحابه قبل دخول النخل ، والآخر : أى : لن تسبق قدر الله فيك ، وفي أمرك .

(٣) أى يطلب أن يأتيه من حيث لا يعلم ، فيسمع ما يقول فى خلوته ، ومنه : ختل الصيد : وهو أن يؤتى من حيث لا يشعر فيصاد .

(٤) بمعنى الحركة .

(٥) أى : يبين ما فى نفسه .

(٦) حديث صحيح . أخرجه البخارى « ١٣٥٥ » ، « ٦١٧٣ » ، « ٦١٧٤ » ، ومسلم « ٢٩٣٠ » ، والترمذى وأحمد والطحاوى فى مشكل الآثار ، والبغوى فى شرح السنة .

فوائد وعظات القصة النبوية :

اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً شديداً ، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وقد يسأل عن هذا ، فيقال : كيف يُقار رسول الله ﷺ رجلاً يدعى النبوة كاذباً ، ويتركه بالمدينة يسكنه فى داره ويجاوره فيها ، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان ، وقوله بعد ذلك : « اخسأ فلن تعدو قدرك ! » .

قال العلامة الخطابى :

الذى عندى فى هذه القصة أنها جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفائهم وذلك أنه بعد مقدمة المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجوا ، وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن الصياد منهم ، أو دخيلاً فى جملتهم ، وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ، ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنوه بذلك ليروا به أمره ويخبر به شأنه فلما كلمه علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة أو ممن يأتيه رئى من الجن ، أو يتعهده شيطان ، فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم بـه ، فلما سمع منه قولـه « الدخ » زجره فقال : اخسأ فلن تعدو قدرك » .

يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان ، وأجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحى السماوى ، إذا لم يكن له قدر الأنبياء الذين يلهمون العلم ، ، ويصيبون بنور قلوبهم الحق ، وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطئ فى بعضها ، وذلك معنى قوله : « يأتينى صادق وكاذب » فقال له عند ذلك : « خلط عليك » فالجملة من أمره أنه كان فتنة قد امتحن الله به عباده المؤمنين ، ليهلك من هلك عن بينة ، وقد امتحن قوم موسى عليه الصلاة والسلام فى زمانه بالعجل فافتتن به قوم وأهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه

منهم .. وقد اختلفت الراويات فى أمره وفيما كان من شأنه بعد كبره ، فروى أنه قد تاب عن ذلك القول ثم إنه مات بالمدينة ، وإنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم : اشهدوا [١] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن الصياد فنزلنا منزلاً فتفرق الناس ، وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه تلك ، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعى فقلت : إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة .

قال : ففعل ، فرفعت لنا غنم ، فانطلق فجاء بعس [٢] ، فقال : اشرب أبا سعيد ، فقلت : إن الحر شديد واللبن حار ، ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده ، أو قال : آخذ عن يده .

فقال : أبا سعيد ، لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لى الناس .

يا أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار ، ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ؟! .

أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر » وأنا مسلم ؟!! .

أوليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو عقيم لا يولد له » وقد تركت ولدي بالمدينة ؟!! .

أوليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل المدينة ولا مكة » وقد أقبلت

(١) انظر « شرح السنة » (١٥ / ٧٤) .
(٢) العس : هو القدح الكبير ، وجمعه : عساس وأعساس .

من المدينة وأنا أريد مكة ؟!! .

قال أبو سعيد الخدرى : حتى كدت أن أعذره ، ثم قال : أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن .

قال : قلت له : تباً لك [١] ، سائر اليوم [٢] .

---

(١) تباً لك : أى خسراناً وهلاكاً لك فى باقى اليوم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٩٢٧ » ، والبغوى « ٤٢٧٣ » فى شرح السنة عن طريقه ، والترمذى « ٢٣٤٧ » .

[٤٤] دعاء واستجابة (١)

تزوجت امرأة رجلاً يُدعى إسماعيل ... وكان عالماً جليلاً ، درس على يد الإمام مالك .. وكان ثمرة هذا الزواج المبارك ، إنجاب طفل أسموه « محمداً » وما لبث أن مات زوجها « إسماعيل » تاركاً لها ولابنها الصغير مالاً كثيراً ، فأخذت الأم تربى ابنها التربية الإسلامية المباركة ، ولعلها أرادت أن يكون عالماً من علماء المسلمين ، ولكن مع الأسف الشديد هناك إعاقة ، فإن ابنها ولد أكمه أى أعمى منذ صغره ، وعندما يكون أعمى فمن الصعوبة أن ينتقل من شيخ لشيخ ومن بلد لبلد طالباً للعلم ، وفتح الله عليها باب الدعاء فبدأت تدعو الله بإخلاص وبنية صادقة ، وفى إحدى الليالى ، وعندما كانت نائمة وإذا بها ترى فى منامها الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك ... واستيقظت المرأة وإذا بها ترى ابنها مبصراً ، سبحانك يا ربنا يامن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

وبعد أن رد الله البصر لولدها « محمد بن إسماعيل » بدأت الأم توجهه لطلب العلم ، وفتح الله عليه ، فألف بعد ذلك كتاباً من أصح الكتب فى هذه الدنيا بعد كتاب الله ، واسم الكتاب « صحيح البخارى » ، نعم إنه « محمد بن إسماعيل البخارى » ، الذى رزقه الله العلم وسعة الحفظ .

---

(١) مواقف إيمانية لنجيب العامر « بتصرف واختصار » .

الزمن القادم [١]

اشتعل الرأس شيباً ..

ها قد شارفت على الخمسين ..

على الرغم من عشقي للقراءة ..

إلا أن الوقت أخذ يضيق بي ..

أصبحت مباهج الدنيا تأخذ متعة القراءة مني ..

هذا ابن قادم وذاك حفيد لا تمل رؤيته ..

حياة تسير على ما أتمناه ..

لا يكدر صفوها شيء .. نهاية يوم الخميس حانت ..

بعد يوم طويل .. حافل بالزيارات والمرح ..

ودعتُ أبنائي وبناتي وأحفادي ..

صرخ هاجس في داخلي ..

هذه الدنيا عجب .. اجتماع وفرقة ..

سيرحل الجميع .. وسيودعون ويودعون ..

ستبقى وحيداً .. ما هذه الأفكار ..

بسرعة .. تلفت يمنة ويسرة ..

مجموعة من الكتيبات ذات الحجم الصغير دائماً تقع تحت نظري ..

---

(١) الزمن القادم ، جـ١ ، لعبد الله القاسم .

لاشك أن ابنتي الصغرى هي التي وضعتها ..

فهي تهديها إلى بين حين وآخر وتُحثني على قرائتها ..

كتاب أذكار الصباح والمساء ..

كتاب زاد المسلم اليومى ..

ماذا بعد ..

هنا كتيب صغير ..

لا يتجاوز أربع صفحات ..

لا يحتاج إلا لأربع دقائق قراءة ..

تناولته .. بسرعة استكملت قراءته ..

أصابني الدوار ..

همهمت بصوت خافت ..

لا أُغسل ..

ولا أُكفن ..

ولا يُصلى عليّ ..

ولا أُدفن مع المسلمين ..

ماذا بعد .. .

أنا ابن الخمسين ..

هكذا ستكون نهايتي ..

لا ..

بل هناك المزيد سأعيد لكم القراءة مرة أخرى ..

ولكن بالتفصيل ..

الكتاب بعنوان : حكم تارك الصلاة [١] .

خلاصته : أن تارك الصلاة كافر ..

خاطبت نفسي هل أنا كافر .. ؟

أبعد هذا العمر .. أوصف بذلك ..

صوت بعيد .. ولِمَ لا ؟!! .

ألست تاركاً للصلاة ..

اسمع ما يترتب على تارك الصلاة من أحكام .

أولاً : أنه لايصح أن يزوج ، فإن عقد له وهو لا يصلي ، فالنكاح باطل ، ولا تحل له الزوجة .

ثانياً : أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له فإن نكاحه ينفسخ ، ولا تحل له الزوجة .

ثالثاً : أن هذا الرجل الذى لا يصلى إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته ، لماذا ؟ .

لأنها حرام ولو ذبح يهودى أو نصرانى فذبيحته يحل لنا أن نأكلها .

رابعاً : أنه لا يحل له أن يدخل مكة أو حدود حرمها .

خامساً : أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث .

سادساً : أنه إذا مات لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه ، ولا يدفنْ مع

---

(١) لفضيلة الشيخ / محمد بن العثيمين .

المسلمين ، إذاً ماذا يصنع به ؟ .

يخرج به إلى الصحراء ويُحفر له ويدفن بثيابه لأنه لا حرمة له ، وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميت وهو يعلم أنه لا يصلي أن يقدمه للمسلمين يصلون عليه .

عشت حلم الواقع ..

وضعت الكتاب جانباً ..

رفعت يدي إلى رأسي .. ضغطت عليه بقوة ..

سقطت شيبة ..

نظرت إليها .. أبعد هذا الشيب ؟! لا أُغسل ولا أُكفن ، ولا يُصلى عليّ..

هذه نهايتي .. هذا ما جمعته من الدنيا ..

الله .. كلمة خرجت بقوة من أعماق قلبي .. أهذه نهايتي ..

أين نحن غافلون .. فلا شك أني مقصر .. بل ومفرط ولكن خمسون سنة .. ولا أجد ناصحاً يقول ذلك .. كيف ..

مسئولية من هذه ..

غسلت الزمن الرديء بدموع التوبة ..

عاهدت نفسي أن أكون ناصحاً لكل مخطيء .. نهضت قائماً ..

سيصلى عليّ .. وسأدفن إن شاء الله مع المسلمين .

[٤٦] توبة في مرقص [1]

قصة غريبة .. غريبة جداً .. ذكرها الشيخ / علي الطنطاوي في بعض كتبه قال :

دخلت أحد مساجد مدينة « حلب » فوجدت شاباً يصلي فقلت – سبحان الله – إن هذا الشاب من أكثر الناس فساداً يشرب الخمر ويفعل الزنا ويأكل الرّبا وهو عاقّ لوالديه وقد طرداه من البيت فما الذي جاء به إلى المسجد .. فاقتربت منه وسألته : أنت فلان ؟!! قال : نعم .. قلت : الحمد لله على هدايتك .. أخبرني كيف هداك الله ؟؟ قال : هدايتي كانت على يد شيخ وعظنا في مَرْقَصٍ .. قلت مستغرباً .. في مَرْقَصٍ ؟!! قال : نعم .. في مَرْقَصٍ !! قلت : كيف ذلك ؟! قال : هذه هي القصة .. فأخذ يرويها فقال :

كان في حارَتنا مسجدٌ صغيرٌ .. يؤم الناس فيه شيخ كبير السن .. وذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين وقال لهم : أين الناس ؟!! ... ما بال أكثر الناس وخاصة الشباب لا يقربون المسجد ولا يعرفونه ؟!! فأجابه المصلون : إنهم في المراقص والملاهي .. قال الشيخ : وما هي المراقص والملاهي ؟!! ... رد عليه أحد المصلين : المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات عاريات أو شبه عاريات يرقصن والناس حولهن ينظرون إليهن .. فقال الشيخ : والذين ينظرون إليهنّ من المسلمين ؟! قالوا : نعم .. قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هيا بنا إلى تلك المراقص ننصح الناس .. قالوا له : يا شيخ .. أين أنت ..

---

(١) التائبون إلى الله ، للحازمي ، وقال : هذه القصة ذكرها الشيخ العوضي في درس له بعنوان « غض البصر » .

تعظ الناس وتنصحهم .. فى المرقص ؟! قال : نعم .. حاولوا أن يثنوه عن عزمه وأخبروه أنهم سيُواجَهُون بالسخرية والاستهزاء وسينالهم الأذى ، فقال : وهل نحن خير من محمد ﷺ ؟!! ، وأمسك الشيخ بيد أحد المصلين ليدله على المرقص .. وعندما وصلوا إليه سألهم صاحب المرقص : ماذا تريدون ؟!! قال الشيخ : أن ننصح من فى المرقص .. تعجب صاحب المرقص .. وأخذ يمعن النظر فيهم ورفض السماح لهم ، ... فأخذوا يساومونه ليأذن لهم حتى دفعوا له مبلغاً من المال يعادل دخله اليومى .

وافق صاحب المرقص .. وطلب منهم أن يحضروا فى الغد عند بدء العرض اليومى ...

قال الشاب : فلما كان الغد كنت موجوداً فى المرقص .. بدأ الرقص من إحدى الفتيات ... ولما انتهت أسدل الستار ثم فتح .. فإذا بشيخ وقور يجلس على كرسي فبدأ بالبسملة وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ، ثم بدأ فى وعظ الناس الذين أخذتهم الدهشة وتملكهم العجب وظنوا أن ما يرونه هو فقرة فكاهية .. فلما عرفوا أنهم أمام شيخ يعظهم أخذوا يسخرون منه ويرفعون أصواتهم بالضحك والاستهزاء وهو لا يبالى بهم .. واستمر فى نصحه ووعظه حتى قام أحد الحضور وأمرهم بالسكوت والإنصات حتى يسمعوا ما يقوله الشيخ .

قال : فبدأ السكون والهدوء يخيم على أنحاء المرقص حتى أصبحنا لا نسمع إلا صوت الشيخ ، فقال كلاماً ما سمعناه من قبل ... تلا علينا آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وقصصاً لتوبة بعض الصالحين ، وكان مما قاله :

أيها الناس ..

إنكم عشتم طويلاً وعصيتم الله كثيراً .. فأين ذهبت لذة المعصية ؟ لقد ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء ستسألون عنها يوم القيامة ، وسيأتي يوم يهلك فيه كل شيء إلا الله سبحانه وتعالى ... .

أيها الناس ..

هل نظرتم إلى أعمالكم .. إلى أين ستؤدّي بكم ، إنكم لا تتحملون نار الدنيا وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .. بادروا بالتوبة قبل فوات الأوان .. قال : فبكى الناس جميعاً .. وخرج الشيخ من المرقص وخرج الجميع وراءه وكانت توبتهم على يده حتى صاحب المرقص تاب وندم على ما كان منه .

[٤٧] لقد شهدتا (١)

خرج التاجر الصالح من الموصل ليبيع بعضاً من الأغنام والأبقار والإبل فى حلب واستقر فى أحد الفنادق حتى الصباح ، ثم خرج إلى سوق المواشى وعرض ما معه على تجار الجملة ، ويسر الله عليه بيعها وقبض ثمنها نقداً ، وفى طريق عودته ... خرج عليه لص خطير وقاطع طريق ، فسل خنجره وأخذ ما معه من مال .. واستغاث التاجر ولا مغيث فقد أراد اللص أن يذبحه بخنجره .. فتوسل التاجر إليه أن لا يقتله وليأخذ جميع ما يملك .. ولكن خنجر القاتل كان يعمل عمله فى جسد التاجر حتى سقط جثة هامدة ... وكان التاجر فى استغاثته وتوسله ينظر يميناً وشمالاً لعله يجد من يغيثه ، ويستجيب لتوسله ... ولكنه لم يجد أحداً من الناس ووجد فوق الشجر التى ذبح تحتها حمامتين ... فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة « أيتها الحمامتان : اشهدا ... » وقهقه قاطع الطريق وهو ينهض عن فريسته بعد أن فارقت الحياة قائلاً : « أيتها الحمامتان : اشهدا » .

ومضى إلى سبيله وهو يضحك كأنه سمع نكتة تستحق القهقهه والضحك.

وانتظر أولاد التاجر وأهله فى الموصل عودة أبيهم من رحلته التجارية .. وطال انتظارهم دون جدوى .. وسافر ولده الأكبر إلى مدينة حلب ليسأل عن أبيه فقيل له : إن والده نزل فى فندق كذا وباع أغنامه فى اليوم الفلاني، ووُجد مقتولاً فى اليوم الذى باع فيه ما معه ، ودُفن فى مقابر الغرباء وقاتله وسالب

(١) تدابير القدر ، لمحمود شيت خطاب « بتصرف واختصار » .

أمواله مجهول ، ودق باب الوالي ، وباب القاضى وأبواب من يعرف من الناس ومن لا يعرف ، فكان جواب الجميع : القاتل السارق مجهول الهوية ، وبذل جهوداً كبيرة ليعرف شيئاً عن سر مقتل أبيه ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، وعاد الفتى إلى الموصل فطرق باب الوالي والقاضى يسألهما العون ، فكتبا إلى والي حلب وقاضيها فكان الجواب : القاتل السالب: مجهول الهوية .

وانتهت قضية التاجر القتيل إلى باب مسدود ، فتقبل أولاده التعازى وأوكلوا قضيته إلى الله ... وتعاقبت السنون وتبدل الولاة والقضاة مرات ونسى الناس قصة الاغتيال والسلب ونسوا القتيل السليب ، ولكن رجلاً واحداً لم ينس تلك القضية : هو القاتل السالب ... ظل يذكرها وبخاصة حين يرى الحمام مرفرفاً أو على الشجر فيتخيل شبح القتيل أمامه وهو ينادى « أيتها الحمامتان : اشهدا »

وفى يوم من الأيام لبى دعوة من دعوات العشاء على مائدة أحد أقربائه ... وكانت الوليمة تضم أشتاتاً وألواناً من الناس ... ونظر إلى أطباق الطعام فوجد أمامه مباشرة طبقاً فيه حمامتان ... وحملق الرجل فيهما طويلاً وتذكر قصة القتيل الذى استنجد بالحمامتين لتشهدا له ... فأطرق رأسه يستعيد تفاصيل جريمته ثم قهقه قهقهة لا إرادية يستعيد بها قهقهته الإرادية وهو يجهز على القتيل ... كأنه نسى الوليمة والمدعوين ، ولفت بوجومه الطويل ثم قهقهته الطويلة المدعوين من حوله ، فليس هناك ما يدعو للضحك ، ولاحقته الأنظار المستغربة وبشكل لا إرادى تنهد طويلاً ثم انطلق يحدث من حوله قصة المنكوب القتيل كأن قوة خفية قاهرة تحرك لسانه بشكل لا إرادى ، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وأفشاها للحاضرين ، ولم يكد يتم حديثه إلا وشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد

تخلى عنه ، ولكن حديثه أذهل الحاضرين ... وثاب إلى رشده وندم على إفشاء سره ، ولكن بعد فوات الألوان ... وأصبحت القصة بعد ساعات من إذاعتها حديث المجالس فى كل مكان من مدينة حلب ... وسمعها والي حلب .. فأمر بتوقيف المتهم على ذمة التحقيق ، وأمر قائد الشرطة أن يبدأ التحقيق الرسمى فاستقدم الذين سمعوا القصة من المتهم مباشرة وهم على مائدة العشاء فسجل أقوال الشهداء ، واستدعى قائد الشرطة المتهم وأطلعه على أقوال الشهود فانهار المتهم واعترف بجريمته النكراء ، وأحيلت أوراق القاتل إلى قاضى المدينة فحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت .

وقال والي المدنية : لقد شهدتا ... وقال قاضي المدينة : لقد شهدتا ..

وقال قائد الشرطة : لقد شهدتا ... وقال الناس : لقد شهدتا ..

وفى ليلة تنفيذ الإعدام بالقاتل سألته زوجته : كيف أبحت بسرك المكنون بعد أن كتمته سنين طويلة ، فكان جوابه : « إن إرادة قاهرة شلت إرادتى وأجبرتنى على الكلام» ، وفى فجر اليوم التالى اقتيد القاتل السالب إلى ساحة الإعدام ، وهمهم حين وضع الحبل حول عنقه « لم أتكلم بلساني ، بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا فى الطبق المستقر أمامى فى دعوة العشاء » ، واجتمعت حشود الناس حول جثة المصلوب وهى تهزج فرحة بإنقاذ المجتمع من مجرم شرير ... وفجأة انقلب هزيج الحشود الضخمة إلى تهليل وتكبير ، فقد استقرت حمامتان فوق رأس المصلوب لا تتحركان ... وهدرت الحشود بصوت واحد : لقد شهدتا ... عجزت عدالة الأرض عن اكتشاف سر القتيل فبقى القاتل طليقاً سنين طويلة ولكن عدالة الله كانت للقاتل بالمرصاد فكشفت سره وساقته إلى القضاء ، وأمهله الله ساعة ولكن لم يمهله إلى قيام الساعة ... وشهدت الحمامتان فساقته شهادتهما إلى مصيره المحتوم .

[٤٨] جزاء الظلم (١)

سمكة تنقذ رجلا

قال عليّ بن حرب (٢) :

أردت أن أسافر من بلدى الموصل إلى بلد « سَرَّ مَنْ رأى » لشراء بعض البضاعة ، وكانت هناك سفن تسير فى نهر دجلة من الموصل إلى « سر مَنْ رأى » تنقل الركاب والبضاعة بالأجرة ، فركبت إحدى هذه السفن ، وسرنا فى نهر دجلة متجهين نحو « سر مَنْ رأى » .

وكان فى السفينة بعض البضاعة ونفر من الرجال لا يتجاوز الخمسة ، وكان النهار صحواً ، والجو جميلاً ، والنهر هادئاً ، والربّان يحدو ويغنى غناءً جميلاً ، والسفنية تسير على صفحة الماء سيراً هادئاً ، حتى أخذت أكثرَنا غفوةٌ من النوم ، أما أنا فكنت أمتع نظرى بمناظر الشطآن الجميلة على جانبى النهر ، وفجأة رأيت سمكة كبيرة تقفز من النهر إلى داخل السفينة فهجمت عليها وأمسكت بها قبل أن تعود إلى النهر مرة أخرى .

وانتبه الرجال من غفوتهم بسبب الضجة التى حصلت ، وعندما رأوا السمكة قال أحدهم : هذه السمكة أرسلها الله تعالى إلينا ، لما لا ننزل بها إلى الشاطئ ، فنشويها ونأكلها ؟ ، وهي كبيرة تكفينا جميعاً فأعجبنا رأيه ، ووافق الربان على ذلك ، فمال بنا إلى الشاطئ ونزلنا واتجهنا إلى دغل (٣) من الشجر

---

(١) كان يا ماكان .

(٢) وردت هذه القصة فى الصفحة ١٨٠ من كتاب « طبقات الأولياء » لابن الملقن طبعة دار المعرفة حيث قال : ذكر ابن عساكر فى تاريخه عن عليّ بن حرب قال : ، ثم ذكر القصة مختصرة .

(٣) دغل : الشجر الكثير .

لنجمع الحطب ونشوى السمكة .

وما أن دخلنا الدغل حتى فوجئنا بمنظر اقشعرت منه جلودنا ، فوجئنا برجل مذبوح وإلى جانبه سكين حادة على الأرض ، وبرجل آخر مكتوف بحبل قوي وحول فمه منديل يمنعه من الكلام والصراخ ، فاندهشنا من هذا المنظر ، فمن قتل القتيل ما دام الرجل مكتوفاً ؟ أسرعنا أولاً فحللنا رباط الحبل ورفعنا المنديل من فمه ، وكان في أقصى درجات الخوف واليأس .

وعندما تكلم قال : أرجوكم أن تعطونى قليلاً من الماء أشربه أولاً ، فسقيناه وبعد أن هدأ قليلاً ، قال : كنت أنا ، وهذا الرجل القتيل فى القافلة التى تسير من الموصل إلى بغداد ، والظاهر أن هذا القتيل لاحظ أن معى مالاً كثيراً ، فصار يتودد إليّ ويتقرب منى ولا يفارقنى إلا قليلاً ، حتى نزلت القافلة فى هذا المكان لتستريح قليلاً ، وفى آخر الليل استأنفت القافلة السير ، وكنت نائماً فلم أشعر بها ، وبعد أن سارت القافلة استغل هذا الرجل نومى وربطنى بالحبل كما رأيتم ، ووضع حول فمى منديلاً لكى لا أصرخ ، وسلب مالى الذى كان معى ، ثم رمانى إلى الأرض وجلس فوقى يريد أن يذبحنى وهو يقول : إن تركتك حيّاً فإنك ستلاحقنى وتفضحنى لذلك لابد من ذبحك .

وكان معه سكين حادة يضعها فى وسطه ، وهى هذه السكين التى ترونها على الأرض ، وأراد سحب السكين من وسطه ليذبحنى ، لكنها علقت بحزامه ، فصار يعالجها ثم نترها بقوة ، وكان حدها إلى أعلى فخرجت بقوة واصطدمت بعنقه وقطعت الجلد واللحم والشريان فتدفق الدم منه ، وخارت قواه ثم سقط ميتاً .

وحتى بعد موته كنت موقناً بالموت لأن هذا المكان منقطع لا يأتيه أحد إلا

قليلاً ، فمن يفكنى ؟ من ينقذنى ؟ وصرت أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرسل من ينقذنى مما أنا فيه ، فأنا مظلوم ودعاء المظلوم لا يُرَد ، وإذا بكم تأتون وتنقذوننى مما أنا فيه ، فما الذى جاء بكم فى هذه الساعة إلى هذا المكان المنقطع ؟ .

فقالوا له : الذى جاء بنا هو هذه السمكة ، وحكوا له كيف قفزت من الماء إلى السفينة ، فأتوا بها إلى هذا المكان لكى يشووها ويأكلوها ، فتعجب من ذلك وقال : إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل هذه السمكة إليكم لكى يجعلكم تأتون إلى هذا المكان وتخلصوننى مما أنا فيه ، والآن إننى تعب جداً ، أرجوكم أن تأخذونى إلى أقرب بلدة .

فصرفوا النظر عن شيِّ السمكة وأكلها ، وأخذوا الرجل بعدما حمل معه المال الذى سلبه الرجل الآخر منه ، وعادوا به إلى السفينة ، وما أن وصلوا السفينة حتى قفزت السمكة إلى الماء وعادت إلى النهر مرة أخرى ، فكأنما قد أرسلها الله سبحانه وتعالى حقاً لكى تكون سبباً فى إنقاذ الرجل المظلوم ، وهكذا إذا أراد الله تعالى شيئاً هيأ أسبابه [1] .

(١) قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ، رواه البخارى ومسلم .

[٤٩] يتزوج بالقرآن !!

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله جئت لأهب نفسي ، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعّد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست .

فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة فزوّجنيها . فقال : « **هل عندك من شيء ؟** » ، قال : لا والله يا رسول الله ، قال : « **اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً** » ، فذهب ثم رجع ، قال : لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً .. ! ، قال : « **التمس ولو خاتماً من حديد** » فالتمس فلم يجد شيئاً ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزاري فلها نصفه ... ! فقال رسول الله ﷺ : « **ما تصنع بإزارك إن لبستهُ لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبستَهُ لم يكن عليك منه شيء ...** » .

فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدُعي ، فلما جاء قال : « **ماذا معك من القرآن** » ، قال : معي سورة كذا وسورة كذا ، قال ﷺ : « **أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟** » ، قال : نعم ، **قال** : « **اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن** » [1] .

(١) **صحيح** : رواه الخمسة .

[٥٠] ما وفيتها حقها [1]

من بِرِّه بها
يحاول جاهداً أن يحقق لها ما تريد
اقتربت من الهزيع الأخير من العمر
استسلمت قدماها للكبر
فعجزت أن تحملها
ذبلت قواها
قلبها لا يزال قوياً
فهو يحبها
يحنو عليها
يقبلها ، صباح ... مساء .
فكرت راودت خيالها ..
يا لروعتها لو تحققت
ترى هل تتحقق
لا تقوى على الكلام حتى تبوح بها
بريق عينيها على غير العادة

---

(١) غربة والدين ، لعبد الله العبادة .

هو يعرفها جيداً رحلة عمر معها
ترى ماذا تريد ؟
وما هذا البريق فى عينيها ؟ .
ماذا تريدين ؟ .
ماذا تشتهين ؟ .
لقد حيرنى هذا البريق فى عينيك
قالت فى قلبها
أنت طيب القلب يا مهجة عمرى .
أشارت بيدها إلى هناك
إلى بعيد .. بعيد جداً
ترى هل يستطيع أن يحقق طلبها
أقسم عليها أن تخبره
لعله أن يحقق لها أمنية قبل الرحيل
الظمأ إلى تلك البقاع
يلهب ذلك القلب الرقيق
والحنين يشدها إلى هناك
إلى مراتع الأحبة والحبيبات
آه يا أماه
ما أروعك

إلى هناك مرة واحدة ؟

يالعزيمتك

وكيف الوصول إليها ؟

وبيننا وبينها .. جبال وأودية

وصحاري وقفار

ومفازة يصعب قطعها

ليس لدينا ما ينقلنا أو يبلغنا

لكن الأمل

بالواحد الديان

الذي جعلك أمّا لي رحومة وعطوفة

والذى وفقني لأُبرك

أسأله أن يمنحنى القوة

أن أردّ لك شيئاً من حقّك

ومن حقّك على أن أحقق لك هذه الأمنية

وسأجعلك تشربين من الماء العذب

الذى نبع بين قدمى ابن الخليل

وستمشين فى ذلك المكان الطاهر

الذى مشت عليه أم ابن الخليل

فيارب عونك

ويارب قوتك

يوم الرحيل

الزاد قليل

والإيمان كالجبال

الراحلة

وما الراحلة

إنها ....

إنها كتفاه

نعم كتفاه

– لا تستغرب –

« هذا شيء من الثمن يا أخي » .

ولكن يا لبعد المسافة

وطول الطريق

تدلت قدماها من فوق كتفيه

تحطه الوهاد

وتقله القفار

يصعد الثنايا

ويهبط الأودية

ينام ويقوم

يتعب ... يتذكر أمنيتها قبل الرحيل

ترى هل ستصل إلى هناك ؟

صحراء بعد صحراء ..

ليل بعد نهار

سراب يخدع النظر

نهشه الجوع والبرد

وقدماها تتدلى من فوق كتفيه

تداعب أحاسيسه الأمانى

ياترى ... هل سأوفيها حقها قبل الرحيل

أوه يالها من أمنية ويالهذا الجبل ما أعلاه

يارب عونك ومددك

مشارف أم القرى

تلوح بين السراب من خلف الجبال

رائحة زمزم تعطر السماء

ومسك الحجر الأسود يعبق صخور الجبال

ومشارف البيت العتيق تطل على الدنيا

يا لروعة البيت

كم نحبك ونجلك

كم أنت فى قلوبنا

لكى أن تفرحى يا أماه

ستكتحل عيناك برؤية الكعبة

وستشربين من زمزمها

وستنامين فى بطحائها

المسلمون فى البيت يطوفون

يوحدون الله

يدعونه ويلبونه

زحام شديد على الحجر

بين ألوف الناس

قدماها تتدلى من فوق كتفيه

هذا الحجر يا أماه

وهذه زمزم يا أماه

نحن عند المقام يا أماه

هنا صلى المصطفى ﷺ حينما كان وحيداً يدعو

وهنا صلى محفوفاً بأصحابه بعدما فتح مكة منتصراً

السؤال وسط الزحام يلح عليه مرة أخرى

ترى هل وفيتها حقها ؟

على كتفي من اليمن

على كتفى بين الشعاب والأودية

على كتفي في هجير الصيف

ولهيب الشمس

وعلى كتفي بين الصفا والمروة

على كتفي عند المقام

على كتفي عند الحجر

وسط الزحام

على كتفي تستيقظ وتنام

السؤال مرة أخرى

ترى هل وفيناها حقها ؟

من يريح النفس بالجواب

وأسألك يارب أن تجزل لنا الثواب .

زحام ..... زحام

عند الحجر والمقام

من هذا يكون ؟

من هذا الرجل ؟

الله أكبر يا لهذا الوقار

يا لهذه السكينة

سأل أحدهم بجواره

من يكون ؟ من يكون ؟

نعم .... الله أكبر

هذا الذى سيريح النفس بالجواب

هذا العالم ... هذا الحجة

سيقول فصل الخطاب

نعم . وكيف لا ...

إنه ابن الذى يفر الشيطان منه

ابن الذى نزل القرآن موافقاً لرأيه

ابن الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم

ابن الذى فرق الله بإسلامه بين الحق والباطل

ابن الذى كان سهماً مصلتاً على المنافقين

ابن الذى يحب الله ورسوله

فقد شرب هذا الابن من أبيه

شرب علمه

شرب زهده

شرب تقواه

شرب محبة الله ورسوله ﷺ

فقد كان مقتفياً لآثار رسول الله ﷺ

إذاً هو حجة فى العلم ؟

كيف لا وهو صاحب السلسلة الذهبية فى الحديث

فمنه يؤخذ العلم

إذاً فتواه حجة

ياترى من هو ؟

إنه ابن الفاروق عمر

يا إبن الفاروق سلام الله عليك

هذه أمي .. إلى البيت العتيق

على ظهري من اليمن

هل وفيتها حقها ؟؟

يرقب شفتيه بكل اهتمام

لعله يقول ما يوافق هواه

أو لعله ....

يا ابن الفاروق

أجبني ... ؟

ابن عمر يقول :

ولا طلقة واحدة من طلق الولادة .

قال المولى جل وعز وتبارك : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ (١) .

---

(١) سورة لقمان الآية « ١٤ » .

[٥١] اللهم ارزقنا ... السابعة ... !!

كان رجل يرزق بالبنات ، فكانت عنده ست من البنات وكانت زوجته حاملاً فكان يخشى أن تلد بنتاً ، وهو يرغب بالولد ... فعزم فى نفسه على طلاقها إن هى جاءت ببنت ... ! ونام تلك الليلة فرأى فى نومه كأن القيامة قد قامت وحضرت النار ، فكان كلما أخذوا به إلى أحد أبواب النار وجد إحدى بناته تدافع عنه وتمنعه من دخول النار ، حتى مر على ستة أبواب من أبواب جهنم وفى كل باب تقف إحدى البنات لتحجزه من دخول النار ، سوى الباب السابع ، فانتبه مذعوراً ، وعرف خطأ ما نواه وما عزم عليه فندم على ذلك ودعا ربه وقال : اللهم ارزقنا السابعة !! .



(١) مجالس النساء .

[٥٢] إنها العناية الإلهية (١)

امرأة صالحةٌ تقيّةٌ تحبُّ الخير ولا تفترُ عن ذكر الله ، لا تسمح لكلمة نابية أن تخرج من فمها ، إذا ذكرت النّار خافت وفزعت ، ورفعت أكفَّ الضراعة إلى الله طالبة الوقاية منها ، وإذا ذكرت الجنّة شهقت رغبة فيها ، ومدت يديها بالدعاء والابتهال إلى الله أن يجعلها من أهلها ، تحب الناس ويحبونها ، وتألفهم ويألفونها ، وفجأة شعرت بألم شديد فى الفخذ وتسارع إلى الدهون والكمادات ولكن الألم يزداد شدة .

وبعد رحلة فى مستشفيات كثيرة ، ولدى عدد من الأطباء سافر بها زوجها إلى لندن ، وهناك وفى مستشفى فخم وبعد تحليلات دقيقة يكتشف الأطباء أن هناك تعفناً فى الدم ويبحثون عن مصدره فإذا هو موضع الألم فى الفخذ ، ويقرر الأطباء أن المرأة تعانى من سرطان فى الفخذ هو مبعث الألم ومصدر العفن . وينتهى تقريرهم إلى ضرورة الإسراع ببتر رجل المرأة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض .

وفى غرفة العمليات كانت المرأة ممددة مستسلمة لقضاء الله وقدره ، ولكن لسانها لم ينقطع عن ذكر الله ، وصدق اللجؤ والتضرع إليه .

ويحضر جميع الأطباء فعملية البتر عملية كبيرة ، ويوضع الموسى فى المقص وتدنى المرأة ويحدد بدقّة موضع البتر ، وبدقة متناهية ووسط وجل شديد ورهبة عميقة يوصل التيار الكهربائى ، وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر

---

(١) ٥٠ زهرة من حقل النصح ، لعبد العزيز المقبل .

الموسى وسط دهشة الجميع ، وتعاد العملية بوضع موسى جديد ، وتتكرر الصورة نفسها وينكسر الموسى ، وما يكاد الموسى ينكسر للمرة الثالثة – لأول مرة فى تاريخ عمليات البتر التى أجريت من خلاله – حتى ارتسمت علامات حيرة شديدة على وجوه الأطباء الذين راحوا يتبادلون النظرات ، اعتزل كبير الأطباء بهم جانباً ، وبعد مشاورات سريعة قرر الأطباء إجراء جراحة للفخذ التى يُزمعون بترها ، وياالشدة الدهشة !! ما كان المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ حتى رأى الأطباء بأم أعينهم قطناً متعفناً بصورة كريهة ، وبعد عملية يسيرة نظف فيها الأطباء المكان وعقموه .

صحت المرأة وقد زالت الآلام بشكل نهائى حتى لم يبق لها أثر .

نظرت المرأة فوجدت رجلها لم تمس بأذى ، ووجدت زوجها يحادث الأطباء الذين لم تغادر الدهشة وجوههم ، فراحوا يسألون زوجها هل حدث وأن أجرت المرأة عملية جراحية فى فخذها ، لقد عرف الأطباء من المرأة وزوجها أن حادثاً مرورياً تعرضا له قبل فترة طويلة كانت المرأة قد جُرِحَتْ جرحاً بالغاً فى ذلك الموضع ، وقال الأطباء بلسانٍ واحد إنها العناية الإلهية .

وكم كانت فرحة المرأة وكابوس الخطر ينجلى ، وهى تستشعر أنها لم تمش برجل واحدة كما كان يؤرقها ، فراحت تلهج بالحمد والثناء على الله الذى كانت تستشعر قربه منها ولطفه بها ورحمته لها .



[٥٣] وزراء بعنقود من العنب (١)

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

وزارة بعنقـود من العنب !! مـا أرخص تلك الوزارة إذن ، ولكنهـا لـم تكن كذلك ، بل كانت غالية جداً ، وعنقود العنب لم يكن إلا علامة على الطريق علامة على الكرم والصدق والصلاح والتقوى ، وكان قبله كثير من الدرس والسهر والتعب ، وكان بعده كثير من التعب والجد والإخلاص أيضاً .

الوزير هو عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني ، وُلد في شهر ربيع الآخرة سنة ٤٩٩هـ في قرية « الدور » قرب بغداد ، ووصل إلى رتبة الوزارة في عهد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله ثم ابنه المستنجد بالله .

ولكنه قبل أن يصل إلى الوزارة عاش في الفقر والبؤس والذل ، فصبر صبر الكرام ، وبعد أن وصل إلى الوزارة لم ينتقم ممن أساء إليه قبلها ، وهذا دليل الحلم والكرم ، لأنه عفوٌ عند المقدرة .

وقد حكى هو نفسه عن بعض من أهانه وأساء إليه ثم عفا عنه بعد أن أصبح وزيراً فقال : أحضر لي الشرطة يوماً رجلاً متهماً بالقتل ، فعرفته لأنه من أهل قريتي « الدور » فافتديته من أهل القتيل بستمائة دينار ، ثم أعطيته خمسين ديناراً وصرفته ، وقلت للجالسين حولي : هل تعلمون أن عيني اليمنى لا أبصر بها ؟ قالوا : لا ، لا نعلم ، فقلت : إنني لا أبصر بها ، وسببها هذا الرجل الذي افتديته وصرفته الآن ، كنت جالساً في بعض الطريق في قريتي

(١) كان يا ماكان للدكتور / عبد الرازق الكيلاني .
(٢) سورة يوسف الآية « ٩٠ » .

«الدور» وبيدى كتاب فقه أقرأ فيه ، فأتى هذ الرجل ومعه سلة من الفاكهة وقال لى : احمل هذه السلة ، فقلت : ما أنا بحمّال ، فضربنى بيده على عينى اليمنى فذهب بصرها منذ ذلك الوقت ، وأردت الآن أن أكافئ إساءته بالعفو والإحسان بعد قدرتى عليه .

ودخل عليه مرة أحد الجنود الأتراك ، فقال لحاجبه : أعط هذا الجندى عشرين ديناراً ، ولا تدعه يدخل عليّ مرة أخرى ، ثم قال للجالسين حوله : عندما كنت فى قريتنا « الدور » وقع فيها قتيل ، فأتى الجنود الأتراك وأخذوا جميع أهل القرية وأنا معهم ، وكان نصيبى من هذا الجندى الذى رأيتموه الآن ، وكان هو راكباً فرساً ، فساقنى أنا وبضعة رجال من قريتنا أمامه بعد أن ربط أيدينا وراء ظهورنا ، وفى الطريق صار الرجال رفاقى يعطونه ما معهم من الدراهم فيفكهم ويطلق سراحهم ، وبقيت وحدى لأنه لم يكن معى شيء من المال أفتدى به نفسى ، فصار يضربنى ويسوقنى أمامه بقسوة وعنف ، وأنا ساكت ، حتى أدركتنا صلاة العصر فطلبت منه أن يسمح لى بالصلاة ، فلم يسمح وهذا أكثر ما أغضبنى منه .

أما وصوله إلى الوزارة فهذه قصته :

نشأ يحيى بن محمد بن هبيرة فى قرية « الدور » فى عائلة فقيرة ، تشتغل بفلاحة الأرض وزراعتها ، ولكنه لم يكن مهتماً بالفلاحة ولا بالزراعة ، وإنما كل اهتمامه كان منصباً على القراءة وملاحقة الشيوخ والعلماء فى كل مكان.

لذلك عندما أصبح شاباً ذهب إلى بغداد ، فقرأ القرآن الكريم وسمع الحديث الشريف ودرس الفقه والأدب والبلاغة على شيوخ بغداد وعلمائها وأدبائها فى ذلك العصر ، حتى برع فيها جميعها ، وبخاصة فى الفقه على

المذهب الحنبلى ، كما أصبح أديباً وشاعراً كبيراً .

وعند ذلك أخذ يفتش عن وظيفة يعيش منها فى بغداد ، ولأجل ذلك أخذ يراجع ديوان الوظائف فى بغداد ، التابع للخيلفة العباسى المقتفى لأمر الله ، وكلما راجعهم كانوا يقولون له : لا توجد وظيفة الآن ، حتى نفدت دراهمه ، ويئس من وجود وظيفة له فى ديوان بغداد ، فعزم على العودة إلى قريته « الدور » .

وخرج من بغداد بعد أن أنفق آخر درهم كان معه ، واتجه فى الطريق إلى قرية « الدور » سيراً على الأقدام ، لأنه لم يكن معه أجرة دابة يركبها ، وبعد أن سار فى الطريق قليلاً أدركته صلاة العصر ، فنظر حوله فرأى مسجداً قديماً على جانب الطريق ، فمال نحوه ليصلى العصر ، وسمع وهو يصلى أنيناً يأتى من جانب المسجد ، لذلك بعد أن أنهى صلاته اتجه نحو ذلك الصوت فوجد شخصاً مريضاً نائماً على الأرض فى طرف المسجد ، فلمسه بيده فوجده مصاباً بالحمى ، فسأله عما يشعر به فقال له : إن جسمه كله يؤلمه ، وأنه غريب منقطع ليس له أحد ، لذلك لجأ إلى هذا المسجد المنقطع والبعيد عن العمران ، فسأله ابن هبيرة عما يشتهيه ، فقال له : إننى أشتهى عنقوداً من العنب ، عنقود من العنب !! من أين لي عنقود من العنب الآن وأنا بعيد عن العمران ؟؟ وليس معى درهم واحد ، قال يحيى بن هبيرة لنفسه : سأسعى جهدي للحصول على عنقود من العنب لهذا المريض الذى يودع آخر أيام الدنيا ، ويستقبل أول أيام الآخرة ، لعله يدعو لى دعوة مستجابة يفرج بها الله تعالى عني ما أنا فيه ، وهكذا صَنَعَ المعروف لوجه الله تعالى مع هذا المريض الفقير المجهول ، وهو لا ينتظر منه أى جزاء أو مقابل ، فكان معروفه هذا نقطة تحول غيرت مجرى حياته

وأوصلته إلى الوزارة بعنقود من العنب .

ذهب ابن هبيرة يجرى لكى يصل العمران قبل حلول الظلام ، ووصل إلى دكان لبيع الفاكهة فوجد فيها عناقيد شهية من العنب ، فتناول عنقوداً كبيراً منها وقال لصاحب الدكان : بكم هذا العنقود ؟ قال : بنصف درهم ، فقال له : ابن هبيرة ولكن ليس معى ثمنه الآن ، وإننى أرهن عندك عباءتى هذه إلى أن آتيك بثمنه ، فرضى منه البائع ذلك ، فخلع ابن هبيرة عباءته وأعطاها للبائع ، وأخذ عنقود العنب وذهب يركض إلى المسجد الذى فيه المريض ، فوصل إليه مع غياب الشمس وهبوط الظلام ، فتوضأ وصلى المغرب ، وغسل عنقود العنب بالماء وقدمه للرجل المريض .

وفرح المريض به فرحاً شديداً ، وأكله كله ، وقال : الحمد لله الذى قضى شهوتى قبل أن أموت ، فقد كنت أشتهى العنب منذ مدةطويلة ولا أستطيع شراءه لأنه ليس معي ثمنه ، ثم التفت إلى ابن هبيرة وقال له : أنت رحمة أرسلها الله سبحانه وتعالى إليّ ، اجلس يا بنى لأحكي لك قصتى قبل أن أموت ، فإننى أشعر أنى سأموت فى هذه الليلة .

أنا رجل من خراسان اسمى أحمد كنت تاجراً من كبار تجار مدينة « مرو» فى خراسان وكان لى أخ تاجر مثلى ، أصغر منى اسمه محمود ، ومنذ سنة تقريباً اتفقت أنا وأخى على الذهاب فى القافلة التى تذهب عادة من « مرو » إلى بغداد لشراء بضاعة من بغداد ، نبيعها فى خراسان ، فاشتريت أنا بالمال الذى معى بضاعة من « مرو » لكى أبيعها فى بغداد وأشترى بدلاً منها بضاعة من بغداد آخذها إلى « مرو » .

أما أخى محمود فلم يشتر بضاعة وإنما كان معه ألف دينار وضعها فى

حزام وأعطاني إياه لأخبئه معى لأننى أكبر منه وأوعى ، وقبل وصولنا إلى بغداد خرج علينا قُطّاع الطرق فهاجموا القافلة ونهبوا البضاعة كلها ، وقتلوا منا ناساً وجرحوا آخرين ، وكنت أنا بين الجرحى ، ولكنهم حسبونى من الأموات فتركونى ، وبعد ذهابهم تحاملت على نفسى وقمت ، وفتشت عن أخى بين القتلى وبين الجرحى فلم أجده ، فقلت لعلي أجده فى بغداد ، وكانت قد أصبحت قريبة منا ، فتوجهت إلى بغداد ، وصرتْ أداوى جرحى فى القرى التى أمرّ بها ، حتى وصلت إلى بغداد وشفي جرحي .

أما بضاعتى أنا وأموالى فقد ذهبت كلها ، أخذها اللصوص ، ولم يبق معى إلا حزام أخى الذى فيه ألف دينار وبضعة دنانير لى كانت فى جيوبى ، وصرت أصرف على نفسى من دنانيرى حتى نفدت ، ولم تسمح نفسى أن آخذ شيئاً من دنانير أخى ، فصرت أعمل وأصرف على نفسى إلى أن أصابنى المرض وأشرفت على الموت كما ترى .

ومنذ سنة وأنا أبحث عن أخى فى بغداد ولكننى لم أجد له أثراً ، وحزامه لا يزال معي ، وأظن أننى سأموت فى هذه الليلة ، فإذا مت أرجو أن تغسلنى وتدفننى ، وأن تأخذ الحزام الذى فيه ألف دينار ، وأن تبحث عن أخى محمود فإن وجدته فأعطه الحزام ، وإن لم تجده فالحزام لك ، افعل به ما تشاء .

يقول ابن هبيرة : وفى الليل وأنا نائم إلى جانب الرجل المريض سمعته يتشهد ويشهق ، فنظرت إليه فإذا هو قد مات ، فقمت وغسلته وصليت عليه ، ودفنته وأخذت الحزام ، وعدلت عن الذهاب إلى قريتى « الدور » بعد أن صار معي ألف دينار ، وتوجهت إلى بغداد فى الصباح فذهبت إلى بائع العنب فأعطيته ديناراً أخذ منه نصف درهم ثمن العنب وردّ إليّ الباقى

وأعطانى عباءتى.

وذهبت إلى شاطىء نهر دجلة لأنتقل إلى القسم الآخر من بغداد فوجدت قارباً فيه ملاّح ينقل الناس بالأجر فركبت معه ، ودجلة نهرٌ عريض ، يستغرق قطعه نحو نصف ساعة أو أكثر ، فصرت أحادث الملاح ، فوجدت لهجته غير بغدادية ، فسألته من أى البلاد أنت؟ قال : أنا من خراسان ، من مدنية « مرو » قلت : ما اسمك ؟ قال : محمود . قلت : وما الذى جاء بك إلى هنا ؟ قال : هذه قصة طويلة لا شأن لك بها ، فأقسمت عليه أن يحكى لى قصته ، فقال : أنا كنت تاجراً فى « مرو » وكان لى أخ أكبر منى اسمه أحمد تاجر أيضاً واتفقنا أن نذهب إلى بغداد لنشترى بضاعة منها نبيعها « مرو » وكان معى ألف دينار وضعتها فى حزام وخبأتها مع أخى لأنه أكبر منى ، وذهبنا مع القافلة وقبل وصولنا إلى بغداد خرج علينا اللصوص فنهبوا القافلة وقتلوا وجرحوا خلقاً منها ، وهربت أنا منهم قبل أن يصلوا إلىّ .

وفى اليوم الثانى عدت إلى مكان القافلة ففتشت بين القتلى والجرحى فلم أجد أخى ، والظاهر أنه طمع فى الألف دينار التى كانت معه فأخذها وهرب بها وتركنى أقاسى الفقر والحرمان ، فجئت إلى بغداد وجلست على شاطئ دجلة حزيناً ، فرآنى صاحب هذا القارب فسألنى عن حالى ، فحكيت له قصتى ، فقال : تعال اشتغل معى على هذا القارب فإننى قد أصبحت شيخاً عجوزاً ضعيفاً ، لا قدرة لى على العمل وليس لى ولد .

فاشتغلت معه ، ثم زوجنى ابنته وأسكننى فى بيته ، ثم توفى منذ بضعة أشهر رحمه الله تعالى .

يقول ابن هبيرة : فسألته عن صفات حزامه فكانت مطابقة لصفات الحزام

الذى معى ، فتيقنت أنه هو صاحب الحزام ، فأخرجته له ، فلما رآه شهق وكاد أن يغمى عليه ، فرششت عليه الماء فانتبه وقال : من أين لك هذا الحزام ؟ ، فحكيت له قصة أخيه وقلت له : إنه لم يهرب بالحزام ؟ بل كان يبحث عنك فى بغداد ليرده إليك ، فقال : رحمه الله تعالى رحمةً واسعة ، وفرح فرحاً شديداً بالحزام ، فقلت له : عدّ الدنانير فوجد ٩٩٩ ديناراً ، فقلت له : الدينار الناقص صرفته لأدفع منه ثمن عنقود من العنب لأخيك ، فقال : سامحك الله به ، وهذه عشرة دنانير أخرى لك ، وأعطانى عشرة دنانير ذهباً ، وتركته وذهبت .

وعندما وجدت نفسى فى بغداد قلت : لأذهب إلى ديوان الوظائف وأسألهم عن الوظيفة ، فذهبت وما أن رأونى حتى قالوا : أين أنت ؟ ، إننا نبحث عنك ، فقد شغرت عندنا وظيفة لك ، وهكذا كان عنقود العنب هو السبب فى رجوعى إلى بغداد ، وهو السبب فى حصولى على الوظيفة ، وتنقلت فى الوظائف حتى أصبحت مشرفاً على مخازن الخليفة المقتفي لأمر الله ثم أصبحت كاتباً فى ديوان الخليفة ، ولما رأى الخليفة كفايتى وأمانتى ونصحى قلدنى الوزارة فى سنة ٥٤٤هـ ، وبعد أن توفى الخليفة المقتفى لأمر الله صار ابن هبيرة وزيراً لابنه المستنجد بالله ، وبقى فى الوزارة إلى أن توفى سنة ٥٦٠ هـ رحمه الله تعالى .



[٥٤] من أروع القصص [1]

روى أنه لحق بني اسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام ، فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا كليم الله .. ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث ، فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون .. فقال موسى عليه السلام : إلهي .. اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك .. وارحمنا بالأطفال الرضّع والبهائم الرتّع والشيوخ الركع ، فما زادت السماء إلا تقشعاً .. والشمس إلا حرارة .. فتعجب موسى عليه السلام وسأل ربه عن ذلك .. فأوحى الله إليه : « إن فيكم عبداً يبارزني بالمعاصى منذ أربعين سنة ، فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم ، فبه منعتكم .. » .. فقال موسى : إلهي وسيدي .. أنا عبد ضعيف ، وصوتى ضعيف ، فأين يبلغ ... وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ؟ .. فأوحى الله إليه : منك النداء ومنا البلاغ .. فقام منادياً وقال : « أيها العبد العاصي الذى يبارز الله بالمعاصى منذ أربعين سنة .. اخرج من بين أظهرنا فبك مُنعنا المطر » ..

فنظر العبد العاصى ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ أحداً خرج منهم ، فعلم أنه المطلوب فقال في نفسه : إن أنا خرجت من بين هذا الخلق فضحت نفسى ، وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلي .. فأدخل رأسه فى ثيابه نادماً على فعاله ، وقال : إلهي وسيدي .. عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى ، وقد أتيتك طائعاً فاقبلني .. فلم يستتم كلامه حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب .. فقال موسى : إلهي وسيدي .. بماذا سقيتنا وما خرج من بين

---

(١) من كتاب اللآلي الحسان للمسند .

أظهرنا أحد ؟! فقال : يا موسى .. سقيتكم بالذى منعتكم « يعنى ذلك الرجل التائب » .. فقال موسى : إلهى أرني هذا العبد الطائع .. فقال يا موسى .. إنى لم أفضحه وهو يعصينى ، أأفضحه وهو يطيعنى ؟؟ .

وهكذا كان رجل عاصٍ سبباً فى منع الماء من السماء فكيف إذا كانت الأمة كلها عاصية إلا من رحمه الله ؟؟

وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) ﴾ (١) .

---

(١) سورة الجن الآية « ١٦ » .

[٥٥] رأى في المنام غناه بمصر (١)

قال القاضى أبو عمر محمد بن يوسف : كان في جوارنا رجلٌ انتشرت عنه حكاية ، وظهر فى يده مال جليل ، بعد فقر طويل فسألت عن الحكاية ، فقال : ورثت عن أبى مالاً جليلاً ، فأسرعت فيه ، وأتلفته حتى أفضيت إلى بيع أبواب داري وسقوفها ، ولم يبق لى من الدنيا حيلة ، وبقيت مدة بلا قوت ، إلا من غزل أُمّي ، فتمنيت الموت .

فرأيت ليلة فى النوم ، كأن قائلاً يقول لى : غناك بمصر ، فاخرج إليها .

فبكرت إلى أبى عمر القاضى ، وتوسلت إليه بالجوار ، وبخدمة كانت من أبى لأبيه ، وسألته أن يزودنى كتاباً إلى مصر ، لأتصرف فيها ، ففعل وخرجت.

فلما حصلت بمصر أوصلت الكتاب ، وسألت التصدق ، فسد الله على الوجوه حتى لم أظفر بتصدق ولا لاح .

ونفدت نفقتى فبقيت متحيراً ، وفكرت فى أن أسأل الناس ، وأمد يدى على الطريق ، فلم تسمح نفسى ، فقلت : أخرج ليلاً وأسأل ، فخرجت بين العشاءين ، فمازلت أمشى فى الطريق ، وتأبى نفسى المسألة ، ويحملنى الجوع عليها ، وأنا ممتنع إلى أن مضى صدر من الليل .

فلقينى الطائف (٢) ، فقبض عليّ ، ووجدني غريباً فأنكر حالي ، فسألنى عن خبرى ، فقلت : رجل ضعيف ، فلم يصدقنى ، وبطحنى ، وضربنى

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمى .
(٢) العسس وهو رجل الشرطة الآن – الناشر – .

مقارع فصحت : أنا أصدقك .

فقال : هات .

فقصصت عليه قصتى من أولها إلى آخرها ، وحديث المنام .

فقال لي : أنت رجل ما رأيت أحمق منك ، والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة ، فى النوم ، كأنه رجلٌ يقول لي : ببغداد فى الشارع الفلانى ، فى المحلة الفلانية - فذكر شارعى ومحلتى - فسكت ، وأصغيتُ إليه - وأتم الشرطي الحديث فقال : دار يقال لها : دار فلان - فذكر دارى ، واسمي - فيها بستان ، وفيه سدرة - وكان فى بستان داري سدرة وتحت السدرة - مدفون ثلاثون ألف دينار فامض ، فخذها ، فما فكرت فى هذا الحديث ، ولا التفت إليه ، وأنت يا أحمق ، فارقت وطنك ، وجئت إلى مصر بسبب منام .

قال : فقوي بذلك قلبى ، وأطلقني الطائف ، فبت فى بعض المساجد ، وخرجت مع السحر من مصر ، فقدمت بغداد ، فقطعت السدرة ، وحفرت تحتها ، فوجدت قمقماً فيه ثلاثون ألف دينار ، فأخذته ، وأمسكت يدى ، ودبرت أمري ، فأنا أعيش من تلك الدنانير ، من فضل ما ابتعت منها من ضيعة وعقار إلى اليوم .



[٥٦] ربح بيعك يا أبا الدحداح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ (١) .

قال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا أن نقرضه ؟.

قال : « نعم يا أبا الدحداح » .

قال : أرنى يدك يا رسول الله ، فناوله يده فقال أبو الدحداح : اشهد يا رسول الله أنى قد أقرضت ربي حائطي « بستاني » ، وكان له بستان فيه ستمائة نخلة ، وفى البستان زوجته أم الدحداح وأولاده يسكنونه ، ثم جاء إلى البستان ، فنادى زوجته : يا أم الدحداح .

قالت : لبيك .

قال : اخرجى أنت وأولادك ، فقد أقرضت الله بستاني .

فما أعولت زوجته ولا عنفته ، ولا صرخت فى وجهه ولكنها استبشرت ، وقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ثم نقلت متاعها وصبيانها ... !!! .

فقال الرسول ﷺ : « **كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح** » (٢).



---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٥ » .

(٢) صحيح : راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم « ٢٩٦٤ » .

[٥٧] توبة امرأة مغربية بعد إصابتها بالسرطان وشفائها منه في بيت الله [١]

« ليلى الحلو » امرأة مغربية ، أُصيبت بالمرض الخبيث « السرطان » ، فعجز الأطباء عن علاجها ، ففقدت الأمل إلا بالله الذى لم تكن تعرفه من قبل ، فتوجهت إلى بيته الحرام ، وهناك كان الشفاء ، والآن – عزيزي القارئ – أتركك مع الأخت ليلى لتروى تفاصيل قصتها بنفسها ، فتقول :

منذ تسع سنوات أصبت بمرض خطير جداً ، وهو مرض السرطان ، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جداً ، وهناك فى المغرب لا نسميه السرطان ، وإنما نسمه « الغول » أو « المرض الخبيث » .

أصبت بالتاج الأيسر ، وكان إيمانى بالله ضعيفاً جداً ، كنت غافلة عن الله تعالى ، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته ، وأن شبابه وصحته كذلك ، وما كنت أظن أبداً أني سأُصاب بمرض خطير كالسرطان ، فلما أصبت بهذا المرض زلزلنى زلزالاً شديداً ، وفكرت فى الهروب ، ولكن إلى أين ومرضى معى أينما كنت ؟! فكرت فى الانتحار ولكنى كنت أحب زوجى وأولادى ، وما فكرت أن الله سيعاقبنى إذا انتحرت ، لأنى كنت غافلة عن الله كما أسلفت .

وأراد الله سبحانه أن يهدينى بهذا المرض ، وأن يهدى بى كثيراً من الناس ، فبدأت الأمور تتطور .

---

(١) العائدون إلى الله ، للمسند ج ٢ ، وقال : هذه القصة نقلتها من شريط مسجل بصوتها هي « باختصار » .

لما أُصبت بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا وزرت عدداً من الأطباء هناك ، فقالوا لزوجي : لابد من إزالة الثدي ... وبعد ذلك استعمال أدوية حادّة تسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين ، وتعطى لحية على الوجه ، كما تسقط الأظافر والأسنان ، فرفضت رفضاً كلياً ، وقلت : إنى أفضل أن أموت بثديي وشعرى وكل ما خلق الله بى ولا أشوه ، وطلبت من الأطباء أن يكتبوا لى علاجاً خفيفاً ففعلوا .

فرجعت إلى المغرب واستعملت الدواء فلم يؤثر عليّ ، ففرحت بذلك ، وقلت فى نفسى : لعل الأطباء قد أخطأوا ، وأنى لم أصب بمرض السرطان ، ولكن بعد ستة أشهر تقريباً بدأت أشعر بنقص فى الوزن ، لوني تغير كثيراً ، وكنت أحس بالآلام ، كانت معى دائماً ، فنصحنى طبيب فى المغرب أن أتوجه إلى بلجيكا فتوجهت إلى هناك .

وهناك ، كانت المصيبة فقد قال الأطباء لزوجي : إن المرض قد عم ، وأصيبت الرئتان ، وأنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة ... ثم قالوا لزوجي : من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك .

فُجِعَ زوجي بما سمع ، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك ، ولكنا لم نجد شيئاً ، وأخيراً حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى وأقطع ثديي وأستعمل العلاج الحادّ .

لكن زوجي تذكر شيئاً كنا قد نسيناه ، وغفلنا عنه طوال حياتنا ، لقد ألهم الله زوجي أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام ، لنقف بين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضرّ ، وذلك ما فعلنا .

خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر ، وفرحت كثيراً لأنني لأول مرة

سأدخل بيت الله الحرام ، وأرى الكعبة المشرفة ، واشتريت مصحفاً من مدينة باريس ، وتوجهنا إلى مكة المكرمة .

وصلنا إلى بيت الله الحرام ، فلما دخلنا ورأيت الكعبة بكيت كثيراً لأننى ندمت على ما فاتنى من فرائض وصلاة وخشوع وتضرع إلى الله ، وقلت يارب ... لقد استعصى علاجى على الأطباء ، وأنت منك الداء ومنك الدواء ، وقد أُغلقت فى وجهى جميع الأبواب ، وليس لى إلا بابك فلا تغلقه فى وجهى ، وطفت حول بيت الله ، وكنت أسأل الله كثيراً بأن لا يخيبنى ، وأن لا يخذلنى وأن يحيّر الأطباء فى أمري .

وكما ذكرت آنفاً ، فقد كنت غافلة عن الله ، جاهلة بدين الله ، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك ، وأسألهم أن يدلونى على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أستفيد منها ، فنصحونى كثيراً بتلاوة كتاب الله والتضلع من ماء زمزم – والتضلع هو أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء قد وصل إلى أضلاعه – كما نصحونى بالإكثار من ذكر الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ .

شعرت براحة نفسية واطمئنان فى حرم الله ، فطلبت من زوجى أن يسمح لى بالبقاء فى الحرم ، وعدم الرجوع إلى الفندق ، فأذن لى .

وفى الحرم كان بجوارى بعض الأخوات المصريات والتركيات ... كن يريننى أبكى كثيراً ، فسألننى عن سبب بكائى ، فقلت : لأننى وصلت إلى بيت الله وما كنت أظن أنى سأحبه هذا الحب ، وثانياً : لأننى مصابة بالسرطان .

فلازمننى ولم يكن يفارقننى فأخبرتهن أننى معتكفة فى بيت الله ، فأخبرن

أزواجهن ومكثن معي ، فكنا لا ننام أبداً ، ولا نأكل من الطعام إلا القليل ، لكنا كنا نشرب كثيراً من ماء زمزم ، والنبى ﷺ يقول : « **ماء زمزم لما شُرب له** » ، إن شربته لتشفى شفاك الله ، وإن شربته لظمأك قطعه الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، فقطع الله جوعنا ، وكنا نطوف دون انقطاع ، حيث نصلى ركعتين ثم نعاود الطواف ، ونشرب من ماء زمزم ونكثر من تلاوة القرآن ، وهكذا كنا فى الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً ، عندما وصلت إلى بيت الله كنت هزيلة جداً ، وكان فى نصفي الأعلى كثير من الكويرات والأورام التى تؤكد أن السرطان قد عم جسمى الأعلى ، فكنّ ينصحنني أن أغسل نصفى الأعلى بماء زمزم ، ولكن كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات ، فأتذكر ذلك المرض فيشغلنى ذلك عن ذكر الله وعبادته ، فغسلته دون أن ألمس جسدي .

وفى اليوم الخامس ألح عليّ رفيقاتى أن أمسح جسدي بشىء من ماء زمزم ، فرفضت فى بداية الأمر ، ولكنى أحسست بقوة تدفعنى إلى أن آخذ شيئاً من ماء زمزم وأمسح بيدى على جسدى ، فخفت فى المرة الأولى ، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية ، فترددت ، ولكن فى المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدى ومسحت بها على جسدى وثديي الذى كان مملوءاً كله دماً وصديداً وكويرات وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئاً فى جسدى ... لا ألماً ولا دماً ولا صديداً ... .

فاندهشت فى أول الأمر ، فأدخلت يدى فى قميصى لأبحث عما فى جسدى فلم أجد شيئاً من تلك الأورام ، فارتعشت ، ولكن تذكرت أن الله على كل شىء قدير ، فطلبت من إحدى رفيقاتى أن تلمس جسدى ، وأن تبحث

عن هذه الكويرات ، فصحن كلهن دون شعور : الله أكبر .. الله أكبر ..

فـانطلقـت لأخبـر زوجي ودخلت الفندق ، فلمـا وقـفـت أمـامـه مـزقت قميصي وأنا أقول : انظر رحمة الله ، وأخبرته بما حدث ، فلم يصدق ذلك ، وأخذ يبكي ويصيح بصوت عال : هل علمت أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط ؟! فقلت له : إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الغيب إلا الله .

مكثنا في بيت الله أسبوعاً كاملاً ، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، ثم زرنا المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورجعنا إلى فرنسا ، وهناك حار الأطباء في أمري واندهشوا وكادوا يجنون ، وصاروا يسألونني : هل أنت فلانة ؟! فأقول لهم : نعم - بافتخار - وزوجي فلان ، وقد رجعت إلى ربي ، وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه ، فالقضاء قضاء الله ، والأمر أمره.

فقالوا لي : إن حالتك غريبة جداً وإن الأورام قد زالت ، فلابد من إعادة الفحص .

أعادوا فحصي مرة ثانية فلم يجدوا شيئاً ، وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام ، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عني .

بعد ذلك كنت أبحث عن سيرة النبي ﷺ وعن سيرة أصحابه رضي الله عنهم ، وأبكي كثيراً ، كنت أبكي ندماً على ما فاتني من حب الله ورسوله ، وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل ، وأسأل الله أن يقبلني وأن يتوب عليّ وعلى زوجي وعلى جميع المسلمين .

[٥٨] خمس بخمس

عن سعيد بن مسلمة قال : بينما امرأة عند عائشة إذ قالت : بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزنى ولا أقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه من بين يدى ورجلى ولا أعصى فى معروف ، فوفيت لربى ووفا لى ربى ، فوالله لا يعذبنى الله .

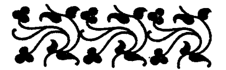
فأتاها فى المنام ملك فقال لها : كلا ، إنك تتبرجين ، وزينتك تبدين ، وخيرك تكنزين ، وجارك تؤذين ، وزوجك تعصين ، ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها ، وقال : خمس بخمس و لو زدت زدناك ، فأصبحت وأثر الأصابع فى وجهها .



[٥٩ - أ] قصة البقرة الناطقة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما راعٍ فى غنمه عدا عليه الذئبُ ، فأخذ منها شاةً ، فطلبه الراعى ، فالتفت إليه الذئبُ ، فقال : من لها يوم السبُعِ ، يوم ليس لها راع غيرى ؟!! ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حملها عليها ، فالتفتت إليه فكلمته ، فقال : إنى لم أُخْلَقْ لهذا ، ولكنى خلقت للحرث** » ، فقال الناس : سبحان الله ! .

قال النبى ﷺ : « **فإنى أؤمن بذلك ، وأبو بكر ، وعمرُ بن الخطاب رضى الله عنهما** » [١] .



(١) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

[ب] قصة الذئب المتكلم

عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال :

عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه ، وقال : ألا تتقى الله ، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي ؟! .

فقال الراعى : يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ؟!! .

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ ، محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !! .

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زوايها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم .

فأمر رسول الله ﷺ فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال للراعى : « **أخبرهم** » فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدق والذي نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطة وشراك نعلة ، ويخبره فخذه بم أحدث أهله بعده** » [١] .



(١) **صحيح** : أخرجه أحمد والترمذى وقال : حسن صحيح ، والحاكم وصححه وأقره الذهبى .

[٦٠] الرحيل [١]

بدت أُختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم .. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم .. تبحث عنها تجدها في مصلاها .. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء .. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل ..

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي .. أشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنني عُرِفتُ به .. وَمن أكثر مِن شيء عُرِفَ به .. لا أؤدّي واجباتي كاملة ولست منضبطة في صلواتي .. .

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور ..

عدت إلى فراشي ..

تناديني من مصلاها .. نعم ماذا تريدين يا نورة ؟ .

قالت لي بنبرة حادة : لا تنامي قبل أن تُصلي الفجر ..

أوه .. بقي ساعة على صلاة الفجر وما سمعته كان الأذان الأول ..

بنبرتها الحنونة – هكذا هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش .. نادتني .. تعالي يا هناء بجانبي .. لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها .. تشعر بصفائها وصدقتها لا شك طائعاً ستلبي ..

ماذا تريدين ؟ ..

---

(١) الزمن القادم ، جـ ١ ، عبد الملك القاسم .

– اجلسي ..

– ها قد جلست ماذا لديك ..

بصوت عذب رخيم :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

سكتت برهة .. ثم سألتني ..

– ألم تؤمني بالموت ؟

– بلى مؤمنة ..

– ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة ؟ ..

– بلى .. ولكن الله غفور رحيم .. والعمر طويل ..

– يا أختى .. ألا تخافين من الموت وبغتته ؟ ..

– انظرى هند أصغر منك وتوفيت فى حادث سيارة... وفلانة ...وفلانة ... الموت لا يعرف العمر .. وليس مقياساً له ..

أجبتها بصوت الخائف حيث مصلاها المُظلم ..

– إننى أخاف من الظلام وأخفتني من الموت .. كيف أنام الآن ؟ .. كنت أظن أنك وافقت للسفر معنا هذه الإجازة ..

فجأة .. تحشرج صوتها واهتز قلبى ..

– لعلي هذه السنة أسافر سفراً بعيداً .. إلى مكان آخر .. ربما يا هناء .. الأعمار بيد الله .. وانفجرت بالبكاء ..

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٨٥ » .

تفكرت في مرضها الخبيث وأن الأطباء أخبروا أبي سراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً .. ولكن من أخبرها بذلك ؟ .. أم أنها تتوقع هذا الشيء ..

– مالك تفكرين ؟ ..

جاءني صوتها القوي هذه المرة ..

– هل تعتقدين أني أقول هذا لأنني مريضة ؟ ..

كلا .. ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء ..

وأنت إلى متى ستعيشين .. ربما عشرين سنة .. ربما أربعون سنة .. ثم ماذا ؟ .. لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة ..

لا فرق بيننا كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى جنة أو إلى نار ...

ألم تسمعي قول الله : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [١].

تصبحين على خير ..

هرولتُ مسرعة وصوتها يطرق أذني .. هداك الله .. لا تنسي الصلاة .. الثامنة صباحاً ..

أسمعُ طرقاً على الباب .. هذا ليس موعد استيقاظي ..

بكاء .. وأصوات .. ماذا جرى ..

لقد تردت حالة نورة .. وذهب بها أبي إلى المستشفى ..

إنا لله وإنا إليه راجعون ..

لا سفر هذه السنة .. مكتوب عليّ البقاء هذه السنة في بيتنا

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٨٥ » .

بعد انتظار طويل ..

عند الساعة الواحدة ظهراً .. هاتف من أبي في المستشفى .. تستطيعون زيارتها هيا بسرعة .

أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأن صوته متغير ..

عباءتي في يدي ..

أين السائق .. ركبنا على عجل .. أين الطريق الذى كنت أذهب لأتمشى مع السائق فيه؟ يبدو قصيراً .. ماله اليوم طويل .. وطويل جداً ..

أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفت يمنة ويسرة .. زحام أصبح قاتلاً ومملاً ..

أمي بجواري تدعو لها .. إنها بنت صالحة ومطيعة .. لم أرها تضيع وقتها أبداً ..

دلفنا من الباب الخارجي للمستشفى ..

هذا مريض يتأوه .. وهـذا مصاب بحادث سيارة ، وثالث عيناه غائرتان .. لا تدرى هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة !! ..

منظر عجيب لم أره من قبل ..

صعدنا درجات السلم بسرعة ..

إنها فى غرفة العناية المركزة .. وسآخذكم إليها .. ثم واصلت الممرضة إنها بنت طيبة وطمأنت أمي أنها فى تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها ..

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد ..

هذه هي غرفة العناية المركزة ..

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التى فى باب الغرفة أرى عيني أختى نورة تنظر إلي وأمي واقفة بجوارها .. بعد دقيقتين خرجت أمى التى لم تستطع إخفاء دموعها ..

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيراً .. دقيقتان كافية لك ..

– كيف حالك يانورة ..

لقد كانت بخير مساء البارحة .. ماذا جرى لك ؟ ..

أجابتنى بعد أن ضغطت على يدي : وأنا الآن ولله الحمد بخير .. الحمد لله ولكن يدك باردة ..

كنت جالسة على حافة السرير ولامستُ ساقها .. أبعدته عني .. آسفة إذا ضايقتك .. كلا ولكنى تفكرت فى قول الله تعالى :

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) ﴾ [(١)]، عليك يا هناء بالدعاء لى فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة ..

سفري بعيد وزادي قليل ..

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أعِ أين أنا ..

استمرت عيناي في البكاء .. أصبح أبي خائفاً عليّ أكثر من نورة .. لم يتعودوا هذا البكاء والانطواء فى غرفتي ..

مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين ..

---

(١) سورة القيامة الآيات « ٢٩ ، ٣٠ » .

ساد صمت طويل في بيتنا ..

دخلت عليّ ابنة خالتي .. ابنة عمتي ..

أحداث سريعة ..

كثر القادمون .. اختلطت الأصوات .. شيء واحد عرفته .. نورة ماتت ..

لم أعد أُميز من جاء .. ولا أعرف ماذا قالوا ..

يا الله .. أين أنا وماذا يجري ؟ .. عجزت حتى عن البكاء ..

فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداع الأخير .. وأني قبلتها .. لم أعد أتذكر إلا شيئاً واحداً .. حين نظرت إليها مسجاة .. على فراش الموت .. تذكرت قولها ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) ﴾ ، عرفت الحقيقة ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) ﴾ .

لم أعرف أنني عدت إلى مصلاها إلا تلك الليلة ..

وحينها تذكرت من قاسمتني رحم أمي فنحن توأمان .. تذكرت من شاركتني همومي .. تذكرت من نَفّست عني كربتي .. من دعت لي بالهداية .. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب .. والله المستعان ..

هذه أول ليلة لها في قبرها .. اللهم ارحمها ونور لها قبرها ..

هذا هو مصحفها .. وهذه سجادتها .. وهذا .. وهذا ..

بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي .. تذكرتها وبكيت على أيامي الضائعة .. بكيت بكاء متواصلاً .. ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليّ ويعفو عني .. دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب

أن تدعو ..

فجأة سألت نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا ؟ ما مصيرى .. ؟ ..

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذى أصابنى .. بكيت بحرقة ..

الله أكبر .. الله أكبر .. ها هو أذان الفجر قد ارتفع .. ولكن ما أعذبه هذه المرة ..

أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن .. لفلفت ردائى وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر .. صليت صلاة مودع .. كما صلتها أختى من قبل .. وكانت آخر صلاة لها ..

إذا أصبحتُ لا أنتظر المساء ..

وإذا أمسيتُ لا أنتظرُ الصباح ..

[٦١] ما صار إليه أمر المتكبر والمنافق (١)

[أ] يروى أن رجلاً كان يسعى بين الصفا والمروة راكباً فرساً – قبل أن يصير المسعى فى المسجد – وبين يديه العبيد والغلمان توسع له الطريق ضرباً ، فأثار بذلك غضب الناس وحملقوا فى وجهه ، وكان فارع الطول ، واسع العينين ، وبعد سنين رآه أحد الحُجاج الذين زاملوه يتكفف الناس على جسر بغداد ، فقال له : أليست الرجل الذى كنت تحج فى سنة كذا وبين يديك العبيد توسع لك الطريق ضرباً ؟ .

قال : بلى ، قال : فما صيرك إلى ما أرى ؟ .

قال : تكبرت في مكان يتواضع فيه العظماء ، فأذلنى الله فى مكان يتعالى فيه الأذلاء .

[ب] ذكر الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – عن أحد خطباء مصر وكان فصيحاً متكلماً ، وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد امراء مصر عندما أكرم طه حسين فقال فى خطبته : جاءه الأعمى « طه حسين » فما عبس بوجهه وما تولى !! فما كان من الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر – إلا أن قام بعد الصلاة – يعلن للناس أن صلاتهم باطلة وعليهم إعادتها لأن الخطيب كفر بشتمه رسول الله ﷺ ، يقول أحمد شاكر :

ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه فى الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه فى

---

(١) نوادر من التاريخ ، لصالح الزمام .

الآخرة ، فأقسم بالله لقد رأيته بعين رأسى بعد بضع سنين وبعد أن كان عالياً منتفخاً مستعزاً بمن لاذ بهم من الكبراء والعظماء ، رأيته مهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها فى ذلة وصغار حتى لقد خجلت أن يرانى وأنا أعرفه وهو يعرفنى – لا شفقة عليه – فما كان موضعاً للشفقة ، ولا شماتة فيه ، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة ، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة .

[٦٢] مجالس الذكر [1]

في مدينة الموصل .. وفي أوائل هذا القرن .. حدثت هذه الحادثة :

سارق مشهور واسمه « عبود » .. له عصابة من اللصوص المدربة .

وفي يوم من الأيام .. أراد سرقة دار جاره .. فعبر الحائط ، واستقر فوق السطح مع عصابته ، وأخذ يستطلع من أعلى حركة أهل الدار حتى يفاجئهم حين ينامون .

ولكنهم رأوا في إيوان الدار – وكانت الدار مكشوفة من الطراز القديم – رأوا حلقة للذكر فيها جمع من الناس يذكرون الله .

وانتظر حتى الصباح ... ثم غادر الدار مع عصابته ليعود إليها سبعة أيام متتالية ، وليرى حلقة الذكر حافلة بالناس يذكرون الله .

وفي اليوم الثامن .. زار اللص بيت جاره – وكان الجار ورعاً تقياً كثير التدين مهتماً بأحوال الفقراء والمساكين والمحتاجين – وسأله : أفي كل يوم تقيم حلقة للذكر في دارك ؟ .

فاستغرب الجار وقال : لم أعقد حلقة للذكر منذ سنوات !! .

قال اللص : الآن حصحص الحق ، وقص عليه القصة .

فقال الجار : لقد صدق الله العظيم حينما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2] .

ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لوثة يردد : أنا رأيت مجالس الذكر بعيني !! كيف ؟ كيف ؟ .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، جـ ٥ ، للحازمي .
(٢) سورة الحج الآية « ٣٨ » .

[٦٣] لسعة عقرب [1]

جاء في مجلة حضارة الإسلام السورية العدد ٢ « ربيع الثاني ١٣٨٨هـ – تموز ١٩٦٨م » تحت العنوان أعلاه ما نصه :

قال لي محدثي : بينا كنت أبحث عن دابتي التي ضلت مني ساقني ذلك إلى ضفاف دجلة التي كانت تبعد عن قريتنا مسافة أمتار معدودة ، ومن عادة هذه القرية أنها تنام خارج منازلها في فصل الصيف هرباً من الحر ، هذا يفرش على الأرض ، وذاك على السرير ، وآخر على حصرة من القش وهكذا ، وقد كانت أمسية ذلك اليوم من الأمسيات المقمرة الجميلة التي يَتَصَدَّرُ فيها البدر كبد السماء مرسلاً أشعته الفضية على أرجاء المعمورة وقد بدت القرية مكشوفة أمام الأنظار تأخذ الألباب بمناظرها الخلابة ، وجوّها الساحر ، وهوائها العليل ، وإن هي إلا لحظات وتطلعت حولي وإذا بدوية صغيرة عائمة على صفحة النهر قادمة باتجاهي ، لفتت نظري هذه المخلوقة وأغراني الفضول وحب الاستطلاع أن أعلم شيئاً عن أمرها ، ما زالت تجرى بحركتها الوئيدة حتى دنت من الضفة فإذا هي ضفدعة وعلى متنها عقرب قد تشبثت بها ، وما إن وصلت إلى اليابسة حتى نزلت عنها العقرب وانطلقت بكل سرعتها نحو قريتنا وكأن مهمة قد أوكلت إليها وعليها قضاؤها في أوانها ، وجريت بدوري خلفها مقتفياً أثرها حتى دخلت في حرم القريـة ولم أشأ قتلها بل تركتها للقـدر الذي ولاّها هذه الوجهة ، ولكني تبعتها أنظر ماذا تصنع .

---

(١) طرائف وملح ، لموسى الأحمدي .

واتجهت نحو الصُبْرة التى فرش عليها حسين ذلك الشاب الصالح وقد استسلم لسبات عميق ، ثم إنها توغلت فى الصبرة ولم أعد أعرف عنها شيئاً ، ولكنى تريثت لأستجلى الخبر فما هى إلا برهة من الزمن حتى شاهدت اضطراباً فى فراش حسين فقلت فى نفسى : لابد أن العقرب قد لسعته ثم رأيتها تخرج من بين ثنايا الصبرة وهى أشد مضاء آيبة من حيث جاءت وما إن وصلت إلى الضفة حتى كانت مركبتها الضفدعة جاهزة لتنقلها إلى مكانها المعهود .

ثم عدت لأرى ما جرى لصاحبي حسين فرفعت الغطاء عنه وإذا بى أرى العجب العجاب ، إن حية عظيمة قد وقعت صريعة إلى جانبه وبوسائلي أبعدت الحية عنه فإذا هى لا تبدى حراكاً فعلمت عندئذ أنها هالكة وما أهلكتها إلا العقرب ، فقد كان خط الدماء المنسالة من رأسها يشير إلى مكان اللعسة وصاحبى حسين لم يصب بسوء ترعاه ملائكة الرحمة ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [١] ، فسبحانه من إله حافظ ستار » انتهى كلام المجلة .

والحيات تموت من لسع العقارب .



(١) سورة الرعد الآية « ١١ » .

[٦٤] خطوات الشيطان [١]

تخرج أنور من الجامعة مهندساً ، وافتتح له أبوه مكتباً فخماً وأهداه سيارة ووعده بأن يهديه « ڤيلا » فخمة عند زواجه ، وكان والد أنور يعمل مقاولاً ، وقد رست مناقصة بناء عمارة حكومية عليه وكانت المهندسة « س - و » وهى المشرفة الهندسية على مشروع بناء العمارة الحكومية وكانت جميلة حسناء ، فأُعجب بها المقاول والد أنور ، ومع مرور الأيام نشأت بينه وبينها علاقة غرامية اختلطت فيها المصالح الشخصية مع العواطف والشهوات الحيوانية ، ورغم فارق السن بينهما تطورت العلاقات بين المقاول والمهندسة ، وكان والد أنور يغدق على المهندسة بالهدايا ، وبارك الشيطان هذه العلاقة فسقطا بالفاحشة ، وهتكا المحرمات وانغمسا فى الحرام دون خوف أو حياء وكان الشيطان يرعى هذه العلاقة وينميها ويطورها ، وتعددت اللقاءات بين المهندسة « س - و » والمقاول والد أنور فحملت منه سفاحاً ، فأخبرت المهندسة عشيقها المقاول أنها حامل فى شهرها الثانى وأنها لا تمانع فى الزواج منه ، لكن المقاول مع كبر سنه إلا أنه سقط فى الوحل واستلذ الحرام ، فاقترح عليها اقتراحاً شيطانياً خبيثاً ، وذلك أن يجهض عشيقته المهندسة ويزوجها لابنه المهندس « أنور » ، والمهندسة « س - و » هى من نفس حزب المقاول حزب الشيطان الذين لا يتوانون عن فعل أى شىء فى سبيل شهواتهم ومتطلباتهم فوافقت المهندسة على الاقتراح الشيطانى وأجهضت الجنين ، وأخذ المقاول يحاول بكل وسيلة إقناع

(١) كما تدين تُدان ، سيد الرفاعي .

ابنه بالزواج من المهندسة ، ولكن الابن رفض الزواج منها لأنه كان يعرف سلوكها عندما كانوا زملاء فى الجامعة وعلاقتها المشبوهة مع زملائه أثناء الدراسة ، لكن والده المقاول غضب وهدده أن يحرمه من كل الامتيازات التى وفرها له « الفيلا والسيارة والمكتب » ويحرمه من أى مشروع وذلك من خلال علاقاته بالمسؤولين .

ورضخ « أنور » لرغبة والده وعقد القران بين المهندسة « س – و » وأنور بمباركة من الوالد العاشق ، ومرت الأيام وعادت العلاقة بين المهندسة ووالد زوجها ، وحملت « س – و » وهى غير متأكدة هل حملها من زوجها المهندس أنور أم والده !!! وولدت طفلين توأمين .

وحتى يخلو الجو للوالد الماجن كان يرسل ابنه المهندس فى مهمات عملية للإشراف على تعهدات ومقاولات تابعة له فى مناطق نائية بعيدة حتى يغرق الوالد فى بؤرة الفساد مع زوجة ابنه .

وحملت المهندسة « س – و » مرة ثانية ولكنها هذه المرة كانت متأكدة أن حملها كان أثناء غياب زوجها فهى حامل من والده المقاول .

ولدت المهندسة أيضاً توأمين طفلاً وطفلة !! .

استمرت « س – و » مع المقاول والد زوجها بعلاقتها الحرام وكان المقاول الأب يغرقها هي وأولادها بالأموال ويرعاهم .

وذات يوم كان الابن المخدوع فى مهمة عمل إلا أنه عاد قبل موعده ورأى سيارة والده فى الكراج فصعد الدرج إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم فرأى والده مع زوجته وهما يتنادمان فى جلسة لا توحي إلا بعلاقة حرام بينهما ولما أحسا به تصرفا بشكل طبيعي وكأن لم يكن بينهما شيء ، وجم المهندس أنور

وأدرك أن علاقة حرام تجمع بين والده وزوجته ولكنه انتظر حتى يستفسر من زوجته عندما غادر والده البيت عائداً لبيته وكتم أنور غضبه ، وفى الصباح أخذ فى مساءلة زوجته عما رآه البارحة وتطور النقاش بينهما فاتهمها أن الأولاد ليسوا أولاده وأنهم أولاد حرام ، فبصقت الزوجة فى وجة زوجها واتهمته بعدم الرجولة وخرج أنور والشر يتطاير من عينيه متوجهاً إلى بيت والده وصارحه بالأمر وانهارت بينهما القيم وتقطعت الأواصر .

أما الزوجة التعيسة فجن جنونها وسيطرت عليها حالة من الهيستيريا أفقدتها أعصابها فأخذت ترمي بأولادها من الطابق العاشر واحداً تلو الآخر وسط ذهول الناس ورغم توسلاتهم ألا تلقي بهم ، ولكنها أعماها الغضب والجنون وألقت بهم جميعاً دون رحمة أو شفقة من الطابق العاشر ! [(١)] .

وهكذا كانت نزوة شيطانية سبباً بارتكاب هذه الجرائم البشعة التى لا يصدقها عقل ولكنها الشهوة الحرام واتباع الشيطان ، وكم حذرنا الله عز وجل فى كتابه المجيد من ألاعيب الشيطان ومكايده ، وأن همه إسقاط الناس بحبائله وضمهم لحزبه .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [(٢)] .

قال رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة ... يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته .. فليزمه ويقول : نعم أنت** » [(٣)] .

---

(١) جريدة الأنباء .
(٢) سورة النور الآية « ٢١ » .
(٣) صحيح : رواه مسلم .

[٦٥] بخيل وبخيلة

حكى بعضهم قال : كنت فى سفر ، فضللت فى الطريق فرأيت بيتاً فى الفلاة فأتيته ، فإذا فيه أعرابية ، فلما رأتنى قالت : مَن تكون ؟ قلت : ضيف ، قالت : أهلاً ومرحباً بالضيف ، انزل على الرحب والسعة . قال : فنزلت ، فقدّمت لى طعاماً فأكلت ، وماء فشربت ، فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت فقال : من هذا ؟ فقالت : ضيف ، فقال : لا أهلاً ولا مرحباً ، ما لنا وللضيف ، فلما سمعت كلامه : ركبت من ساعتى وسرت ، فلما كان من الغد رأيت بيتاً فى الفلاة ، فقصدته فإذا فيه أعرابية فلما رأتنى قالت : مَن تكون ؟ قلت : ضيف ، قالت : لا أهلاً ولا مرحباً بالضيف ، ما لنا وللضيف . فبينما هى تكلمنى إذ أقبل صاحب البيت ، فلما رآنى قال : مَن هذا ؟ قال : ضيف ، قال : مرحباً وأهلاً بالضيف . ثم أتى بطعام حسن فأكلت ، وماء فشربت ، فتذكرت ما مرّ بي بالأمس ، فتبسمت ، فقال : مِمّ تبسمك ؟ فقصصت عليه ما اتفق لىْ مع تلك الأعرابية ، وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته ، فقال : لا تعجب : إن تلك الأعرابية التى رأيتها هى أختى وإن بعلها أخو امرأتى هذه ، فغلب على كل طبع أهله .



[٦٦] قصة المرأة التي عجب الله من صنيعها

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى مجهود .. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء .. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك .. فقال ﷺ من يضيفه يرحمه الله ؟ فقام أبو طلحة فقال : أنا يا رسول الله .. فانطلق به إلى رحله .. فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ فقالت : لا إلا قوت صبيانى ، قال : فعلليهم بشىء ثم نوميهم .. فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل .. فإذا أهوى بيده ليأكل قومى إلى السراج كى تصلحيه فأطفئيه .. ففعلت ... وقعدوا وأكل الضيف .. وباتا طاويين .. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال له ﷺ : « **لقد عجب الله البارحة من صنيعكما لضيفكما** » ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الحشر الآية « ٩ » .

[٦٧] اعترافات ... !!! [١]

أ – فرقتنا المعصية :

كنا معاً في أطيب حال ، وأهنأ بال ، زوجين سعيدين ، متعاونين على طاعة الله ، وعندنا القناعة والرضا ، طفلتنا مصباح الدار ، كركراتها تفتق الزهور ، إنها ريحانة تهتز .

فإذا جنّ علينا الليل ونامت الصغيرة قمت معه نسبح الله ، يؤمني ويرتل القرآن ترتيلا ، وتصلي معنا الدموع في سكينة وخشوع ، وكأني أسمعها وهي تفيض قائلة : أنا إيمان فلان وفلانة .

وذات يوم ، أردنا أن تكثر فيه الفلوس ، اقترحت على زوجي أن نشتري أسهماً ربوية ، لتكثر منها الأموال ، فندخرها للعيال ، فوضعنا فيها كل ما نملك حتى حليّ « الشبكة » .

ثم انخفضت أسهم السوق ، وأحسسنا بالهلكة فأصبح الدينار فلساً وشربنا من الهموم كأساً ، وكثرت علينا الديون والتبعات ، وعلمنا أن الله ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [٢] .

وفي ليلة حزينة خوت فيها الخزينة تشاجرت مع زوجي ، فطلبت منه الطلاق ، فصاح : أنت طالق – أنت طالق – ، فبكيت وبكت الصغيرة ، وعبر الدموع الجارية تذكر جيداً : يوم أن جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية .

---

(١) سرى للقطان .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٧٦ » .

ب - طلقني ليلة العرس ... ! :

كنت مولعة بحفلات الأعراس ، وأنا امرأة متحجبة ، زوجى متدين ، وكثيراً ما كان يحذرنى من الاختلاط فى حفلات العرس .

فإذا كان الجميع نساء نزعت حجابي ، وشاركت فى الرقص والغناء ، إنى جميلة وأحب أن أسمع النساء فى تلك الليلة يقلن : إنها أجمل من العروس ، فأشبع غروري .

وكان زوجي يوصيني كل مرة بعدم نزع حجابى خارج بيتى ، ويذكرنى بحديث الرسول ﷺ : « **أيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين ربها من ستر** » .

وذات يوم سافر زوجى إلى إحدى دول الخليج ، وهناك فى إحدى الديوانيات تجادل شابان حول بنات دول الخليج أيهن أجمل ؟ ، فقام أحدهم وأحضر شريط فيديو خاص ببلدى ، اشتراه سراً بثمن باهظ ، فيه إحدى حفلات العرس ، وفوجئ زوجى إذ رآنى أغني وأرقص وألفح بشعرى ، ونصف صدرى عارى .

فأخذ الرجال فى الديوانية يتشهون على مفاتني ، فلم يتمالك إلا أن خرج مغاضباً ، وعاد من سفره ونشبت بيني وبينه معركة انتهت بالطلاق ، وأنا الآن معذبة وتعيسة تطاردنى الخطيئة فى كل مكان [1] .

---

(١) سرى : للقطان .

جـ - أيام العز :

وصلت رسالة إلى خليفة المسلمين فى الأندلس أيام التقدم العظيم التى وصلت إليه حضارتنا - جاء فى هذه الرسالة - :

من جورج الثانى ملك انجلترا والسويد والنرويج ، إلى الخليفة ملك المسلمين فى الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء آثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أركانها الأربعة .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأمير « دوبابت » على رأس بعثة من بنات أشرف انجلترا للتشرف بلثم أهداب العرش « بتقبيل أياديكم تعظيماً » ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضوع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وعطف من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن ، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع

جورج . م . أ .

فوا أسفاه على تلك الأيام الخوالى التى كنا فيها سادة العالم يوم التزمنا بالإسلام عقيدة ومنهاج عمل وحياة .

[٦٨] - (أ) - عقوبة سب الصحابة

قال القيرواني : أخبرنى شيخ لنا من أهل الفضل قال : أخبرنى أبو الحسن المطلبي إمام مسجد النبى ﷺ ، قال : رأيت بالمدينة عجباً ، كان رجل يسب أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – فبينما نحن يوماً من الأيام بعد صلاة الصبح إذ أقبل الرجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك ؟ فقال : رأيت البارحة رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه بين يديه ومعه أبو بكر وعمر ، فقالا : يا رسول الله هذا الذى يؤذينا ويسبنا ، فقال لى رسول لله ﷺ : « من أمرك بهذا يا أبا قيس » ؟ فقلت له : علي رضي الله عنه ، وأشرت إليه ، فأقبل على عليّ رضي الله عنه بوجهه ويده وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها إلى عينى فقال : إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك ، وأدخل أصبعيه فى عينى ، فانتبهت من نومى وأنا على هذه الحال ، فكان يبكى يخبر الناس وأعلن التوبة .

(ب) ذبح في المنام

ذكر ابن القيم فى كتابه الروح .. نقلاً عن بعض السلف قال : كان لى جار يشتم أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولنى فانصرفت إلى منزلى وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء ، فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله فلان يسب أصحابك ، قال : « من أصحابى ؟ » قلت : أبا بكر وعمر ، فقال : « خذ هذه المدية فاذبحه بها » فأخذتها فأضجعته وذبحته ، ورأيت كأن يدى أصابها من دمه ، فألقيت المدية وأهويت بيدى إلى الأرض لأمسحها ، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره ، فقلت : ما هذا الصراخ ؟ قالوا : فلان مات فجأة ، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح .

[٦٩] كرم الصحبة

أمر المأمون بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد ، وبين يديه رجل مُكبّلٌ بالحديد ، فلما حضر قال : يا عباس ، خذ هذا إليك واستوثق به ولا يفوتنك ، وبكّر به واحذره كل الحذر .

قال العباس : فدعوت جماعة حملوه ، ولم يقدر يتحرك ، فقلت فى نفسى : مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب أن يكون معى إلا فى بيتي ، ثم سألته عن قصته وحاله ، من أين هو ؟ فقال : من دمشق فقلت : جزى الله دمشق وأهلها خيراً ! ، فمن أنت من أهلها ؟ قال : لا تزيّد أن تسألنى ! فقلت له : أتعرف فلاناً ؟ ، فقال : ومن أين عرفت ذلك الرجل ؟ ، فقلت كانت لى قصة معه ، فقال : ما أنا بمعرّفك خبره أو تعرفني قصتك ! ، فقلت : ويحك كنت مع بعض الولاة بها ، فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدلي فى زنبيل من قصر الحجاج ، وهرب هو وجميع أصحابه ، وهربت فيمن هرب ، فإنى لفي بعض الطريق إذ جماعة يَعْدون خلفي ، فما زلت أُحاضرهم [1] حتى مررت على هذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره ، فقلت : أغثنى أغاثك الله ! فقال : لابأس عليك ادخل الدار ، فدخلت فقالت لي امرأته : ادخل الحَجَلة [2] فدخلتها ، وأتت الرجال خلفى فما شعرت إلا به وهم معه يقولون : هو والله عندك ! فقال : دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبقَ إلا البيت الذى كنت فيه ،

---

(١) أحاضرهم : لعله من الحضر ، وهو العدو .
(٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .

فقالوا : هاهنا فصاحت المرأة وانتهرتهم فانصرفوا ، وخرج الرجال فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحَجَلة خائفاً ، فقالت المرأة : إجلس لابأس عليك، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال : لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدَّعَة إن شاء الله تعالى ، فقلت له : جزاك الله عني خيراً ! ثم مازال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ، ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر ، إلى أن سكنت الفتنة وهدأت ، فقلت له : أتأذن لي في الخروج لأتعرَّف خبر غلماني ومنزلي ، فعليَّ أن أقف لهم على أثر أو خبر ! فأخذ عليَّ المواثيق بالرجوع إليه ، فخرجت وطلبت غلماني ، فلم أر لهم أثراً فرجعت إليه وأعلمته بالخبر ، وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ، ولا يخاطبني بغير الكنية ، ثم قال لي : ما تعتزم ؟ فقلت : قد عزمت على الشخوص إلى بغداد ، فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام ، وقد تفضلت عليَّ هذه المدة ، فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسه فقال : يصنع الله عز وجل .

ثم قال لغلام له أسود : أنعِل [1] الفرس الفلاني ، وتقدم إلى مَن في منزله بإعداد السفر ، فقلت في نفسي : ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له ، أو ناحية من النواحي ، فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكدّ ، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السَّحَر وقال : يا أبا فلان ، قم فإن القافلة تخرج الساعة ، وأكره أن تنفرد عنها ، فقلت في نفسي : ما أعطاني شيئاً مما سألته ، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان إليّ خفاتين [2] مقطوعة جداً ورانات وآلة السفر ، ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ، ثم قدم البغل ، فحمل عليه

---

(١) أنعل الدابة : ألبس حافرها النعل .

(٢) الخفاتين : جمع خفتان ، وهو صدرية تلبس تحت الدرع « فارسي » .

الصناديق وفوقها مِفْرَشان ، ودفع إليّ نسخة بما فى الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم ، وقدم إليّ الفرس الذى كان أنعله بسرجه ولجامه ، وقال لى : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك ، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما فى أمري ، وركب معي فشيعني ، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته ، فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان .

فلما سمع الرجل الحديث قال : قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤونة عليك ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنا والله ذلك الرجل ، ثم قال لى : ما أثبتّك [1] فتعرّف إليّ ! وأقبل يذكرنى بأشياء يتعرف بها إليّ حتى أثبتّه وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبّلت رأسه ، وقلت له : ما الذى أصارك إلى هذا ؟ فقال : هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التى كانت فى أيامك ، فنُسبت إليّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد ، وحملت إليه، وأمرى عنده غليظ جداً ، وهو قاتلى لا محالة ، وقد خرجت من عند أهلى بلا وصيّة ، وقد تبعنى من عبيدى مَن ينصرف إلى منزلي بخبري ، وهو نازل عند فلان ، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى يحضر فأتقدم إليه بما أريد ، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي ! قال : فقال العباس : يصنع الله ! ثم قال : عليّ بحداد فأتوا به ، فحل قيوده وماكان عليه من أنواع الأنكال ، ودعا بالحجّام فأحضره وأخذ من شعره ثم قال : عليّ بمولاه ، فأنفذ فى طابه مَن يحضره .

---

(١) ما أثبتّك : أى ما عرفتك حق المعرفة .

قال الرجل : فلما أخذ شعرى أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ، ثم حضر مولاي وقعد يبكي ، فقال العباس : عليّ بفرسى الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى حتى عدّ عشراً ، ثم قال : عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ، ومن صناديق الطعام بكذا ، ثم أمر لى ببدره فيها عشرة آلاف درهم ، وكيس فيه خمسة آلاف دينار ، وقال لصاحب شرطته : خذه واعبر به إلى جسر الأنبار .

فقلت له : إن أمرى غليظ ، وإن أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه ، فأُردّ واقتل فقال : انجُ بنفسك ودعني أدبّر أمري ، فقلت : والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك فإن احتجت إلى حضورى حضرت ، فقال لصاحب الشرطة : إن كان الأمر على هذا فليكن فى موضع كذا وكذا ، فإن سلمت فى غداة غد فسبيل المحبة ، وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه ، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم ، وتخلصه حتى تخرجه من بغداد .

قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة ، فصيرني فى مكان يثق به ، وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن .

قال العباس : فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رُسُل المأمون فى السَّحَر ، وقالوا : أمير المؤمنين يقول : هاتِ الرجل ، فسكت وأتيتُ الدار ، وإذا أمير المؤمنين جالس ، عليه ثيابه أمام فراشه فقال : الرجلَ ! فسكت ، فقال : ويحك ! الرجل ! فقلت يا أمير المؤمنين ، اسمع منى فقال : أُعطى الله عهداً لئن ذكرت أنه هرب لأضربّن عنقك ، فقلت : لا والله ما هرب ، فاسمع منى حديثى وحديثه ، ثم أنت أعلم بما تفعله فى أمرنا ، قال : قل .

فقلت : يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كذا وكذا .. وقصصت عليه القصة ، وعرفته أنى كنت أريد مكافأته ، فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته ، وعبرت به جسر الأنبار ، وقلت : أنا من سيدى أمير المؤمنين بين أمرين : إما صَفَحَ عنى ، وإما قتلنى وأكون قد كافيته ووقيته بنفسى كما وقانى بنفسه ، فلما سمع المأمون الحديث قال : ويحك ! لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ ! إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة بهذا ! لِمَ لا عرفتني خبره ، فكنت أكافئه عنك ! فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه والله ها هنا قد حلف لا يبرح حتى يعرف سلامتي ، فإن احتيج إلى حضوره حضر ، قال : وهذه والله أعظم من الأولى ، فاذهب إليه وطيّب نفسه ، وسَكِّن روعه ، وتعبر به إليّ حتى أتولّى مكافأته عنك .

فصرت إليه وقلت : ليسكن روعك ، إن أمير المؤمنين ، قال : كيت وكيت فقال : الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء غيره ، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ، ثم جئنا .

فلما مثل بين يدى المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه ، وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء ، ثم قال : الطعام ، فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق، فاستعفاه ، ثم قال المأمون: عليّ بعشرة أفراس بسروجها ولُجُمها، وعشرة بغال بجميع آلاتها ، وبعشرة بدر ، وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلاتهم ، فدفع ذلك إليه ، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه ، وأوغر [١] ، وكتب إلى صاحب البريد أن ينفذ كتبه ، وصرفه إليّ . قال العباس : فكان إذ ورد له كتاب فى خريطة يقول لى المأمون : يا عباس ، هذا كتاب صديقك .

---

(١) أوغر خراجه : أى أسقط الخراج .

[٧٠] غيرة محمودة

اختصمت امرأة مع زوجها إلى قاضى الرى عام « ٢٨٦ هـ » فادعت على زوجها بصداق قيمته « ٥٠٠ دينار » قالت : ما سلمه لى .

فأنكر الرجل ذلك فجاءت ببينة تشهد لها بالصداق ، فقال الشهود نريد أن تكشف لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ؟ « والنظر هنا مباح للضرورة » ولكن الزوج عندما رأى إصرارهم على رؤية وجه زوجته رفض ذلك .

وقال : هى صادقة فيما تدعيه !! فأقر بما ادعته صيانة لوجه زوجته من أن ينظر إليه حتى شهود المحكمة !! فلما عرفت المرأة أنه أقر بما ادعته عليه صيانة لوجهها قالت : هو فى حِل من صداقى عليه فى الدنيا والآخرة .



[٧١] إنـــذار (١)

عشت مرحلتي الدراسية الأولى مع والدي .. فى بيئة صالحة اسمع دعاء أمى وأنا عائد من سهري آخر الليل .. أسمع صوت أبى فى صلاته الطويلة .. طالما كنت أقف متعجباً من طولها .. خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد .. أتعجب فى نفسي وأقول .. ما أصبره .. كل يوم هكذا .. شيء عجيب .

لم أكن أعرف أن هذه هى راحة المؤمن وأن هذه هى صلاة الأخيار .. يهبُون من فرشهم لمناجاة الله ..

بعد المرحلة التى قطعتها فى دراستى العسكرية .. ها قد كبرت وكبر معى بعدي عن الله .. على الرغم من النصائح التى أسمعها وتَطرقُ سمعى بين الحين والآخر .

عُينت بعد تخرجى فى مدينة غير مدينتى وتبعد عنها مسافة بعيدة .. ولكن معرفتى الأولى بزملائي فى العمل خففت ألم الغربة على نفسى ..

انقطع عن مسامعى صوت القرآن .. انقطع صوت أمى التى توقظنى للصلاة وتحثنى عليها .. أصبحت أعيش وحيداً .. بعيداً عن الجو الأسرى الذى عشته من قبل .

ثم توجهت للعمل فى مراقبة الطرق السريعة .. وأطراف المدينة للمحافظة على الأمن ومراقبة الطرق ومساعدة المحتاجين .. كان عملي متجدداً وعشت مرتاحاً .. أؤدي عملي بجد وإخلاص .. ولكنى عشت مرحلة متلاطمة الأمواج

---

(١) الزمن القادم ، عبد الملك القاسم .

.. تتقاذفنى الحيرة فى كل اتجاه .. لكثرة فراغى .. وقلة معارفى .. وبدأت أشعر بالملل .. لم أجد من يعيننى على دينى .. بل العكس هو الصحيح .. من المشاهد المتكررة فى حياتى العملية الحوادث والمصابين ولكن كان يوماً مميزاً .

فى أثناء عملنا توقفت أنا وزميلى على جانب الطريق .. نتجاذب أطراف الحديث .

فجأة سمعنا صوت ارتطام قوى .. أدرنا أبصارنا .. فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرى كانت قادمة من الاتجاه المقابل .. هببنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين .. حادث لا يكاد يوصف .. شخصان فى السيارة فى حالة خطيرة .. أخرجناهما من السيارة .. ووضعناهما ممدين .

أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية .. الذى وجدناه فارق الحياة .. عدنا للشخصين فإذا هما فى حال الاحتضار .. هب زميلى يلقنهما الشهادة .. قولوا لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء .. أرهبنى الموقف .. وكان زميلى على عكسى يعرف أحوال الموتى .. أخذ يعيد عليهما الشهادة ..

وقفت منصتاً .. لم أحرك ساكناً شاخص العينين أنظر .. لم أر فى حياتى موقفاً كهذا .. بل قل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة .. أخذ زميلى يردد عليهما كلمة الشهادة .. وهما مستمران فى الغناء ..

لا فائدة .. بدأ صوت الغناء يخفت .. شيئاً فشيئاً .. سكت الأول وتبعه الثانى .. لا حراك .. فارق الدنيا ..

حملناهما إلى السيارة .. وزميلى مطرق لا ينبس ببنت شفه .. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق .. قطع هذا الصمت صوت زميلى فذكر لى حال الموتى

وسوء الخاتمة .. وإن الإنسان يختم له إما بخير أو شر .. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان فى الدنيا غالباً .. وذكر لى القصص الكثيرة التى رويت فى الكتب الإسلامية .. وكيف يختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه ..

قطعنا الطريق إلى المستشفى فى الحديث عن الموت والأموات وتكتمل الصورة عندما أتذكر أننا نحمل أمواتاً بجوارنا .. خفت من الموت واتعظت من الحادثة .. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة .. ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج ..

بدأت أعود إلى ما كنت عليه .. وكأنى لم أشاهد الرجلين وما كان منهما .. ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغانى .. ولا أتلهف عليها كسابق عهدى .. ولعل ذلك مرتبط بسماعى لغناء الرجلين حال احتضارهما ..

من عجائب الأيام .. بعد مدة تزيد عن ستة أشهر .. حصل حادث عجيب .. شخص يسير بسيارته سيراً عادياً .. وتعطلت سيارته .. فى أحد الإنفاق المؤدية إلى المدينة .. ترجل من سيارته .. لإصلاح العطل فى أحد العجلات .. عندما وقف خلف سيارته .. لكى ينزل العجلة السليمة .. جاءت سيارة مسرعة .. وارتطمت به من الخلف .. سقط مصاباً إصابات بالغة ..

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول .. وحملناه معنا فى السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله .

شاب فى مقتبل العمر .. متدين يبدو ذلك من مظهره .. عندما حملناه سمعناه يهمهم .. ولعجلتنا فى سرعة حمله لم نميز ما يقول .. ولكن عندما وضعناه فى السيارة وسرنا .. سمعنا صوتاً مميزاً ..

إنه يقرأ القرآن .. وبصوت ندي .. سبحان الله لا تقول هذا مصاب .. الدم قد غطى ثيابه .. وتكسرت عظامه .. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت .. استمر يقرأ بصوت جميل .. يرتل القرآن ..

لم أسمع فى حياتى مثل تلك القراءة .. كنت أحدث نفسي وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلي الأول .. خاصة وأن لى سابق خبرة كما أدعى ..

أنصتُ أنا وزميلى لسماع ذلك الصوت الرخيم ..

أحسست أن رعشة سرت فى جسدى .. وبين أضلعي ..

فجأة .. سكت ذلك الصوت .. التفت إلى الخلف .. فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد ..

ثم انحنى رأسه ..

قفزت إلى الخلف ..

لمست يده ..

قلبه ..

أنفاسه ..

لا شيء ..

فارق الحياة ..

نظرت إليه طويلاً .. سقطت دمعة من عينى .. أخفيتها عن زميلي .. ألتفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات .. انطلق زميلي فى البكاء .. أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثراً ..

وصلنا المستشفى ..

أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل .. الكثير تأثروا من حادثة موته

وذرفت دموعهم .. أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبل جبينه ..

الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه .

اتصل أحد الموظفين فى المستشفى بمنزل المتوفى .. كان المتحدث أخوه .. قال عنه .. أنه يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة فى القرية .. كان يتفقد الأرامل والأيتام .. والمساكين .. كانت تلك القرية تعرفه ، فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية .. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين .. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها .. وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق .. إننى أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته .. وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية .. وأننى أحتسب إلى الله كل خطوة أخطوها ..

من الغد .. غص المسجد بالمصلين .. صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة .. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة .. أدخلناه فى تلك الحفرة الضيقة ..

وجهوا وجهة للقبلة ..

بسم الله وعلى ملة رسول الله ..

بدأنا نهيل عليه التراب ..

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل ..

استقبل أول أيام الآخرة .. واستقبلت أول أيام الدنيا .. تبت مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتني على طاعته وأن يختم لي بخير .. وأن يجعل قبري وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة .. .

[٧٢] قصة الأسد مع سفينة مولى النبي ﷺ

عن محمد بن المنكدر أن سفينة [١] رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أَجَمة فيها الأسد . فأقبل إليّ يريدني فقلت : يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليّ ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني ، فكان ذلك آخر عهدي به [١] .

---

(١) الحاكم ٣/٦٠٦ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

[٧٣] العهد (١)

عن بعض الصالحين قال : بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على كتفها طفل صغير وهى تنادى : يا كريم يا كريم عهدك القديم ، قال : فقلت لها : ما هذا العهد الذى بينك وبينه ؟ قالت : ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار ، فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ، ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجري على لوح ، ورجل أسود على لوح آخر ، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إليّ وجعل يدفع الماء بيده حتى لصق بى واستوى معنا على اللوح ، وجعل يراودنى عن نفسى ، فقلت : يا عبد الله أما تخاف الله تعالى ، نحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته ، فكيف بمعصيته ؟ ، فقال : دعى عنى هذا ، فوالله لا بدّ لي من هذا الأمر ، قالت : وكان هذا الطفل نائماً فى حجري ، فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى ، فقلتُ له : يا عبد الله دعنى أنوم هذا ويكون من الأمر ما قدّره الله علينا ، فمَدّ الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر ، فرمقت السماء بطرفى وقلت : يا من يحول بين المرء وقلبه ، حل بيني وبين هذا الأسود بحولك وقوّتك إنك على كل شىء قدير ، فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ، ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر ، وعصمنى الله منه بحوله وقوته ، وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى ، قالت : وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فقلت فى نفسى : آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره ، فلا فرج لي إلا منه ، فمكثت أربعة

---

(١) قصص وعبر ، أسماء محمود الحناوى .

أيام ، فلما كان يوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد فعلوتُ على تل وأشرت إليهم بثوب كان عليّ ، فخرج إليّ منهم ثلاثة نفر على زورق ، فركبت معهم ، فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم ، فلم أتمالك أن ارتميت عليه وقبلت بين عينيه ، وقلت : هذا والله ولدي وقطعة من كبدي ، فقال لى أهل السفينة : مجنونة أم اختلّ عقلك ؟ فقلت : والله ما أنا بمجنونة ولا اختل عقلى ، ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وكذا ، وذكرت لهم القصة إلى آخرها ، فلما سمعوا منى ذلك أطرقوا رؤوسهم وقالوا : يا جارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه ، ونحن أيضاً نخبرك بأمر تتعجبين منه ، بينما نحن نجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها ، وإذا منادٍ ينادى إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم ، فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل ، فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا به ، وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم ، قالت: فتابوا عن آخرهم ، فسبحان الله اللطيف الخبير ، جميل العوائد سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد ، وفى هذا المعنى يقول :

يا مدركاً بسريع اللطف والفرج ... عند الشدائد للملهوف ذي الحرج
كلمحة الطرف بل أدنى تغيث ولو ... في قعر بحر وجوف الحوت في اللجج
عوائد منك يا رحمن جارية ... على جميل بذي معروفك البهج
عودتناها وكم عودت من نعم ... وكم بغوثك بعد البؤس مبتهج
فالخير منك نراه غير منقطع ... والشر لسنا نراه غير منفرج
لك المحامد يا محمود اجمعها ... هديتنا دين حق غير ذي عوج

[٧٤] قصة الوالي الصالح سعيد بن عامر

زار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم مدينة حمص ، وسأل أهلها : ما تقولون في سعيد بن عامر واليكم ؟! ، فقال بعض الحاضرين : نشكو منه أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال عمر : أعظم بها ! ، قالوا : ولا يجيب أحداً بليل ، قال عمر وعظيمة !! ، قالوا : وله في الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا ولا نراه ، قال عظيمة ، قالوا : وأخرى لا حيلة له فيها ولكنها تضايقنا وهي أنه تأخذه إغماءة بين الحين والحين .

فقال عمر : اللهم إني أعرفه من خير عبادك .. اللهم لا تخيب فيه فراستي ثم سأله ، فقال سعيد بن عامر : أما قولهم : إني لا أخرج إليهم حتى يتعالى النهار فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب ، إنه ليس لأهلي خادم فأنا أعجن عجيني ثم أدعه حتى يخمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ للضحى ثم أخرج إليهم ، أما قولهم : لا أجيب أحداً بليل ، فإني جعلت النهار لهم والليل لربي ، وأما قولهم : إن لي يومين في الشهر لا أخرج فيهما ، فليس لي خادم يغسل لي ثوبي وليس لي ثياب أبدلها ، فأنا أغسل ثوبي ثم أنتظر حتى يجف بعد حين ، وفي آخر النهار أخرج إليهم ، وأما قولهم : إن الغشية تأخذني بين الحين والحين ، فقد شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعة وهم يقولون له : أتحب أن محمداً مكانك وأنت سليم معافى ؟ فيجيبهم قائلاً : والله ما أحب أني في أهلي وولدي ومعي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة!! فكلما ذكرت ذلك المشهد الذي رأيته وأنا يومئذ من المشركين ثم تذكرت تركي نصرة خبيب يومها أرتجف خوفاً من عذاب الله ، ويغشاني الذي يغشاني !! فتهلل وجه عمر وقال في سعادة بعد أن اطمأن إلى طهارة سيرة عامله سعيد : الحمد لله الذي لم يخب فراستي .

[٧٥] المخدرات دمرت أسرتي
قصة واقعية [١]

جاءني وهو حزين وعيناه مملوءتان بالدموع ، فقلت له : قص عليّ ماذا أصابك يا أخي العزيز عسى أن نجد حلاً .

فقال ياشيخ أحمد : قصتي إذا سردتها لن يصدقني أحد بل سيقولون أنها من نسج الخيال أو نسج الأفلام السينمائية ، قلت له : ليس كل الناس لهم عقل واحد بل العقول تتفاوت وإني لمن المصدقين لقصتك .

قال : كنت أعيش مع أبي وأمي وأختين صغيرتين لم تتجاوز أعمارهما سبع سنوات ، وأخي الشقيق لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وقد كنا توأمين وهكذا الصغيرتين توأمتين ، وكنا في سعادة وهناء ترفرف علينا المحبة والرحمة والإبتسامة ، وأبي كان موظفاً في إحدى الدوائر الرسمية براتب جيد ، وإذا قبض راتبه ذهبنا إلى السوق لنشتري ما طاب لنا ولذ ، أما أمي فهي امرأة ذات أدب وأخلاق لا يوجد لها وصف ، وكنت وأخي من أوائل الطلبة في المدرسة ، وكانت سعادتي كبيرة حين نجتمع على مائدة الطعام أو نذهب إلى المنتزهات ، وكانت السعادة أمامنا وخلفنا ، نعيش بلا مشاكل أو ما ينغص علينا حياتنا ، ولكن هذه السعادة مرت عليّ وكأنها كابوس مخيف حل بهذه الأسرة الصغيرة وقلبتها رأساً على عقب ، إلى شيء لا يصدقه العقل والوجدان ، ماذا حدث ؟.

أبي انقلب إلى رجل مخيف وحش كاسر لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ، هذا الأب الذي كان دائماً مبتسماً إنقلب فجأة إلى رجل قاس لا يعرف إلا

---

(١) المخدرات دمرت أسرتي ، أحمد الحصين .

الضرب والصراخ ، وكانت أمي أولى الضحايا ، نالت الكثير من الضرب والسب واللعان ، وكانت صابرة محتسبة ترجو من الله أن يرجع إلى صوابه ، ولكنه إزداد في شره وأسلوبه الوحشي .

ما الذى غير والدي ، وما هو السر فى تغييره المفاجئ يا ترى ؟!! .

علمنا أن هذا التغير ناتج عن رفقاء السوء الذين قادوا والدي إلى طريق الهاوية والسقوط بعد أن أعطوا لـه حبة تسمى فى عرفهم « حبة الحب والخيال » وهى حبة الإجرام والدمار والخراب ... إنها حبة المخدرات ، وتطور الأمر حتى بدأ والدى يأخذ حقن الهيروين والمورفين ، بهذا الإجرام ضيع والدي حياته وفصل من الوظيفة وتراكمت الديون علينا ، فباعت أمي المسكينة كل ما تملك من مجوهراتها ، ولكن أبى إزداد فى هذا الطريق ونبت جسده من هذا السم الهالك .

وفى يوم دخل علينا والدي وهو فى حالة سكر شديد وهياج منقطع النظير وهو يصرخ أعطوني مالاً ، أعطونى مالاً ، فقالت أمى لا يوجد عندنا مال ، والبيت كما ترى خاو على عروشه وأنت تريد السم الشيطانى لتهلك بدنك ، هذا حرام ، هذا حرام ، يا رجل إتق الله فى دينك ، إتق الله فى أولادك ، إتق الله فينا ، يقول والدي بأعلى صوته أنا لا أعرف بيتي ولا أولادى أريد مالاً .. أريد مالاً .. واشتد النقاش والصراخ ، فاستل والدى مدية وطعن بها أمي المسكينة الطيبة ، ياله من مشهد فظيع ، مر علينا وكأننا فى حلم ، سقطت أمى مدرجة فى دمائها تتخبط من أثر الطعنة ، أى جريمة إقترفتها أمي ! ، أى ذنب جنت ، وأحيل والدي إلى السجن المؤبد ، وأحيلت الشقيقتان الصغيرتان إلى دار الأيتام فى مدينة بعيدة عن مدينتنا ، وكان نصيبى أنا وأخى دار أيتام كذلك

في مدينة أخرى .

ومرت السنون والأعوام وكبرنا وكبرت القصة في قلوبنا وخرجت من دار الأيتام مع أخي ونحن في عنفوان الشباب ولم نسمع عن الشقيقتين الصغيرتين أين هما وأين نجدهما .

وفي يوم من الأيام ساقتني قدماي إلى طريق الشيطان ، فتعرفت على امرأة سيئة السمعة وتطورت علاقتنا حتى عرفتني على فتاة جميلة وصغيرة ولكنها من بنات الهوى كانت حزينة لا تعرف الإبتسامة وكأنها مكرهة على هذا الفعل ، وكنت أريد معرفة خبايا قلبها ، قلت لها :

إنك حزينة وربما أن لك قصة أريد أن أعرفها ، أخذت الفتاة نفساً عميقاً والدموع تتساقط من عينيها قالت : كنت صغيرة أنا وأختي وأخوين شقيقين وأبواي وكنا في سعادة وحياة آمنة مستقرة ، ولكن أبي مارس طريق الشيطان وانغمس في المخدرات التي قادته إلى تدمير بيته بعد أن قتل أمي بالسكين ، فصرخ الشاب .. ماذا تقولين .. ماذا تقولين .. أنت هناء ؟!! ، قالت : نعم أنا هناء .. ولكن كيف عرفت إسمي ؟ .. قال : أنت أختي أنا أخوك سمير .. مشهد مؤثر ولكن أن يلتقي الأخ بأخته في دار الدعارة ويمارس معها الفاحشة فذلك من العجب العجاب .

ولكن من المسئول الأول والأخير عن ضياع هذه الأسرة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ، إن المجرم ليس والدهم بل المجرم الذي يقتني المخدرات ويتاجر فيها ، ويروجها بين هؤلاء وهؤلاء .

المجرم الذي يتستر على هؤلاء المجرمين ..

المجرم الذي يضع يده مع هؤلاء ويصافحهم ..

المجرم الذى لا يتعاون مع هيئة مكافحة المخدرات ويرشد عنهم ..

المجرم الذى يسمح بدخول المخدرات فى بلادنا بإسم صديق أو عزيز عليه .

إن المخدرات سلاح تستعمله الدول الإستعمارية بأشكالها لتدمير الأمة الإسلامية وجعلها أمة ضعيفة متهاوية لا تقدر أن تدافع عن نفسها أو أن تجعل بلادها متطورة حضارياً وتكنولوچياً .

وهذه المخدرات التى دمرت هذه الأسرة المسلمة بل ودمرت الكثير من الأسر فى العالم بسبب هذا السم الخطير والذى يقصد به القضاء على أمة الإسلام بأكملها وجعلها ضعيفة مسلوبة الإرادة ذليلة للدول الكبرى الكافرة .

[٧٦] قصة الرؤيا المنقذة [(١)]

فى عهد ضعف الدولة العباسية وتعدد الدول الإسلامية وتنوع أجناسها وتنافسها وتزاحمها ، وغزو النصارى لبعض الدول الإسلامية وفى عهد الفوضى ، حدث كما رواه المؤرخون سنة ٥٥٧ هـ أن النصارى اتفقوا على أن ينقلوا جسد النبى ﷺ من قبره ، فأرسلوا رجلين منهم دخلا المدينة فى زى المغاربة وادعيا أنهما من أهل الأندلس ، ونزلا فى الناحية التى تلى الحجرة المطهرة من القبلة خارج المسجد عند دار آل عمر ، وهى المعروفة « بديار العشرة » وقد أزيلت فى توسعة ما حول المسجد أثناء التوسعة الأخيرة للمسجد ، وقد أظهر هذان النصرانيان التقوى والصلاح بالصلة والبر والصلاة وزيارة البقيع وقبر الرسول ﷺ ، وهكذا كان ظاهرهما ، أما الباطن فقد كانا يحفران سرداباً ينتهى للحجرة المطهرة ، وصارا ينقلان التراب قليلاً قليلاً فتارة يرميانه فى بئر لديهما وتارة ينقلانه فى محفظة من جلد يوهمان الناس بزيارة البقيع ويرميان التراب فيه ، ومكثا على هذه الحالة مدة حتى توهما أنهما قربا من غايتهما ووصلا إلى قرب القبر الشريف ، وأخذ المجرمان يفكران فى كيفية نقل الجسد المطهر ، وظنا أن ذلك قريب المنال ، ولكن الله كان لهما بالمرصاد ، فقد رأى السلطان نور الدين محمد بن زنكي رؤية ، فقد رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول يا محمود أنقذنى من هذين ، فاستيقظ منزعجاً وصلى ونام ، فرأى المنام بعينه ثلاث مرات ، فلما استيقظ فى الثالثة

---

(١) قصص عظيمة ، للجار الله .

دعا وزيره جمال الدين الموصلي ، وكان وزيراً عاقلاً ، ديناً ورعاً ، وقص عليه الرؤيا ، فقال له : هذا أمر حدث بالمدينة المنورة ، اخرج الآن للمدينة النبوية ، واكتم ما رأيت ، فتجهز بقية ليلته وخرج على رواحل فى عشرين رجلاً ومعه الوزير ومال كثير « وقال بعضهم معه ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك » ، وقطع المسافة من الشام إلى المدينة فى ستة عشر يوماً ، وصلى فى الروضه وزار ثم جلس لا يدرى ماذا يصنع ، فقال الوزير أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال : نعم ، فقال الوزير لأهل المدينة وقد اجتمعوا فى المسجد : إن السلطان معه أموال كثيرة للصدقة فاكتبوا الذين عندكم من المحتاجين وأحضروهم وكل من حضر يأخذ نصيبه ، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون فلم يجد فيهم أحداً صفته صفة الشخصين اللذين رآهما فى المنام .

فقال السلطان : هل بقي أحد لم يأخذ ، فقالوا : لم يبق أحد إلا رجلان مغربيان لا يتناولان شيئاً وهما صالحان ، فقال : عليّ بهما ، فأحضرا ، فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما ﷺ فى المنام ، فقال لهما : من أين أنتما ؟ فقالا : إننا من المغرب جئنا حاجين واخترنا المجاورة هذا العام ، فقل لهما أصدقاني وقررهما فأصرا على كلامهما ، فتركهما وذهب إلى محل سكناهما مع بعض أهل المدينة فوجدوا مالاً كثيراً ومصحفين وكتباً فوق الرف ، ولم يجدوا شيئاً آخر ، وجعل السلطان يطوف بالمحل ثم ألهم الله السلطان نور الدين فرفع خسفه فى المحل فوجد تحتها لوحاً من الخشب فرفعه فوجد السرداب محفوراً ومتجهاً للحجرة الشريفة ، ومخترقاً جدار المسجد ، فذهل أهل المدنية وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى ، فضربهما السلطان ضرباً مبرحاً شديداً فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما ملوك النصارى فى زي حجاج مغاربة وأملوهما

بأموال عظيمة.، وأمروهما بالتحيل فى إخراج النبى الكريم ﷺ من قبره ونقله إلى بلادهم ، فلما ظهر حالهما واعترفا بجريمتهما أمر السلطان بضرب عنقهما عند الشباك شرقي الحجرة الشريفة ، ثم أحرقا آخر النهار بالنار ، ثم أمر السلطان نور الدين بحفر خندق حول الحجرة إلى الماء وأمر بإحضار رصاص كثير وأذيب وصب فى الخندق حتى ملأه ثم عاد إلى الشام (١) .

والله أعلم .

---

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة . عليّ حافظ .

[٧٧] لا يفتى ومالك في المدينة (١)

كلمة نسمعها كثيراً ونرددها فى بعض المواقف والمناسبات ، وهى تدل على عظيم قدر الإمام مالك وعلو مكانته وغزارة علمه ، وقد أضحت مثلاً يضرب لمن أُريد الإشادة بعلمه وفضله والرجوع إليه وقبول قوله وحكمه ، فما أصل هذه الكلمة وما سبب إطلاقها ؟!! .

يروى أن امرأة فى المدينة المنورة ماتت فجىء لها بالمغسلة ، فلما وضع الجثمان وتقدمت المغسلة لتباشر الغسل ، صبت الماء على جسد هذه الميتة وجعلت تدلكه فلما وصلت بالدلك إلى فرج الميتة قذفتها بالسوء وقالت : كثيراً ما زنى هذا الفرج ، فالتصقت يد المغسلة بجسم الميتة ، وجعلت لا تستطيع فصلها عن جسمها ، فأغلقت الباب حتى لا يراها أحد على هذه الحال .. وأهل الميتة ينتظرون خروج المغسلة من البيت ، لكنها أبطأت .. فدخلت إحدى النساء عليها فرأتها على هذه الهيئة ، فحاولوا فصل اليد الملتصقة بالجسم لكنهم لم يستطيعوا ، فسألوا العلماء فى شأنها فتحيروا ... واختلفوا .. أيقطع جزء من جسم الميتة لتخليص اليد ؟ أم تقطع اليد وتدفن مع الجثة ؟!! وأخيراً قالوا : علام نختلف وبيننا عالم المدينة الإمام مالك ؟! ، فسألوه فحضر بنفسه وسأل المغسلة من وراء الباب .. ماذا قلت فى حق الميتة ؟ فصارحته بالحقيقة وقالت : لقد رميتها بالزنا ! ، فقال الإمام مالك : هذه المرأة قاذفة وحد القذف ثمانون جلدة ، فلتجلد المرأة ثمانين جلدة فباشروا الضرب ، وبعد تمام الجلدة الثمانين رُفعت يد المغسلة من جسد الميتة وانفصلت عنها ... ومن ذلك الحين قالوا : لا يفتى ومالك فى المدينة .

---

(١) مواقف مشرقة فى حياة السلف ، محمد موسى الأسود .

[٧٨] الفاجعة [1]

غداً أسافر إلى المدينة ..

انتبه لنفسك يا بني ..

لا عليك يا أمي .. سأدرس الطب لأقف بجانبك وأعالجك .. الحمد لله .. كنت أنتظر هذا منذ مدة .. وها أنت ستبدأ الدراسة عما قريب .. لا تنسنا من الرسائل يا ولدى ..

سأكتب لك دائماً يا أمي ..

ويصبح الصباح وتشرق الشمس فى سماء القرية التى تجمّع أهلها لوداع فلذات أكبادها .. عدد من الشباب سيغادرون القرية للدراسة فى الجامعة .. ويسافر خالد وليس يشغل باله إلا الدراسة ..

سأبذلك كل جهدي .. لن أتراجع إلى الوراء .. سأنال الشهادة وأعود طبيباً عظمياً أعالج الناس فى قريتي ..

ويصل المدينة ويبحث عن سكن .. يجد بيتاً متواضعاً يسكن فيه ، وتبدأ الدراسة .. ينكب خالد على دروسه وكأنما يلتهم العلم إلتهاماً .. يتفوق فى الاختبارات على أقرانه .. ينتبه زملاؤه لتقدمه .. ينال إعجاب الجميع ..

عاش فى جو الجامعة المتميز بالاختلاط .. كانت المغريات تحف به .. ولتفوقه كانت الفتيات تلاحقنه ويهرب منهن .. لم يفلت من شر الأشرار .. خطط له جماعة منهم ليوقعوه فى حبالهم .. حاولوا مراراً وبكل الوسائل دون

---

(١) حوادث واقعية للحميدى .

فائدة .. ثم نصبوا له بعد ذلك شرك المخدرات .. ووقع فيه بعد تناول حبة واحدة فى حيلة خبيثة فعلها الأشقياء ..

شعر باضطراب غريب .. أصابه الهيجان وتملكته العصبية ، بحث عن حل لما هو فيه .. قاده ذلك إليهم .. وغدا ذليلاً بين أيديهم ..

بدأ يتخلف عن الدراسة فى الجامعة .. هزل جسمه .. بدأ يتقبل فعل المنكرات .. لم يعد يتردد فى ارتكاب المعاصي والآثام .. صار علماً بارزاً لعصابات المخدرات .. وقع فى شراك الزنا .. كان واحداً من أولئك الذين تفرغوا لاصطياد الفتيات وإيقاعن فى شباك الفساد والفجور .. واتفق معهم على اصطياد فتاة كل أسبوع وتناوب مع رفقاء السوء فى ارتكاب الفاحشة .. وظل على هذه الحال حتى غربت شمس ذلك اليوم .. جاء إليه أحد أصدقائه ..

خالد .. خالد .. أتينا بفتاة جميلة ..

حقاً .. وأين هى ؟

إنها تنتظرك .. فقد جاء دورك ..

هل انتهيت أنت .. ؟

نعم .. هيا ..

وينهض بخفة وقد تملكته البهجة والسرور .. ويتجه لباب الغرفة مقبلاً على الفاحشة لا يردعه رادع ، ولا يرده وازع .. يدخل ويغلق الباب .. يلتفت لينظر إلى الفتاة الجميلة .. آآه .. من .. ؟!!! .

ويجثو على ركبتيه .. لا .. لا .. ما الذى جاء بكِ إلى هنا .. ؟ .

شعر باختناق لهول الفاجعة .. أحس وكأن صاعقة أصابته وأحرقت قلبه .. إنها أخته .. تلك الفتاة التى جاءت للمدينة للبحث عنه ومعرفة أخباره .. ضلت الطريق ووقعت فى شباك الأشقياء الفجرة لتدفع ديناً باهظاً على أخيها .. !! .

[٧٩] يُطلق خمسة في ساعة !!

كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوماً فوجدهن متلاحيات متنازعات ، فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما أظن هذا الأمر إلا من قبلك « يقول ذلك لامرأة منهن » : اذهبى فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً ، فقال لها : وأنت طالق .

فقالت الثالثة : قبحك الله فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين . فقال : وأنت أيتها المعددة طالق أيضاً .

فقالت له الرابعة : وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرك على أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ؟ فقال لها : وأنت أيضاً طالق .

وكان ذلك بسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت : والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا بما بالوه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نسائك الأربع فى ساعة واحدة ، فقال لها : وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك ... فأجابه من داخل بيته : قد أجزت .. قد أجزت .. .



[٨٠] كلمة حق عند سلطان جائر [١]

دخل الحسن البصري التابعي الجليل على الحجاج بن يوسف [٢] ، بواسط ، فلما رأى بناءه قال : الحمد لله ، أن هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً ، وأنا لنرى فيهم عبراً ، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده ، وإلى فرش فيتخذه ، وقد حفي به ذباب الطمع ، وفراش نار ، ثم يقول : ألا فانظروا ما صنعت ، فقد رأينا – يا عدو الله ما صنعت ، فماذا يا أفسق الفسقة ، ويا أفجر الفجرة ، أما أهل السماء فلعنوك ، وأما أهل الأرض فمقتوك .

ثم خرج وهو يقول : إنما أخذ الله الميثاق على العلماء ، ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

فاغتاظ الحجاج غيظاً شديداً ثم قال : يا أهل الشام ، هذا عُبيد أهل البصرة يشتمني في وجهي فلا ينكر عليه أحد ، عليَّ به والله لأقتلنه ، فمضى أهل الشام ، فأحضروه ، وقد أعلم بما قال ، فكان في طريقه يحرك شفتيه بما لا يُسمع .

فلما دخل على الحجاج ، رأى السيف والنطع [٣] بين يديه وهو متغيّظ ،

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمي .

(٢) والي العراقيين لعبد الملك بن مروان ، وهو الذي يضرب به المثل في الظلم والجور ، وبلغ من حقده على رسول الله ﷺ أنه لما دخل المدينة سماها : نتنة وقد سماها النبي ﷺ طيبة ، وسمى الأنصار ، الأشرار ، ولد الحجاج في الطائف سنة ٤٠ هـ ، وكان أخفش العينين ، دقيق الصوت ، وكان سفّاكاً للدماء ، قتل أكثر من مائة ألف رجل ، ولما مات خلف في حبسه ثمانين ألف حبسوا بغير جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، قال الخليفة عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجاج ، فإنه ما كان يصلح للدنيا ولا للآخرة .

(٣) النطع : بساط من الجلد يقتل عليه حتى لا يتسخ المكان بالدم – الناشر ـ .

فلما وقعت عليه عين الحجاج كلمه بكلام غليظ ورفق به الحسن ووعظه ، فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ، ثم لم يزل الحسن يمر فى كلامه ، إلى أن دعا الحجاج بالطعام ، فأكلا ، وبالوضوء فتوضأ ، وبالغالية ، فغلّفه بيده ، ثم صرفه مكرماً .

قيل للحسن البصري : بم كنت تحرك شفتيك ؟

قال : قلت يا غياثي عند دعوتى ، ويا عدّتى فى ملمتى ، وياربى عند كربتى ، وياوليّ فى نعمتى ، ويا إلهى وإله إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وموسى وعيسى ، ورب النبيين كلهم أجمعين ، يا كافى موسى فرعون ، وياكافى محمد الأحزاب ، صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار ، وارزقنى مودة عبدك الحجاج ، وخيره ، ومعروفه ، واصرف عنى أذاه وشره ومكروهه . فكفاه الله تعالى شره بمنه وكرمه .



[٨١] غلام يتورع

كان رجل من قبيلة شيبان ، فى العصر العباسى الأول ، يعمل عند السلطان فى مهمة دقيقة ، وهى أنه يتجول فى السوق كل صباح حتى الظهر ، ويتحسس ما يقوله الناس ويفعلونه ويكتب ذلك فى تقرير ، ثم يختمه ثم يرسله إلى رئيس له ، فيجمع الرئيس هذه التقريرات ثم يرفعها إلى السلطان ، وذلك لمصلحة الأمن ودَرْء المخاطر عن سواد الشعب .

وفى مرة شُغل الرجل الموظف هذا بشغل ما فى يومه ، فبعد أن تحسس الأخبار والأقوال فى سوقه ، كتب ما سمع وختمه نادى ابن أخ له ، اسمه أحمد الصغير ، وقال له :

● هل تعرف يا أحمد محل رئيسى الذى يتسلم منى التقرير كل يوم ؟ .

● قال الصغير : نعم .

فقال العم: إذن اذهب بتقرير اليوم هذا مختوماً فأعطه لرئيسى ، وقل له : شُغل عمي فجأة ، وهذا تقريره .

وأخذ الصغير التقرير ، ومشى فى اتجاه قلب المدينة إلى حيث دائرة ذلك الرئيس الأمنى ..

ولو أنه أدّى الأوراق كما أمره عمه ، لمرت الحادثة ، وغفل عنها التاريخ ، ولم نذكرها نحن اليوم بعد قريب من أربعة عشر قرناً .. ولكن الغلام يومئذ ، تصرف تصرفاً رائعاً ، أثبته التاريخ ، وضجت به المحافل ، وسطّرته الكتب .. وذلك أن الطفل ذاك مر على جسر على نهر فى الطريق ، وإذ نفسه تحدثه :

يا أحمد .. إنك صغير .. ولكنك تعرف عمل عمك ، إنه يكتب كل ما يسمعه من الناس فى السوق وما يعملونه ، وهذا محرّم فى دين الله ، فهو نوع من التجسس والله تعالى يقول : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ (١) ، فأنت إذن يا أحمد .. تحمل شيئاً ممنوعاً ، وتساعد على أمر نهى عنه القرآن .

وفجأة تنبه أحمد الصغير .. لحديث نفسه وفوراً رمى التقرير بقوة فى النهر وعاد إلى المنزل .

واستبطأ الرئيس التقرير ، فأرسل رجاله ، فأخبرهم العم أنه أرسله مع ابن أخيه .. فجاؤوا إلى الغلام فسألوه .. فقال : رميته فى النهر .

فصاحوا عجبين دهشين : ماذا ؟ كيف فعلت .. ولماذا ؟ .

قال : لأنه حرام .. فهو نوع من التجسس المنهيُّ عنه .. ولا أريد أن أكون من المعينين عليه .

وبلّغوا فوراً رئيسهم ما جرى ، فصُدع لها .. وصُدم .. مع إعجاب هاجم .. وقال وهو يصفق بيديه : هذا غلام يتورع .. فكيف نحن ؟! .

ومن يومئذ .. أصبحوا ينظرون إلى ذلك الغلام .. كأنهم ينظرون إلى رجل كبير ..

فهل تعرف من كان ذلك الغلام ؟ إنه الإمام : « أحمد بن حنبل » العلَم الكبير فى الحديث والفقه ، والذى يسمى « إمام الورع » وهو أيضاً بطل الإسلام الخالد الذى لما حصروه بالفتنة فى أيام المأمون .. دافع عن العقيدة الإسلامية دفاع الأبطال ، وتحمل كل أذى ، ولم يقل فى دين الله إلا ما يقوله

---

(١) سورة الحجرات الآية « ١٢ » .

القرآن والحديث .. وقد ذهب أصحاب الفتنة .. وبقي « أحمد بن حنبل » بطلاً إسلامياً رائعاً .. وكان منذ صغره يتورع ، ويتصرف فى كل شىء حسب الكتاب والسُّنة .. رحمه الله [١] .

---

(١) [illegible] عدد ١٤٥ ، شوال ١٤١٧هـ .

[٨٢] استجابة دعوة سعد وسعيد

● عن ابن عمر رضى الله عنه أن مروان أرسل إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه ناساً يكلمونه فى شأن أروى بنت أوس – وخاصمته فى شىء – فقال : يرونى أظلمها ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين** » .

اللهم إن كانت كاذبة فلا تُمتها حتى يعمى بصرها ، وتجعل قبرها فى بئرها ، قال : فوالله ما ماتت حتى ذهب بصرها .. وخرجت تمشى فى دارها وهى حذرة فوقعت فى بئرها وكانت قبرها .

● كان الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه مجاب الدعوة ، حيث دعا له رسول الله ﷺ عندما طلب من الرسول ذلك ، فقال له ﷺ : « **أطب مطعمك تجب دعوتك** » ، وجاء فى الصحيحين عن جابر بن سلمة أن أهل الكوفة شكوا سعداً إلى عمر فى كل شىء حتى قالوا : لا يحسن يصلى ، فقال سعد : أما إنى لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله أطيل الأوليين الأخريين ، فقال عمر : هو الظن بك يا أبا إسحاق ، وكان قد بعث من يسأله عنه بمحال الكوفة ، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيراً ، حتى مروا بمسجد لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أبا سعدة ، فقال : إن سعداً كان لا يسير فى السرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى الرعية القضية ، فبلغ سعداً ، فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره وأدم فقره وأعم بصره وعرضه للفتن ، فقال : فإنى رأيته بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه يقف فى الطريق فيغمز الجوارى فيقال له ، فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد .

[٨٢] قصة الابن المبارك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما خلق الله مؤمناً سمع بي ولا يراني إلا أحبني ، إن أمي كانت مشركة ، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام ، فتأبى علي ، وإني دعوتها ذات يوم فأسمعتني في رسول الله ﷺ - ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إني أمي امرأة مشركة ، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام ، فتأبى عليَّ ، وإني دعوتها فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أمي ، فقال : « **اللهم اهد أم أبي هريرة** » .

فخرجت أعدو أبشرها بدعوة رسول الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مجاف ، وسمعت خضخضة الماء ، وسمعت خشف رجلي ، فقالت : يا أبا هريرة ، كما أنت ، وفتحت الباب ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، فقالت : إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت :

يا رسول الله ، أليس قد استجاب الله دعوتك ، فهدى أمَّ أبي هريرة ، ادع الله أن يحببني وأُمّي إلى عباده المؤمنين ، ويُحبِّبَهُم إليَّ ، وإليها ، فقال :

« **اللهم حبِّب عبدك وأمَّهُ إلى عبادك المؤمنين وحبِّبهُم إليه** » [١] .

(١) رواه مسلم .

[٨٤] ورطة تساوي وزنها ذهباً (١)

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعاً متعباً فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تقرقر ، فأطلق عينيه على الأشجار فرأى تفاحة فمدّ يده إليها ثم أكل نصفها بحفظ الله ورعايته ثم شرب من ماء نهر بجانب المزرعة ، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع وقال لنفسه : ويحك كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان ؟ وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة ويطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة ، فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عما يُريد ... قال صاحبنا : دخلت بستانك الذى بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها ثم تذكرت أنها ليست لى وأريد منك أن تعذرنى فى أكلها وأن تسامحنى عن هذا الخطأ ، فقال الرجل : لا أسامحك عن هذا الخطأ إلا بشرط واحد ، قال صاحبنا وهو « ثابت بن نعمان » : وما هو هذا الشرط ؟ ، قال صاحب المزرعة : أن تتزوج ابنتى ، قال ثابت : أتزوجها ، قال الرجل : ولكن انتبه إن ابنتى عمياء لا تبصر ، خرساء لا تتكلم ، وصماء لا تسمع ، وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر – انعم بها من ورطة – ماذا يفعل ؟ .

ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنم جزاء ما أكله من التفاحة ، وما الأيام وما الدنيا إلا أيامٌ معدودات ، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب

(١) قصص إيمانية ، عادل العبد العالى .

العالمين ، وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا ، كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع فاضطرب حاله وتمنى أن لو تبتلعه الأرض قبل هذه الحادثة ولكنه توكل على الله وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون » ودخل عليها يوم الزفاف فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة ، قال بعد صمت : ما هذا ؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر ، فأخبرها بما قال عنها أبوها ، قالت : « صدق أبي ولم يكذب » .

قال : اصدقيني الخبر ، قالت : « أبي قال عني إنني خرساء لأنني لم أتكلم بكلمة حرام ، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي .. وإنني صماء ما جلست في مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو .. وإنني عمياء لأنني لم أنظر إلى أي رجل لا يحل لي » .

فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقي وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما ، وكانت الثمرة مولوداً ملأ طباق الأرض علماً ، إنه ابنها الإمام الأعظم « أبو حنيفة النعمان » .



[٨٥] ضريبة العلم (١)

لما عجز المعتصم عن ثني الإمام أحمد - رحمه الله - عن رأيه فى القرآن نصب له آلة التعذيب ومده الزبانية عليها وضربوه حتى انخلعت كتفه وانبثق الدم من ظهره فقال له المعتصم :

يا أحمد : قل هذه الكلمة وأنا أفك عنك بيدىَ وأعطيك وأعطيك .. والإمام أحمد يقول :

هاتوا آية أو حديثاً .

فقال المعتصم للجلاد : « شد قطع الله يدك » فضربه ضربة أخرى فتناثر لحم الإمام ، وقال له عالم من جماعة الخليفة : ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢) ، فقال له الإمام - رحمه الله - :

« اخرج وانظر أى شيء وراء الباب » فخرج إلى صحن القصر فإذا جمع لا يحصيهم إلا الله معهم الدفاتر والأقلام ..

قال : أى شيء تعملون ؟ .

قالوا : ننظر ما يجيب به أحمد فنكتبه ..

فرجع وأخبره ... فقال رحمه الله :

« أنا أضل هؤلاء كلهم ! أقتل نفسى ولا أضلهم » .

رحم الله الإمام أحمد .

---

(١) اللآلي الحسان ، الجزء الرابع ، للمسند .
(٢) سورة النساء الآية « ٢٩ » .

[٨٦] هكذا فلتكن النساء [(١)]

(أ) روى أن شريحاً القاضى قابل الشعبى يوماً ، فسأله الشعبى عن حاله في بيته فقال له : « من عشرين عاماً لم أر ما يغضبنى من أهلي » قال له: وكيف ذلك ؟ قال شريح : « من أول ليلة دخلت على امرأتى ، رأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً ، قلت فى نفسى فلأطهر وأصلى ركعتين شكراً لله ، فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها ، فمددت يدى نحوها ، فقالت : على رسلك يا أبا أمية ، كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه ، وقالت : إنه كان فى قومك من تتزوجه من نسائكم ، وفى قومى من الرجال من هو كفء لي ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولك ... » .

قال شريح : « فأحوجتنى – والله يا شعبى – إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبى وآله وأسلم ، وبعد فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

---

(١) المرفأ ، يحيى سعيد آل شلوان .

فقالت :كيف محبتك لزيارة أهلي ؟ قلت : ما أحب أن يملني أصهارى، فقلت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء » .

قال شريح : « فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فإذا بفلانة فى البيت قلت : من هي ؟ قالوا : ختنك ، – أى أم زوجك – فالتفتت إلي وسألتنى : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة ، قالت : يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالين إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها ، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المدللة ، فأدب ما شئت أن تؤدب ، وهذب ما شئت أن تهذب ، فمكثت معى عشرين عاماً لم أعب عليها فى شىء إلا مرة وكنت لها ظالماً » .



هكذا فلتكن النساء (١)

(ب) سافرت إلى مدينة جدة فى مهمة رسمية .. وفى الطريق .. فوجئت بحادث سيارة .. يبدو أنه وقع لتوّه .. كنت أول من وصل إليه ..

أوقفت سيارتى .. واندفعت مسرعاً إلى السيارة المصطدمة .. تحسستها فى حذر .. نظرت إلى داخلها .. حدّقت النظر .. خفقات قلبى تنبض بشدة ، ارتعشت يداي .. تسمّرت قدماي .. خنقتني العبرة ! .

ترقرقت عيناي بالدموع .. ثم أجهشت في البكاء !!

منظر عجيب .. وصورة تبعث الشجن .. كان قائد السيارة ملقى على مقودها جثة هامدة .. وقد شخص ببصره إلى السماء .. رافعاً سبابته .. وقد افترّ ثغره عن ابتسامة جميلة .. ووجهه تحيط به لحية كثيفة .. كأنه الشمس فى ضحاها .. والبدر فى سناه !!

والعجيب .. أن طفلته الصغيرة كانت ملقاة على ظهره .. محيطة بيديها على عنقه .. وقد لفظت أنفاسها .. وودعت الحياة !! .

لا إله إلا الله ! لم أر ميتة كمثل هذه الميتة .. طُهرٌ .. وسكينةٌ .. ووقار .. صورته وقد أشرقت شمس الاستقامة على محياه ..

منظر سبابته التى ماتت توحّد الله ..

جمال ابتسامته التى فارق بها الحياة .. حلّقت بي بعيداً .. بعيداً ..

---

(١) المرفأ ، يحيي سعيد آل شلوان .

تفكرت فى هذه الخاتمة الحسنة .. ازدحمت الأفكار فى رأسى .. سؤال يتردد صداه فى أعماقى .. يطرق بشدة ... كيف سيكون رحيلي ؟!!

على أى حال ستكون خاتمتي ؟!! .

يُطرق بشدة .. يمزق حجب الغفلة .. تنهمر دموع الخشية .. ويعلو صوت النحيب .. من رآنى هناك ظن أنى أعرف الرجل ، أو أن لى به قرابة ..

كنت أبكى بكاء الثكلى .. لم أكن أشعر بمن حولى ..

انساب صوتها يحمل برودة اليقين .. لامس سمعي .. ردني إلى شعورى .. يا أخي ! لا تبك عليه .. إنه رجل صالح ! ..

هيا .. هيا .. أخرجنا من هناك ، وجزاك الله خيراً ..

التفت إليها .. تقبع فى المقعدة الخلفية من السيارة .. تضم إلى صدرها طفلين صغيرين لم يُمسًّا بسوء ، ولم يصابا بأذى ! ..

كانت شامخة فى حجابها شموخ الجبال ..

هادئة فى مصابها هدوء النسيم ..

لا بكاء .. ولا صياح .. ولا عويل !!

أخرجناهم جميعاً من السيارة ..

من رآنى ورآها ظن أنى صاحب المصيبة دونها !! ..

قالت لنا وهى تتفقد حجابها ، وتستكمل حشمتها ، فى ثبات الراضي بقضاء الله وقدره : لو سمحتم .. احملوا زوجي وطفلتي إلى أقرب مستشفى .. وسارعوا فى إجراءات الغسل والدفن ! واحملوني وطفليَّ إلى منزلنا .. جزاكم الله خير الجزاء ..

بادر بعض المحسنين إلى حمل الرجل وطفلته إلى أقرب مستشفى .. ومن ثم إلى أقرب مقبرة ، وأما هي .. فقد عرضنا عليها أن تركب مع أحدنا إلى منزلها .. فردت في حياء وثبات : لا والله ! .

لا أركب إلا في سيارة فيها « نساء » !!

ثم انزوت عنّا جنباً ممسكة بطفليها الصغيرين .. ريثما نجد بغيتها ، وتحقق منيتها .. استجبنا لرغبتها .. وأكبرنا موقفها .. .

مرّ الوقت طويلاً ونحن ننتظر على تلك الحال العصيبة .. في تلك الأرض الخلاء .. ساعتين كاملتين .. حتى مرت بنا سيارة فيها رجل وأسرته .. أوقفناه .. أخبرناه خبر هذه المرأة .. وسألناه أن يحملها إلى منزلها .. فلم يمانع .

عدت إلى سيارتي وأنا أعجب من هذا الثبات العظيم ..

ثبات الرجل على دينه واستقامته في آخر لحظات الحياة ..

وأول طريق الآخرة ..

وثبات المرأة على حجابها وعفافها في أصعب المواقف وأحلك الظروف !!

إنه الإيمان !!

إنه الإيمان ..

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ (١) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية « ٢٧ » .

[٨٧] وفاء أعرابي [1]

أتى الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقى منهم واحد ، فأقيمت الصلاة ، فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم : ليكن عندك ، وتغدو به علينا ، قال : فخرجت والرجل معي ، فلما كانا فى الطريق قال لى : هل لك فى خير ؟ قلت وما هو ؟ إن عندي ودائع للناس ، وإن صاحبك لقاتلي ، فهل لك أن تخلي سبيلي لأودع أهلي ، وأعطي كل ذى حق حقه ، وأوصى بما عليّ ولي ، والله تعالى كفيل لى أن أرجع إليك بكرة ، قال : فتعجبت من قوله وتضاحكت ، قال : فأعاد عليّ القول ، وقال : يا هذا الله كفيل أن أعود إليك، وما زال يلحّ عليّ إلى أن قلت : اذهب .

فلما توارى عني كأنني انتبهت فقلت : ما صنعت بنفسى ؟ ثم أتيت أهلى فباتوا بأطول ليلة ، فلما أصبحنا إذا برجل يقرع الباب ، فخرجت وإذا به ، فقلت : رجعت ؟ قال : جعلت الله كفيلاً ولا أرجع ؟ فانطلقت ، فلما بصر بى الحجاج قال : أين الأسير ؟ قلت : بالباب أصلح الله الأمير ، فأحضرته وقصصت عليه القصة ، فجعل يردد نظره فيه ، ثم قال : وهبته لك ، فانصرفت به ، فلما خرجت من الدار قلت له : اذهب أين شئت ، فرفع بصره إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد ، ولا قال لي : أحسنت ولا أسأت ، فقلت فى نفسى مجنون ورب الكعبة .

فلما كان فى اليوم الثانى جاءنى فقال : يا هذا جزاك الله عنى أفضل الجزاء ، والله ما ذهب عني أمس ما صنعت ، ولكن كرهت أن أشرك فى حمد الله أحداً .

---

(١) طرائف وملح ، لموسى الأحمدى .

[٨٨] هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ [١]

قال الإمام القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى - رحمه الله - :

كنت محاوراً بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابنى يوماً من الأيام جوعٌ شديد لم أجدْ شيئاً أدفعُ به عني الجوعَ ، فوجدتُ كيساً من إبْريسَم « حرير » مشدوداً بشُرَّابة من إبْريسَم أيضاً ، فأخذته وجئتُ به إلى بيتي ، فَحَلَلْتُه فوجدتُ فيه عِقْداً من لؤلؤ لم أرَ مثله ، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادى عليه ، ومعه خِرْقةُ فيها خمسمائة دينار وهو يقول : هذا لمن يردُّ علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ .

فقلت - فى نفسى - أنا محتاجٌ ، وجئتُ به إلى بيتي ، فأعطانى علامة الكيس ، وعلامة الشُّرَّابة ، وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه ، والخيطَ الذى هو مشدودٌ ، فأخرجته ودفعتُه إليه فسلَّم إليَّ الخمسمائة دينار ، فما أخذتها ، وقلتُ : يجب عليَّ أن أُعيده إليك ولا آخذ له جزاءً .

فقال لي : لابدَّ أن تأخذ ، وألح عليَّ كثيراً ، فلم أقْبَلْ ذلك منه ، فتركني ومضى .

وأما ما كان منى : فإنى خرجتُ من مكة وركبت البحر ، فانكسر المركبُ وغرق الناس ، وهلكت أموالهم ، وسلمت أنا على قطعة من المركب ، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب ، فوصلتُ إلى جزيرة فيها قومٌ ، فقعدت فى بعض المساجد ، فسمعونى أقرأ ، فلم يبْقَ فى تلك الجزيرة أحدٌ إلا جاء إليَّ

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمى

وقال : علمني القرآن ، فَحَصَّل لى من أولئك القوم شيءٌ كثير من المال .

قال : ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقاً من مُصْحف فأخذتها أقرأ فيها ، فقالوا لى : تُحسنُ تكتبُ ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : علمنا الخط ، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب ، فكنت أُعلّمهم ، فحصل لى أيضاً من ذلك شيء كثير .

فقال لى بعد ذلك : عندنا صبيةٌ يتيمة ، ولها شيءٌ من الدنيا نريد أن تتزوج بها ، فامتنعت ، فقالوا : لابد وألزمونى ، فأجبتُهم إلى ذلك .

فلما زفُّوها إليّ مددتُ عينى أنظر إليها ، فوجدتُ ذلك العقْدَ بعينه معلقاً فى عُنقها ، فما كان لى حينئذ شغلٌ إلا النظر إليه ، فقالوا : يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها !! فقصَصْت عليهم قصة العقد ، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير ، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة ! فقلت : ما بكم ؟ فقالوا : ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية ، وكان يقول : ما وجدت فى الدنيا مسلماً إلا هذا الذى ردّ عليّ هذا العقد ، وكان يدعو ويقول : اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوِّجه بابنتى ، والآن قد حصلت .

فبقيت معها مدةً ، ورُزِقتُ منها بولَدين ، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولديّ ، ثم مات الولدان فحصل العقد لي ، فبعته بمائة ألف دينار ، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال (١) .

---

(١) من ذيل طبقات الحنابلة ١ : ١٩٦ ، لابن رجب الحنبلي .

[٨٩] قصة إطاعة النار لتميم الداري رضي الله عنه

عن معاوية بن حرمل قال : قدمت المدينة فذهب بى تميم الدارى رضي الله عنه إلى طعامه فأكلت أكلاً شديداً ، وما شبعت من شدة الجوع ، فقد كنت أقمت فى المسجد ثلاثاً لا أطعم شيئاً ، فبينما نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحرة ، فجاء عمر إلى تميم رضى الله عنهما فقال : قم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين .. من أنا ؟ وما أنا ؟ ، فلم يزل به حتى قام معه ، قال : وتبعتهم ، فانطلقا إلى النار ، قال : فجعل يحوشها بيده هكذا ، حتى دخلت الشعب ، ودخل تميم خلفها وجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم يرَ !! (١) .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٨٠ ، دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٣٢ .

[٩٠] قصة العواء والدخان (١)

عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« بينا أنا نائم إذ أتانى رجلان ، فأخذا بضبعى ، فأتيا بى جبلاً وعراً ، فقالا : اصعد ، فقلت : إنى لا أطيقه ، فقالا : إنا سنسهله لك .

فصعدت ، حتى إذا كنت فى سواء الجبل ، إذا بأصوات شديدة ، قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بى ، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم ، مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ، فقال : خابت اليهود والنصارى .

ثم انطلق بى ، فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخاً ، وأنتنه ريحاً ، وأسوأه منظراً ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزوانى .

ثم انطلق بى فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قال : هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن .

ثم انطلق بى فإذا أنا بالغلمان يلعبون بين نهرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذراري المؤمنين .

ثم شرف شرف فإذا أنا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء جعفر وزيد وابن رواحة .

---

(١) قصص النبى ، للخولى .

ثم شرفني شرف آخر ، فإذا أنا بنفر ثلاثة ، قلت : من هؤلاء ؟ ، قال : هؤلاء إبراهيم وموسى وعيسى ، وهم ينتظرونك ، صلى الله عليهم أجمعين ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهاً ، وأحسنه لبوساً ، وأطيبه ريحاً ، كأن وجوههم القراطيس ، قلت : من هؤلاء ؟ .

قال : هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون .

ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشد شيء انتفاخاً ، وأنتنه ريحاً قلت : من هؤلاء ؟ .

قال : هؤلاء موتى الكفار .

ثم انطلقنا ، فإذا نحن نرى دخاناً ونسمع عواءً .

قلت : ما هذا ؟

قال : هذه جهنم فدعها .

ثم انطلقنا ، فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر، قلت: من هؤلاء ؟.

قال : هؤلاء موتى المسلمين » [1] .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه ابن حبان « ١٨٠٠ » وابن خزيمة « ١٩٨٦ » ، والحاكم « ١/ ٤٣٠ » وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، والطبراني « ٥٧٧ » في مسند الشاميين ، «٧٦٦٦ » و « ٧٦٦٧ » في الكبير ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد « ١/ ٧٧ » : رجاله رجال الصحيح .

[٩١] عدل القضاة وخضوع الأمراء

كان المهدى ثالث خلفاء بنى العباس يفتش عن رجل فقيه صالح تقي ليوليه قضاء مدينة الكوفة ، فدلّوه على رجل فقيه صالح تقي لا يخاف إلا الله تعالى ، اسمه شريك بن عبد الله ، فاستدعاه وقال له : إننى أريد أن أوليك قضاء الكوفة ، فقال له شريك : إننى لا أحب القضاء ، ولا أريد أن أكون قاضياً أبداً ، فقال له المهدى : ولماذا ؟ ، قال شريك : لأننى أخاف أن أخطيء فى حكم من أحكامي ، فأنا إنسان على كل حال ، فيدخلني الله تعالى النار ، كما أخاف أن أصدر حكماً على أحد الرؤساء أو الأمراء فلا ينفذ .

فقال له المهدى : إذا اجتهدت أن تحكم بالحق ثم أخطأت فهذا لا يؤاخذك الله سبحانه وتعالى فيه ، وإنما يؤاخذك إذا تعمّدت الظلم ، وتعمدت أن تحكم بغير ما أنزل الله ، أما تنفيذ الأحكام فأنا أتعهد لك بتنفيذ أحكامك كلها ولو كانت عليّ أنا ، وإذا لم تتولوا القضاء أنتم يا فقهاء الأمة وصلحاءها وأتقياءها ، فمن يتولاه ؟ هل يتولاه الجاهلون والظالمون والمنحرفون ؟ فيكون الإثم عليكم أنتم لأنكم هربتم من ميدان الحق .

عند ذلك قبل شريك أن يتولى قضاء الكوفة ، وكان واليها موسى بن عيسى عم الخليفة المهدي ، وصار شريك يذهب كل يوم إلى مجلس القضاء منذ الصباح ، فيدخل عليه المتخاصمون فيحاكمهم ويحكم على المذنب والمسيء منهم ، ويرد الحق إلى صاحب الحق ، ولا يخاف فى أحكامه من أحدٍ سوى الله تعالى .

وكان فى الكوفة بستان جميل على شاطيء نهر الفرات ، يملكه رجل من

الكوفة ، وكان أمير الكوفة موسى يريد أن يمتلك هذا البستان لأنه بجانب قصره ، فعرض على صاحبه أن يشتريه منه ، فلم يرضَ الرجل أن يبيعه .

ثم توفي الرجل صاحب البستان ، وكان له أولاد ذكور وبنت واحدة ، فعرض موسى بن عيسى على الورثة أن يشتري البستان منهم فرضي الأولاد جميعهم بيعه ما عدا البنت ، فإنها لم تقبل أن تبيع حصتها على الرغم من الثمن الكبير الذى عرضه عليهم موسى بن عيسى ، وباع الأولاد حصتهم وبقيت حصة البنت ، فَبَنَتْ حائطاً حول حصتها وعزلتها عن بقية البستان ، ولكن موسى بن عيسى يريد أن يأخذ البستان كله سواء أكان بحق أو بدون حق ، لذلك أرسل بعض خدمه فهدموا الحائط الذى بنته البنت وضموا حصتها إلى باقي البستان ، فذهبت إلى القاضى شريك وأقامت الدعوى على موسى بن عيسى أمير الكوفة .

فأرسل القاضى شريك إليه أن يحضر إلى مجلس القضاء ليستمع إلى أقواله وإلى أقوال المرأة معاً ، فلم يقبل بالحضور ، وعدّ ذلك إهانة له ، وهو أمير الكوفة ، أن يحضر مجلس القضاء ليتحاكم مع امرأة ، وأرسل بدلاً منه صاحب الشرطة - أى رئيس الشرطة - ليقول للقاضى : كيف تقبل دعوى امرأة بدون أن يكون معها شهود ، فقال له القاضى : ولماذا تتدخل فيما لا يعنيك فأنا طلبت الأمير ولم أطلبك أنت ، لذلك فجزاؤك السجن ، وأمر رجاله أن يقبضوا عليه ويضعوه فى السجن .

ولما علم الأمير بذلك أرسل جماعة من وجهاء الكوفة إلى القاضى ليسترضوه ويقولوا له : إن الأمير ليس من العامة لكى تعامله كبقية الناس ، بل يجب أن تكون له معاملة خاصة .

فقال لهم شريك القاضي : الناس كلهم أمام القضاء سواء ، وأنتم أيضاً تتدخلون في أمور القضاء ، وهذا جزاؤه السجن ، وأمر رجاله أن يضعوهم في السجن .

وعندما علم الأمير موسى بن عيسى بذلك ركب هو ورجاله وذهبوا جميعهم إلى السجن ففتحوه وأخرجوا الجميع منه ، فأتى السجان إلى القاضي شريك وأخبره بذلك ، فقال : أنا لم أطلب القضاء وإنما الخليفة أكرهني عليه وما قبلت به إلا على شرط أن تنفذ أحكامي كلها ، وحمل أوراقه وكتبه ومتاعه وركب دابته وتوجه إلى بغداد .

وعندما علم الأمير بذلك خاف كثيراً ، لأن الخليفة إذا علم بذلك فإنه سوف يعزله من الولاية ، لذلك ركب ولحق بالقاضي خارج مدينة الكوفة ، وصار يناشده ويرجوه أن يعود إلى الكوفة وينفذ له طلباته كلها ، فقال له القاضي : لا أعود حتى يعود السجناء جميعهم إلى السجن ، وأن تقبل أنت بحضور مجلس القضاء مع المرأة صاحبة البستان ، فقبل الأمير بكل ذلك ، وعاد السجناء إلى السجن ، وحضر الأمير مجلس الحكم مع المرأة ، فحكم عليه القاضي أن يعيد بناء الحائط كما كان ، وألا يُكره المرأة على بيع حصتها ، فامتثل الأمير للحكم .

عند ذلك أمر القاضي بإخراج السجناء كلهم من السجن ، وذهب إلى الأمير وسلم عليه ، وقال له : هل تأمرني الآن بشيء ؟ فذاك حق الشرع وهذا حق الأدب .

[٩٢] الانتساب إلى الإسلام أعظم الانتساب [1]

عن أبي بن كعب قال : انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أمّ لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **انتسب رجلان على عهد موسى** عليه السلام ، **فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان – حتى عدّ تسعة – فمن أنت لا أمّ لك ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام ، قال : فأوحى الله إلى موسى** عليه السلام ، **أن قل لهذين المنتسبين : أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم ، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة** » [2] .

(١) قصص وعبر في أحوال من غبر .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » « ٢/ ٨٨ » وأخرجه عبد الله بن أحمد في الزوائد «١٢٨/٥» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

[٩٣] اجعل ضفائري لجام فرس في سبيل الله [1]

سبى الروم فى غزوة من الغزوات بعضاً من النساء المسلمات ، فعلم بذلك منصور بن عمار ، فقالوا له : لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين هارون ، فحرضت الناس على الجهاد .

ففعل ... وبينما هو يحث الناس على الجهاد فى سبيل الله إذا طُرحت خرقة فيها صرة مختومة ومضموم بها كتاب .

ففتح منصور بن عامر الكتاب وقرأ وإذا فيه : إنى امرأة من أهل البيوت من العرب ، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات ، وسمعت تحريضك الناس على الغزو فى ذلك ، فعمدت إلى إكرام شيء من بدنى وهما ذوابتاي - ضفائري - فقطعتهما وصررتهما فى هذه الخرقة المختومة .. ! .

وأنشدك الله لما جعلتها قيد - لجام - فرس غاز فى سبيل الله !! فلعل الله أن ينظر إليّ على تلك الحال فيرحمنى بها ، فلم يملك منصور نفسه فبكى وأبكى من حوله ، فعزم هارون الرشيد على الجهاد فأمر بالنفير العام ، فغزوا مع الجيش وفتح الله عليهم ، وفكوا الأسيرات ، وأطلقوا سراح المسلمات العفيفات الطاهرات .

---

(١) مجالس النساء .

[٩٤] الإنسان الظلوم (١)

سافر التاجر الصالح إلى حلب للتجارة ، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤هـ ، وفى الطريق هطل ثلج كثير فسد الطرق ، فطرق باب أحد البيوت فلم تكن هناك فنادق يأوى إليها المسافرون ... لقد كان الغريب أو المسافر يطرق أى دار من دور المكان الذى يصل إليه ثم يحل ضيفاً بين ظهرانى أهله ينام كما ينامون ويتناول من طعامهم بدون أجر أو مقابل ، ففتح له الباب رب الدار فأخبره بأنه ضيف الله ، فرحب به صاحب الدار وأدخله وتجارته إلى صحن داره وقدم الطعام للضيف ، وكان صاحب الدار فقيراً معدوماً ، وكان متزوجاً وله ولد واحد فى العقد الثانى من عمره ، وكان فى داره غرفتان ، غرفة يأوى إليها هو وزوجته ، والأخرى لولده واجتمعت العائلة حول الضيف وعرف المضيف من خلال الحديث مع الضيف أنه يحمل مبلغاً من المال للتجارة ، وفى الهزيع الثانى من الليل أوى المضيف مع زوجه إلى غرفتهما وأوى الضيف إلى غرفة ولد المضيف ، فنام الولد على فراشه فى الزاوية اليمنى من الغرفة وأوى الضيف إلى فراشة فى الزاوية اليسرى من الغرفة .

وهمست الزوجة لزوجها : إلى متى نبقى فى فقر شديد ، هذا الضيف غنى ونحن فى أشد الحاجة إلى ماله وتجارته ، إننا مقبلون على مجاعة شديدة وسنموت فيها بدون ريب ، إن الفرصة اليوم سانحة ولن تعود ، هلم إلى الضيف فاسلبه ماله وخذ تجارته حتى تبقى على حياتنا وحياة ولدنا الوحيد ، وتردد

---

(١) عدالة السماء ، لمحمود شيت خطاب ، بتصرف واختصار .

الرجل ، وألحت المرأة وكان الشيطان ثالثهما وقالت : إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا من الموت الأكيد والضرورات تبيح المحظورات ، واقتنع الرجل أخيراً ، وعزم على قتل الضيف وسلب مالديه من مال وتجارة .

كان الوقت فى الثلث الأخير من الليل ، وقصد الرجل خنجره وشحذه ثم توجه ناحية غرفة الضيف وابنه ، ومن ورائه زوجه تشجعه ، ومشى رويداً رويداً واتجه شطر الزاوية اليسرى من الغرفة حيث يرقد الضيف وتحسس جسمه حتى تلمس رقبته ثم ذبحه كما يذبح الشاة .. وجاءت الزوجة وتعاونا على سحب الجثة الهامدة إلى خارج الغرفة .. حيث اكتشفا هناك أنهما ذبحا ابنهما الوحيد فشهق الرجل والمرأة شهقة عظيمة وسقطا مغشياً عليهما ، وعلى صوت الجلبة استيقظ الضيف واستيقظ الجيران ليجدا ابن الرجل قتيلاً ، وسارع الضيف والجيران بالماء البارد يرشونه على وجه الرجل وزوجته ، فلما أفاقا أخذ يبكيان بكاءً مراً ، وجاءت الشرطة .. وعرفت ما حدث ، لقد قام الابن إلى فراش الضيف بعد أن غادر أبوه الغرفة وأخذ الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث وطال الحديث حتى نام الولد على فراش الضيف بعد أن غلبه النعاس ، ولم يشأ الضيف أن يوقظ ابن مضيفه فترك له فراشه بعد أن أحكم عليه الغطاء لبرودة الجو ثم أوى إلى فراش ابن المضيف فنام عليه .. وحين قَدِم المضيف إلى غرفة الضيف وابنه كان متأكداً من موضع فراش كل واحد منهما فذبح ابنه وهو يريد الضيف ، ودفن الجيران الولد القتيل ، واستقر والده فى السجن .

[٩٥] حرارة الموت [1]

عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : « **خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم فقالوا : لو صلينا ركعتين ، ودعونا الله عز وجل أن يُخرج لنا رجُلاً ممن قد مات نسأله عن الموت ، قال : ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ أطلعَ رجلٌ رأسه من قبر من تلك المقابر ؛ خِلاسيٌّ [2] ، بين عينيه أثرُ السجود ، فقال : يا هؤلاء ما أردتم إليّ ؟ فقد مت منذ مائة سنة ، فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا الله عز وجل لي يعيدني كما كُنت** » [3] .

---

(١) صحيح القصص النبوى ، عمر الأشقر .
(٢) خلاسيٌّ : أسمر اللون .
(٣) أخرجه أحمد فى الزهد ، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة .

[٩٦] قصة عابد الصنم (١)

قال عبد الواحد بن زيد : كنت فى مركب ، فطرحتنا الريح إلى جزيرة ، وإذا فيها رجل يعبد صنماً ، فقلنا له : يا رجل ! مَنْ تعبد؟ فأومأ إلى الصنم ، قلنا إنّ معنا فى المركب من يسوى مثل هذا ، وليس له إله يُعبد ، قال : فأنتم من تعبدون؟ قلنا : الله . قال : وما الله ؟ ، قلنا : الذى فى السماء عرشهُ ، وفى الأرض سلطانه . وفى الأحياء والأموات قضاؤه ، فقال : كيف علمتم به ؟ قلنا وجّه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً فأخبر بذلك ، قال: فما فعل الرسول ؟ قلنا : أدّى الرسالة ثم قبضه الله ، قال : فما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : بلى ، ترك عندنا كتاب الملك ، فقال : أرونى كتاب الملك ، فينبغى أن تكون كتب الملوك حساناً .

فأتيناه بالمصحف ، فقال : ما أعرف هذا ، فقرأنا عليه سورة من القرآن ، فلم نزل نقرأ ويبكى حتى ختمنا السورة ، فقال : ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى ! ثم أسلم ، وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن ، وكنّا حين جنّنا الليل (٢) ، وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا ، قال لنا : يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه ، إذا جنّه الليل ينام ؟ قلنا : لا ، يا عبد الله ، هو عظيم قيّوم لا ينام ، قال : بئس العبيد أنتم : تنامون ومولاكم لا ينام ؟ فأعجبنا كلامه ، فلمّا قدمنا « عبّادان » (٣) ، قلت لأصحابى : هذا قريب

---

(١) التائبون إلى الله ، الحازمى .
(٢) أى سترنا بظلامه .
(٣) عبّادان : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس .

عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه ، فقال : ما هذا ؟ قلنا : تنفقها . فقال : لا إله إلا الله ، دللتموني على صريق ما سلكتموها ؛ أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيِّعني ، أفيضيعنى وأنا أعرفه ؟ فلما كان بعد أيام قيل لى : إنه فى الموت ، فأتيته ، فقلتُ له : هل من حاجة فقال : قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى ، قال عبد الواحد : فحملتنى عيني ، فنمت عنده ، فرأيت مقابر « عبَّادان » روضة وفيها قبة ، وفى القبة سرير عليه جارية لم يرَ أحسن منها ، فقالت : سألتك بالله إلا ما عجّلت به ، فقد اشتدّ شوقى إليه ، فانتبهت ، وإذا به قد فارق الدنيا ، فقمت إليه فغسلته وكفنته وواريته ، فلما جنّ الليل نمتُ ، فرأيته فى القبّة مع الجارية ، وهو يقرأ : ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ [(١)] .

(١) سورة الرعد الآيات « ٢٣ ، ٢٤ » .

[٩٧] صبي نجيب

قحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك ، فوفد عليه رءوس القبائل ، فجلس لهم ، وفيهم صبى ابن أربع وعشرين سنة ، اسمه درواس بن حبيب ، فاستصغره هشام ، وقال لحاجبه : ما يشاء أحد يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان ، فقال درواس : يا أمير المؤمنين ، إن دخولى لم يخل بك ولا انتقصك ، ولكنه شرفنى ؛ وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه ، فأعجبه كلامه ، وقال : اذكر ما تشاء لا أم لك ، فقال : إنا أصابتنا سنون ثلاث ، فسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت الشحم ، وسنة دقت العظم ، وفى أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله ، ففرقوها على عباده ، وإن كانت لهم ، فلا تحبسوها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، إن الله يجزى المتصدقين ؛ وإن الوالى من الرعية ، كالروح فى الجسد ، لا حياة له إلا به ، فقال هشام : ما ترك الغلام فى واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر بمائة ألف دينار ، ففرقت فى أهل البادية ، وأمر له بمائة ألف درهم ، فقال درواس : اردها فى جائزة العرب ، فمالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة الناس .



[٩٨] بدون عنوان [١]

أقبلت ابنتي بدور .. يسبقها صوت كتغريد الطيور .. وما أن التفتُّ إليها فإذا بها تجرى نحوى بسرعة رافعة يديها .. ضممتها بقوة .. وتحسست أطراف أصابعها تخترق جسمى .. أغمضت عينيّ .. حمداً لله .. نعمٌ كثيرة ..

زوج وطفلة .. وسعادة وارفة الظلال ..

تذكـرت تلك الأيام الأولى .. وأنا لازلت فى المرحلة الثـانوية .. ولكن بحكم القـرابة وافق الأهل .. سنوات مضت من تلك اللحظة التى علمت بأن عادل تقدم لخطبتى .. كانت قلوب الكثيرات تتمناه .. جمع بين حُسن الخُلق والدين ..

بعد انتظار طويل تم عقد الزواج بعد أن نلت شهادتى الجامعية بدأنا نفكر فى المستقبل .. ونحـن فى بدايـة الطريق .. والآمال كبيـرة .. والطموحات كثيرة .. تم التعاقد معه للعمل فى المملكة ..

سافر وحده .. وبقي في غربته .. وأنا وحيدةٌ في غربتي .. بعد عام ونصف من بعد المسافات ومن الشوق والحنين .. قدمت إليه وكلي خوفٌ من الغربة الجديدة .. وخوف من الوحدة .. كيف سأعيش بعيدة عن أهلى وأقاربي ..

ولكن تذكـرت أن هنا زوجاً ينتظرنى .. ذا خلقٍ ودين مـا حلمت به فى منامى ويقظتي من صفـات وجدتها فيه .. حُسن المعاشرة .. لينُ الجانب .. بشاشة الوجه .. صفـاءُ النفس .. صدق الحديث .. منحني من الحنان أوفره ،

---

(١) الزمن القادم ، عبد الملك القاسم ، جـ ٣ .

ومن العطف أكثره .. جمعت بيننا الغربة .. ونمت فى قلوبنا المودة .

أشياؤه البسيطة أحببتها .. أحياناً يطلب كأساً من الماء أو الشاى .. يُتبعه الثناء والشكر .. عجبتُ من أدبه وحسن تعامله ..

قلت له : لا تشكرنى على خدمتك .. هذا واجبى نحوك .. ولكنه كان يغمرنى بطيب أخلاقه ..

حمدت الله وشكرته .. أن رزقني بزوج مسح دموع الغربة وعوضني فَقدَ من أُحب ..

كان لى نعم الزوج والأب والأهل ..

وأنا فى الشهور الأخيرة من حملي .. لم يرهقنى بطلب .. ولم يأمرنى بما لا أستطيع .. بل كان يقدم لى سؤالاً قبل طلبه .. هل أنت مرهقة .. ؟ هل أنت متعبة ؟ ..

كان يشاركنى فَرَحه .. وحُلمه ، ويقول: إن رزقنا الله طفلاً سنسميه بلالاً .. كان يحب بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ .

تمر الأيام الأخيرة للحمل .. وأضع طفلة كالبدر .. أسميناها بدور .. سألته يوماً وهو يداعبها ..

هل أنت حزين لأنها أتت بدور ولم يأت بلال .. ؟ .

قال لى : إن هذا رزق الله ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [١] ، ومن رزقنا بدور .. يرزقنا بلالاً .. إن شاء الله ..

---

(١) سورة الشورى الآية « ٤٩ » .

الحمد لله .. ظلُّ السعادة يزيد .. وشجرة المحبة تكبر وتنمو ، ومن نعم الله علينا .. قدومنا إلى هذه البلاد .. حيث دروس العلماء .. والمحاضرات والندوات .. وحتى مجتمع المدرسة مجتمع تناصح وخير .. أهدتني زميلة لى فى المدرسة شريط .. « أيتها المرأة الحجاب أو النار » لأحد العلماء ..

بمجرد سماعى لهذا الشريط .. هداني الله لغطاء وجهي .. كان زوجى يفرح بسماع أذان الفجر .. يهب من فراشة مسرعاً .. يوقظني .. ويخرج للصلاة .. وكانت وصيته لى وأنا ذاهبة للمدرسة أنت مربية الأجيال .. عليك بالإخلاص .. وأحذرى الغيبة والنميمة .. إن كان فى حديثك خيرٌ فتحدثى ، لا خير فى حديث تندمين عليه يوم القيامة ..

فى ذهابنا وعودتنا .. غالباً نسمع شريطاً لأحد العلماء .. مرت الأيام حلوة جميلة .. كهبات نسيم مُعطرة ..

وفى يوم .. مثل بقية الأيام ..

ذهبت للمدرسة ، وعندما خرجت بعد صلاة الظهر من المدرسة .. رأيته على غير عادته .. لاحظت تعبه وإرهاقه .. قلت ماذا بك ؟ قال : .. مرهق وأحس بدوار فى رأسى وعندما وصلنا إلى المنزل .. جهزت له طعام الغداء .. لم يستطع أن يتحرك من سريره .. أطعمته بيدى .. كررت عليه السؤال .. ما بك ؟! ..

قال .. مرهق وأريد أن أرتاح ..

تركته نائماً حتى موعد صلاة العصر .. أيقظته .. لم يستطع أن يستيقظ .. اتصلت بالجيران .. ذهبت معهم إلى المستشفى ..

وهناك .. كانت بداية النهاية .

أتى الطبيب بخطوات سريعة .. وقال لي .. حالة زوجك حرجة وهناك اشتباه في وجود التهاب على قشرة المخ ..

ثم فَصَّلَ الأمر ..

هناك نوعان .. نوع بسيط .. ونوعٌ خطير .. تقبلت الخبر بثبات .. وماكنت أظن أني كذلك ..

حتى الساعة الواحدة والنصف ليلاً وأنا أصلي وأدعو الله أن يشفيه .. ظل في غيبوبة ثلاثة أيام متواصلة من ظهر يوم الأربعاء ومروراً بيومي الخميس والجمعة ..

وفي صباح يوم السبت .. تحسنت حالته وأفاق من غيبوبته وبدأ يعرف الزائرين شكلاً .. وعندما اقتربت منه .. قلت له : هل عرفتني يا عادل ؟ ..

قال .. لا ..

قلت له أتعرف بدور ؟ ..

قال : أهي ابنتي ؟؟ ..

أردفت بسرعة .. أنا أم بدور ..

تبسم ضاحكاً .. وقال .. أنت زوجتي ؟؟ ..

بكيت بكاء مرّاً ..

قبل ثلاثة أيام .. كيف كان حاله .. ذاكرته .. عقله .. سؤاله عني .. واليوم تبدلت الأحوال .. لا يعرف حتى أحب الناس إليه .. لا يعرف زوجته وابنته .. !!

طال بي التفكير .. ولم أنس ذكر الله .. وتنبهت على صوت الإمام يقرأ

في الصلاة .. وكأنه يخاطبني ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [١] .

وأنا أتابع هذه الآيات تتابعت دموعي .. وعلمت أنني من أصحاب هذه الآية ..

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾ [٢] .

نحن هنا في غربة .. وبفقد الزوج .. في مصيبة .. من يذهب بي إليه في المستشفى .. من يأتي معي .. إنها غربة وأشد أنواع الغربة .. خاصة إذا كانت امرأة ضعيفة مثلي .. وحيدة في بيتها .. لا أخ ولا أب .. ولا زوج ..

في يوم الأحد كتمت حزني .. ذهبت مع أحد أصدقائه وزوجته .. اليوم سعادتي لا توصف .. وفرحي لا نهاية له .. عرفني زوجي .. وعرف كل من ذهب إليه .. شد انتباه من حوله .. أن كل زائر ملتح يبتسم له ويعرفه .. ولكنه لا يستطيع تذكر الأسماء .. أما أنا زوجته وأم أبنائه .. عرفني منذ أن رآني .. وناداني باسمي .. وابتسم في وجهي ..

كأني لم أذق طعم السعادة إلا اليوم .. وكأني لم أسمع إسمي على لسانه إلا هذه المرة .. طلب مني أن يتوضأ للصلاة ويصلي ما فاته من الصلوات في

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٥٣ » .
(٢) سورة البقرة الآيات « ١٥٥ ، ١٥٦ » .

الأيام الماضية .. هاجسه الأذان .. وحديثه الصلاة ..

في أحداث سريعة ..

يوم الاثنين .. نقلوه إلى غرفة بمفرده لأن الفيروس انتشر في جسمه وزادت حرارته .. كان هذا اليوم .. يوماً مشهود في حياته .. كل يوم أزوره من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة .. ومن الساعة السابعة وحتى التاسعة .. وأراد الله هذا اليوم أن أبقى معه من الثالثة وحتى التاسعة ..

وأنا أضع له الكمادات على وجهه ويديه ورجليه .. ولكن حرارته في ازدياد.. بدأت أقرأ القرآن بصوت يسمعه ..

وعندما توقفت برهة عن القراءة لكي أضع الكمادات على قدميه .. قال لي .. افتحي جهاز التسجيل .. فرحت وقلت له .. تريد أن تسمع القرآن يا عادل .. قال طبعاً ..

أكملت له التلاوة إلى أن أتى موعد الزيارة الثانية وحضر بعض زملائه وأصدقائه .. ومنهم صديق له ملتزم يحبه ويوده ..

تبسم زوجي عندما شاهده .. ومد يده نحوه ليُسلم عليه .. ولكن كانت فرحتي أكبر فمددت يدي بسرعة .. وصافحت زوجي .. وكان آخر سلام ومصافحة له .. ذهبت إلى منزلي فارغة القلب .. مهمومة النفس .. أغالب الأحزان .. وأسأل الله الثبات .

مع تباشير فجر يوم الثلاثاء .. والمؤذن يرفع صوته بالأذان .. الله أكبر .. الله أكبر ..

فتح عادل عينيه وجلس نصف ساعة على سريره .. ونظر بعينيه إلى السماء .. ثم رجع إلى الخلف وأغمض عينيه .. وصعدت روحه إلى بارئها ..

كل إنسان له نهاية .. وقد حانت نهايته ..

في هذا اليوم .. أصبح من أهل الدنيا .. وأمسى من أهل الآخرة ..

في الصباح .. بحثت عمن يذهب بي إلى المستشفى وتطوع أحد الجيران مع زوجته .. شعرت أن زوجي ربما قد حدث له شيء من أثر الحرارة المستمرة .. ونحن بجوار المستشفى قال لي جارنا .. انتظري سأذهب وأسأل عن حالته ثم أعود ..

رفعت طرفي إلى مكان غرفته .. أُقلب الطرف .. ويعود كسيراً .. طالت غيبة جارنا .. أو حسبت أن الأمر كذلك ..

لم أستطع الصبر .. وعندما هممت بدخول المستشفى .. فإذا به قادم مطأطئ الرأس .. قال بصوت خافت .. رحمه الله .. اصبري ..

قلت له .. هل ذهبوا به من هنا .. ؟

قال .. لا ..

قلت .. لابد أن أراه .. وأصررت على ذلك ..

ذهبنا نحن الثلاثة .. وأنا أردد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

أسابق اللحظات .. وأستحث الخطى .. دلفت إلى غرفته ..

فإذا به ممدد على السرير .. ومغطى برداء ..

كشفت الغطاء .. فإذا بوجهه تعلوه السكينة والبِشْر ..

لم أشعر إلا وأنا أُقبله على جبينه .. إلى جنة الخلد .. إلى الحور العين ..

أخرجوني ولساني يردد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

اللهم أجرني في مصيبتي وأخلفني خيراً منها ..

الصدمة قوية .. والفجيعة كبيرة .. ولكنى أحتسب مصيبتى ..

دفناه هنا حيث الأرض التى أحب ..

فرحٌ حولي من المعزيات .. فالجميع يعدد محاسنه ..

ومحافظته على الصلاة .. حمدت الله على هذه الخاتمة الطيبة ..

تفكرت فى حال الدنيا .. إن أعطت أخذت .. وإن أفرحت أبكت ..

وإن أسرت أحزنت ..

ساعات قليلة .. بين فرحى وحزني .. بين ابتسامتى ودمعتى ..

اليوم ..

إنقلبتْ إليّ غُربتى .. وعادتْ إليّ وحدتي ..

فقدت عادلاً .. ولكن بقى رب عادل ..

لن يضيعنى أنا .. وبدور ..

وهو أرحم الراحمين .



[٩٩] قصة النفر الثلاثة

عن أبى واقد الليثى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد ، والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد .

قال : فوقفنا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ..

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال :

« ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله ، فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض ، فأعرض الله عنه » (١) .

(١) متفق عليه .

[١٠٠] بأي ذنب قتلت [١]

روى أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : **مالك تكون محزوناً ؟** فقال : يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت !! ، فقال له : **أخبرني عن ذنبك** ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء فخطبوها ، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج ، فقلت للمرأة : إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي ، فسرت بذلك ، وزينتها بالثياب والحُلي ، وأخذت على المواثيق بألا أخونها ، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر ، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول : يا أبت ! أيش تريد أن تفعل بي ! فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية ، ثم التزمتني وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانة أمي ، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها ، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة ، وهي تنادي في البئر : يا أبت ، قتلتني ، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت . فبكى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقال : « **لو أمرتُ أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك** » [٢] .

---

(١) من كتاب اللآلي الحسان من روائع الكلم والبيان للمسند .
(٢) انظر تفسير القرطبي .. المجلد الرابع ، الجزء السابع .

[١٠١] الفخ (١)

كان لاهم له إلا خداع الفتيات والتغرير بهن فكان يخدعهن بكلامه المعسول ووعوده الكاذبة ، فإذا نال مراده أخذ يبحث عن فتاة أخرى ، وهكذا كان ديدنه لا يردعه دين ولا حياء فكان مثل الوحش الضاري يهيم في الصحراء بحثاً عن فريسة يسكت بها جوعه .

وفى إحدى جولاته سقطت في شباكه إحدى المخدوعات بأمثاله ، فألقى إليها برقم هاتفه فاتصلت به وأخذ يسمعها من كلامه المعسول ما جعلها تسبح فى عالم الحب والود والعاطفة ، واستطاع بمكره أن يشغل قلبها فصارت مولعة به فأراد الخبيث بعد أن شعر أنها استوت وحان قطافها أراد أن يبتلعها مثل ما فعل مع غيرها إلا أنها صدته وقالت : الذى بينك وبينى حب طاهر عفيف لا يتوج إلا بالزواج الشرعي ، وحاول يراوغها ويخدعها إلا أنها صدته وأحس أنه فشل هذه المرة فأراد أن ينتقم لكبريائه ويلقنها درساً لا تنساه أبداً ، فاتصل بها وأخذ يبث لها أشواقه ويعبر لها عن حبه وهيامه وأنه قرر وعزم على خطبتها لأنه لا يستطيع أن يفارقها فهى بالنسبة له كالهواء إذا انقطع عنه مات !! ، ولأنها ساذجة مخدوعة بحبه صدقته وأخذت تبادله الأشواق وصار هذا الفاسق يداوم على الاتصال بها حتى ألهبها شوقاً فواعدها أنه سوف يتقدم لخطبتها إلا أن هناك أموراً يجب أن يحدثها بها لأنها أمور لا تقال عبر الهاتف ، وبعد رفض منها وتمانع استطاع الخبيث أن يقنعها كي يلتقيا ، فقبلت ، فاستبشر الفاسق

---

(١) كما تدين تُدان . السيد الرفاعى .

وحدد لها المكان والزمان ، أما المكان فهو شالية يقع على ساحل البحر ، وأما الزمان ففى الصباح ، واتفقا على الموعد .

فرح الخبيث الماكر وأسرع إلى أصدقاء السوء أمثاله ، وقال لهم غداً ستأتى فتاة إلى الشالية تسأل عني وأريد منكم أن تكونوا متواجدين هناك ، فإذا جاءت فافعلوا بها ما يحلو لكم ، وفى الغد جلسوا داخل الشالية ينتظرون الفريسة وهم يلهثون مثل الكلاب المسعورة فأقبلت الفريسة تبحث عن صيادها ودخلت الفتاة إلى الشالية تنادى عليه وفجأة هجموا عليها هجوم الوحوش الضارية وأخذوا يتناوبون عليها حتى أشبعوا رغبتهم وأطفأوا نار شهوتهم المحمومة ثم تركوها فى حالة يرثى لها وخرجوا قاصدين سيارتهم وإذا بالماكر الخبيث مقبل نحوهم فلما رأوه تبسموا وقالوا : لقد انتهت المهمة كما أردت .

ففرح واصطحبهم إلى داخل الشالية ليمتع ناظريه بمنظر هذه المسكينة ويشفي غليله فهى التى صدته واستعصت عليه ، فلما وقعت عينه عليها كادت روحه تزهق وأخذ يصرخ بأعلى صوته على أصدقائه .. يا أشقياء ماذا فعلتم .. تباً لكم من سفلة.. إنها ... إنها أختي .. أختي الويل ليّ ولكم .. إنها أختي .. أختي .. يا ويلي .. .

ولكن ما الذى حدث ، لقد شاء الله عز وجل أن ينتقم من هذا الفاسق بأقرب الناس إليه وبنفس الطريقة التى خطط لها ، إن الفتاة التى واعدها هذا الخبيث حدث لها مانع جعلها تمتنع عن الحضور فلم تحضر ، وكانت أخت هذا الفاسق تبحث عن أخيها لأمر ما ، وهي تعلم أنه يقضي أغلب وقته فى الشالية فذهبت إليه فى نفس الموعد الذى حدد مع الفتاة ، وهكذا وقع هذا الفاسق فى الحفرة التى حفرها للفتاة واصطاده نفس الفخ الذى نصبه لها ،

ولابد لكل مجرم من نهاية مهما طال الزمن ، فلابد أن يقع وأن يشرب من نفس الكأس وكما تدين تدان .

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)** ﴾ (١) .

قال رسول الله ﷺ : « **المكر والخديعة والخيانة فى النار** » (٢) .

(١) سورة الأعراف الآية « ٩٩ » .
(٢) صحيح : رواه أبو داود ، السلسلة الصحيحة ١٠٥٧ .

الفهرس